

فنون
الشعر
الأوسط

فهم لغزها
الخيال السحري المأساوي

تأليف
نعمت إسماعيل حليم



دار الحرف



فنون الشرف الأوسط

في الفترات

الهيلينية - المسيحية - الساسانية

تأليف

نعمت إسماعيل علام

ماجستير تاريخ الفنون كلية الآداب . جامعة نيويورك
أستاذة تاريخ الفن . المعهد العالي للتربية الفنية

الطبعة الثالثة



دارالمعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . ٢٠٠٤ ع .

وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى ذكرى والدتي ..

تقديم

يلاحظ القارئ للجزء الأول من فنون الشرق الأوسط القديم أن المدينيات القديمة قد خلقت لنا تراثاً عظيماً من الحضارة والفنون ، وأن ديانات شعوب العالم القديم كانت في أغلب الأوقات حقلاً يانعاً للفنون . ولم تنطئ شعلة فنون شعوب هذه المنطقة حتى في أحلك الأوقات بعد أن تم إخضاعها للإمبراطورية الفارسية الأكمنية آخر الحكام الشرقيين لمنطقة الشرق الأوسط .

وعندما أراد الفرس أن يحققوا مزيداً من الانتصارات بغزوهم المدن الإغريقية الواقعة في آسيا الصغرى ، بدأت بذلك سلسلة طويلة من الصراع بين الشرق والغرب ، انتهت فصوله بخاتمة فجع فيها العالم القديم . حيث اجتاحت الإسكندر المقدوني الإمبراطورية الفارسية ، وانتقلت ممتلكات الإمبراطورية إلى الفاتح الإغريقي ، وبذلك أصبح الشرق الأوسط وفنونه جزءاً من تاريخ الحضارة الإغريقية الهيلينية .

وفي عهد خلفاء الإسكندر الذين سيطروا على الشرق الأوسط المقدونيين والرومان ، داومت الثقافة الإغريقية الرومانية على غزو فكر الشرق الأوسط وعاداته وفنونه ، ونتج من امتزاج فنون الشرق مع الفنون الإغريقية الرومانية (الهيلينية) طراز من الفن يختلف عن الفنون الهيلينية في الغرب وعن الفنون الشرقية القديمة .

وقرة حكم الرومان للشرق لها أهمية كبيرة حيث ظهر في خلالها الديانة المسيحية ، ولقد أثر هذا الدين الجديد الذي انتشر في أنحاء الشرق والغرب على ثقافات وعادات شعوب المنطقة مما نتج عنه ظهور فنون ذات طابع جديد مختلف .

لذلك سيتضمن هذا الجزء فنون الحضارات التي تلت سقوط بلاد منطقة الشرق الأوسط على يد الإسكندر المقدوني . وهي الفنون الهيلينية والفنون المسيحية وستتبع هذه الفنون التشكيلية المختلفة من عمارة ونحت وتصوير . . إلخ .

ولقد لعبت فارس دوراً رئيسياً في سياسة وفنون تلك المنطقة في العصر المسيحي وكانت روائع بعض الفنون البيزنطية ثمرة للمزج بين أفكار الرومان وأساليب الشرق .

وكان من نتيجة انتقال أفكار الفرس إلى الفن الدينى البيزنطى تغيير فى أسس ومفاهيم المقاييس الجمالية للفن البيزنطى الذى ساد المنطقة.

ولقد رأيت أن أعطى اهتماما أكبر لزخارف المنسوجات القبطية التى تعتبر بحق أجمل الفنون القبطية الشعبية المصرية.

ولا يسعنى فى النهاية إلا تقديم شكرى لكل من تقدم إلى بمساعدة عاونتنى على إتمام هذا الجزء.

وأخص بالذكر المتاحف التى أمدتنى ببعض الصور؛ المتحف المصرى والقبطى بالقاهرة.

نعمت إسماعيل

يوليه ١٩٩١

فهرس

صفحة	
٥	تقديم
١١	الباب الأول : العصر الإغريقي الروماني
١١	تمهيد تاريخي
١٥	الفصل الأول : مصر
	أولا البطالة [تمهيد تاريخي - العمارة - النحت - النقش على الحجر -
١٥	الفنون الصغيرة]
٣٢	ثانيا الرومان [العمارة - النحت - التصوير - الفنون الصغيرة]
٤٠	الفصل الثاني : سوريا
٤٠	السلوقيون والرومان [تمهيد تاريخي - العمارة - النحت]
٤٢	مدينة تدمر
٤٥	مدينة دورا أوربا
٤٨	مدينة البتراء
٥٠	الفصل الثالث : الجزر العربية
٥٠	شبه الجزيرة العربية
٥٣	الكويت والبحرين
٥٧	الفصل الرابع : شمال أفريقيا
٦٥	الباب الثاني : العصر المسيحي في الشرق
٦٥	تمهيد تاريخي
٦٨	الفصل الأول : القسطنطينية - الفن البيزنطي
	[العمارة - النحت على الحجر - التصوير : (الفسيفساء، التصوير

منح.

الجدارى، الأيقونة، تصوير المخطوطات) العاج - المعادن -	
المنسوجات].....	٦٩
الفصل الثانى: مصر - الفن القبطى	٩٥
[تمهيد تاريخى - العمارة - النحت على الحجر - التصوير - النحت	
على الخشب - الفنون الصغيرة - (العاج - المعادن -	
المنسوجات)].....	٩٥
الفصل الثالث: سوريا وفلسطين - الفن المسيحى	١٣١
[تمهيد تاريخى - العمارة - النحت على الحجر - التصوير -	
المخطوطات - الفنون الصغيرة - العاج]	١٣١
الفصل الرابع: شمال أفريقيا	١٣٩
الباب الثالث: إيران	١٤٣
تمهيد تاريخى	١٤٣
الفصل الأول: الدولة القرثية	١٤٥
[تمهيد تاريخى - العمارة - النحت على الحجر - التصوير الجدارى]	١٤٥
الفصل الثانى: الدولة الساسانية	١٥٢
[تمهيد تاريخى - العمارة - النحت الكامل - النحت البارز - الفنون	
الصغيرة - المعادن - المنسوجات]	١٥٢
المراجع	١٦٦

لوحة زمنية لبلاد الشرق الأوسط
من الغزو الإغريقي ٣٣٤ م. حتى الفتح الإسلامي ٦٤١

مصر	شمال أفريقيا	جنوب سوريا - فلسطين الجزر العربية	شمال سوريا وبين نطس	بلاد النهرين	إيرادات
٣٥٠	غزو الاسكندر المقدوني				
٣٠٠	٢٣٤ - ٢٢٣ م. البطالمة ٢٢٠ - ٢٠ م.				
٢٥٠	بطليموس الثالث ٢٤٦ - ٢٢١ م.				
٢٠٠	الانباط تدمر				
١٥٠	دورا أوربا				
١٠٠	الأمبراطورية الرومانية				
٥٠	مصر ولاية رومانية ٣١				
١٠٠					
١٥٠					
٢٠٠					
٢٥٠	زنوبيا ملكة تدمر في الاسكندرية ٢٦٩				
٣٠٠	التقويم القبطي ٢٨٤ م. في عهد دقلديانوس				
٤٠٠	قسطنطين يعتنق المسيحية ٣٢٣ ويعترف بها في اتحاد الامبراطورية				
٥٠٠	جستنيان ٥٢٧ - ٥٦١				
٦٠٠	الساسان في مصر عام ٦١٩ - هـ قبل يطرد هم عام ٦٢٠				
٦٥٠	الفتح العربي ٦٤٨				

الباب الأول

العصر الإغريقي الروماني

فتح الإسكندر المقدوني لبلاد الشرق - قيام الإمبراطورية الرومانية

الفن الهيلينستي

تمهيد تاريخي :

ظهر الإسكندر المقدوني على المسرح العالمي في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد . وكان مجيئه سبباً في ختام آخر فصل في تاريخ شعوب العالم القديم وبداية فصل آخر جديد امتزج الشرق فيه مع الغرب ، تم كل ذلك في فترة قصيرة . بعد أن تمكن الإسكندر من استرداد المستعمرات الإغريقية بآسيا الصغرى من الفرس في عام ٣٣٤ ق . م ، اتجه شرقاً لغزو ممتلكات الإمبراطورية الفارسية ، فاستولى على صور وفلسطين عام ٣٣٢ ق . م ، ثم اتجه إلى مصر في العام نفسه وفتحها دون مقاومة تذكر ، واستولى على سوريا والعراق عام ٣٣١ ق . م ، وتمت له السيطرة على إيران بعد أن هزم دارا الثالث آخر ملوك الفرس الإكمينيين في موقعي أسوس عام ٣٣٣ ق . م وأربل في عام ٣٣٠ ق . م وامتدت فتوحاته شرقاً حتى بلاد الهند ، واتخذ بابل عاصمة لمملكته الجديدة .

بعد أن أصبح الإسكندر المقدوني الوريث الشرعي للإمبراطورية الفارسية ، بدأ ينشر الهيلينية الإغريقية في العالم الشرقي . وقد مهد الطريق لنشر الحضارة والثقافة الهيلينية عن طريق صهر الروح الهيلينية والروح الشرقية في بوتقة واحدة . وتوصل إلى هذا المزج عن طريق تأسيس مدن جديدة على الطراز الهيليني في وادي الفرات وفي مصر وعلى ضفاف السند ، أسكنها الإغريق والمقدونيين . وكان أشهر هذه المراكز الهيلينية مدينة الإسكندرية في مصر التي نافست شهرتها في تلك الفترة شهرة أثينا . ولقد تقرب إلى الشعوب المغلوبة

عن طريق الاعتراف بدياناتها ، وتزوج من أميرة فارسية اسمها «زوكسانا» وشجع قواده على الزواج من هذه الشعوب .

توفي الإسكندر في مدينة «سوسا» في عام ٣٢٣ ق . م ، وبذلك بدأ النزاع بين قواده على تقسيم الإمبراطورية الهيلينية الشرقية . وقسمت في النهاية إلى ثلاثة أقسام : مصر وكانت من نصيب بطليموس ، سوريا وبلاد النهرين وإيران وكانت من نصيب «سلوقس» ، فرغاموس وكانت من نصيب «أتالوس» . وبقيت مقدونيا تحت حكم أنتيجونيس .

اتبع خلفاء الإسكندر سياسته في نشر الحضارة الهلينية في البلاد التي استقلوا بحكمها ، وأقاموا مدناً جديدة كمراكز لهذه الثقافة ، اشتهر منها سلوقية على نهر دجلة وأنطاكية على نهر العاصي ، كما ظهرت شهرة فرغاموس بآسيا الصغرى كإحدى عواصم العالم الهلينيستي .

تميز العصر الهلينيستي الجديد الذي خضعت فيه بلاد الشرق الأوسط لعائلات مقدونية مستقلة ، ببدء ظهور صراع بين هذه البلاد التي كانت متحدة قبل ذلك . فتكثر المنازعات بين البطالسة وبين السلوقيين ، وبين السلوقيين والفرثيين ملوك إيران . إلا أن هذه الخلافات لم تمنع اشتراك هذه المناطق في التأثير بالأساليب الثقافية الإغريقية .

ترعمت روما في تلك الفترة البلاد الغربية بعد انتصارها على قرطاجنة . وكدولة عظمى تجارية كان عليها أن تحافظ على السلام في البحار المحيطة . لذلك تدخلت في سياسة الشرق الهليني . فتحالفت مع الدول التجارية المسالمة مثل مصر وروودس وفرغاموس وحاربت الأسرة السلوقية عام ١٩٠ ق . م واستولت على ممتلكاتها . وتمت لها السيطرة على الشرق بعد أن بسطت نفوذها على مقدونيا ومصر وآسيا الصغرى ثم سوريا .

صارت هذه الممالك الهلينية الإغريقية بعد أن أصبحت ولايات رومانية منطقة حاجزة بين الدولة الرومانية وبين الدولة الفرثية التي استولت على حكم إيران في عام ٢٥٠ ق . م بعد أن طردت السلوقيين منها . وكان الجزء الغربي من بلاد الشرق الأوسط في نهاية القرن الأول ق . م . جزءاً من الإمبراطورية الرومانية وكان الجزء الشرقي - إيران وبلاد النهرين - خاضعاً لحكم الأسرة الفرثية .

تأسست الإمبراطورية الرومانية في عهد إكتافيوس (٣٠ ق . م - ١٤ م) بعد اتساع ممتلكات روما في الشرق حتى حدود الفرات ولقب « أغسطس » . وتولى الحكم بعده أفراد من أسرته أشهرهم نيرون (٥٤ - ٦٨ م) وتراجان (٩٨ - ١١٧ م) الذي أضاف أرمينيا وبلاد النهرين إلى الإمبراطورية إلا أن حدود الدولة انكمشت مرة ثانية إلى نهر الفرات في عهد خليفته هادريان (١١٧ - ١٣٨ م) . وكثرت الحروب مع البرابرة في عهد ماركوس أورليوس (١٦١ - ١٨٠ م) .

كان لروما في تلك الفترة وظيفة قيادية في تاريخ العالم تحددت خطوطها ، ففى الغرب أخذت على عاتقها توطيد دعائم القانون والمدنية بين شعوب الغرب البرابرة على حين اقتصرت رسالتها في الشرق على المحافظة على بنية المدينة الهيلينية التي تفوق مدنيها ، والتي أقامها الإسكندروخلفاؤه في بلاد الشرق الأوسط .

ضعفت الإمبراطورية الرومانية ضعفاً شديداً بعد موت ماركوس أورليوس ، وساءت الأمور في عهد كركلا (٢١١ - ٢١٧ م) وحاول الإمبراطور دقلديانوس ٢٨٤ - ٣٠٥ م إصلاح ذلك بتقسيم الإمبراطورية الكبيرة بين حاكمين . الجزء الشرقى اختص هو به ، وكان مركز حكمه روما ، والجزء الغربى تركه لحاكم آخر مركز حكمه ميلانو . إلا أن هذا النظام زال بوفاة . حيث وحد الإمبراطور قسطنطين ٣١٣ - ٣٣٧ م حكم الإمبراطورية مرة ثانية في العاصمة روما .

انتقل مركز حكم الإمبراطورية الرومانية الموحدة إلى الشرق بعد أن آمن قسطنطين بالدين المسيحى وأسس عاصمته الجديدة وأسماها القسطنطينية .

لم يكن لسيادة الرومان في منطقة الشرق الأوسط أثر حضارى ظاهر ، فلم يحاول الرومان الذين كانوا معجبين بالحضارة الإغريقية تغيير أى شىء من الثقافة الهيلينية التي وجدوها في البلاد . وبذلك لم تكن مهمة روما الخلق وإنما كانت المحافظة على استمرار التقاليد الهيلينية . كما استمر استخدام اللغة الإغريقية .

وقد تعلم الرومان الارستقراطيون من الإغريق تقدير الآداب وتذوق الفنون . وحمل قوادهم إلى روما روائع أمثلة النحت الإغريقى ليزينوا بها منازلهم . ولم يقتصر اهتمام الرومان على الاحتفاظ بآثار الماضى التذكارية بل نجد أنهم شجعوا الفنانين الإغريق على ابتكارات

جديدة في الفن ، حيث إن الرومان لم يصبحوا قط فنانيين مثل الفنانين الإغريق كان لانتصار الإسكندر المقدوني على دارا الثالث الفارسي (ش ١) أثر كبير في فنون الشرق الأوسط القديم . حيث إن الفن الهيليني الذي ظهر في بلاد الإغريق منذ القرن الرابع ق . م . كان يعبر عن النظرة إلى الحياة التي تغيرت وأصبحت واقعية . . وكان يتميز بإتقان الصنعة وتصوير العواطف الإنسانية التي تبرز الخصائص الفردية . ونتج عن امتزاج الفن الهيليني الإغريقي في خلال الحقبتين المقدونية والرومانية مع الفنون المحلية القديمة طراز قى جديد عرف بالطراز الهيلينستي . ولقد ازدهر هذا الطراز في الأقاليم التي تأثرت بالهيلينستية . ولقد نشأت ثقافة وفنون هيلينستية في الإسكندرية وسلوقية وأنطاكية وفي فرغا موس ورودس ، وامتدت هذه الثقافة وفنونها إلى الولايات التابعة للفترة الإغريقية الرومانية في شمال أفريقيا وفي الجزر العربية .

ولقد كان للإسكندرية دور هام في ازدهار الحضارة والفنون في العصر الهيلينستي ، وزارها كثير من المؤرخين أشهرهم « إسترابو » الذي زارها عام ٢٤ ق . م وأطلق على المدينة « خزان عالمي » لما حوته من أجناس متعددة : إغريقين ، مقدونيين ، مصريين ، نوبيين وجالية يهودية كبيرة .

(شكل ١) فسيفساء منقولة من أرضية قصر فاوثر بمدينة بومبي إلى متحف نابولي ، تصور معركة حرية بين داريوس الثالث واسكندر لمقدوني . وترجع إلى القرن الأول أو الثاني ق . م . منقولة عن تصوير جداري من عهد الإسكندر ، القرن ٣ ق . م .



الفصل الأول

مصر

البطالة (٣٠٥ - ٣٠ ق . م)

كانت مصر ولاية فارسية عندما وصل الإسكندر إلى حدودها الشرقية في عام ٣٣٠ ق . م . ولم يقاومه المصريون تخلصاً من تعسف حكم الفرس الأكمنيين . وتقرب الإسكندر إليهم باحترام آلهتهم ، فقدم القرابين إلى أيس وبتاج عندما وصل إلى منف ، وإلى آمون عندما زار معبده الموجود بواحة سيوه . وتوجه الكهنة ابناً لآمون تبعاً للتقاليد المتبعة مع فراعنة مصر . واتخذ شعاره قرني الكبش المصرى المقدس ، ومن ذلك عرف باسم « إسكندر ذى القرنين » . وشيدت الإسكندرية في عهده في عام ٣٢٢ ق . م بجوار قرية راقودة المصرية .

وبعد وفاته حكم بطليموس الأول مصر في أول الأمر بصفته والياً من قبل الإغريق ، إلا أنه استقل بالحكم بعد فترة وحكم باسم ملك مصر في عام ٣٠٥ ق . م ، واستمرت أسرته في حكم مصر إلى أن اندمجت في الإمبراطورية الرومانية عام ٣٠ ق . م بعد وفاة آخر حكامها كليوبترا السابعة .

حكم البطالسة مصر على مناهج قدماء المصريين بالرغم من ظهور العنصر الإغريق بكثرة في البلاد وبخاصة في العاصمة الإسكندرية . وحافظوا على سياسة الإسكندر ، واكتسبوا حب المصريين بالتقرب إلى آلهتهم . وأصبحت الإسكندرية في عهد بطليموس الثاني ٢٨٥ - ٢٤٧ ق . م . والثالث ٢٤٨ - ٢٢٣ ق . م . من أكبر مراكز الحضارة الهيلينية ، كما تفوقت عليهم بفنونها وأصبحت مهبط المعارف والفنون ، وأخذت المركز الثانى بعد أثينا في الحضارة والثقافة الإغريقية .

وتستدعى هذه الفترة النظر بمؤلفاتها التاريخية . حيث كلف بطليموس الثانى الكاهن المصرى مانيتون بكتابة تاريخ ملوك مصر القدماء ، وشيدت في عهده مكتبتان

عظيمتان «دار الكتب» و«دار المتحف» وكان يؤمها العلماء الإغريق من أنحاء العالم الهيلينى . ومن أمثال إقليدس المهندس وأرشميدس العالم .

وعندما ضعف الحكام البطالسة وكثرت منازعاتهم فى عهد بطليموس الخامس^(١) طلب حماية الرومان لحكمه فبسطت الجمهورية الرومانية حمايتها على مصر عام ١٦٨ ق . م وحاربت أعداءها السلوقيين فى الشرق . وكان من نتائج ذلك أن اشتبك البطالسة فى حروب الأحزاب القائمة فى روما . ولما لجأ إلى مصر ، طارده يوليوس قيصر فى عام ٤٨ ق . م . وكان ذلك فى عهد كليوباترة ، السابعة التى أحبا القائد الرومانى أنطونيو . وقام بينه وبين أوكتافيوس صديقه منازعات لمصلحة الملكة الإغريقية انتهت بانتصار أكتافيوس فى واقعة أكتيوم البحرية عام ٣٠ ق . م . وبانتحار كليوباترة . وصارت مصر منذ ذلك التاريخ ولاية رومانية حتى الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى .

وبالرغم من أن الهيلينستية سادت فى ممتلكات الإسكندر بعد موته فإن حماس البطالسة فى نشر رسالة الهيلينة فى ممتلكاتهم لم يكن كافياً . واقتصر ظهور الفن الهيلينستى فى مصر على الإسكندرية العاصمة .

كان البطالسة يعيشون على الطريقة الإغريقية فى حياتهم الخاصة إلا أنهم آمنوا بالديانة المصرية القديمة واتبعوا تقاليدها . لذلك ساد الفن الإغريقى الهيلينى المرتبط بالشئون الدنيوية جنباً إلى جنب مع الفن المصرى القديم المتعلق بالنواحي الدينية . وانتشرت آثار الفن الأول فى الإسكندرية على حين انتشر الفن الدينى فى مصر العليا .

العمارة :

خططت الإسكندرية فى عهد الإسكندر على أسلوب المدن الإغريقية وقامت بها العمار من إنشاءها حتى آخر عهد بطليموس الثانى الذى أقام منارة عالية لإرشاد السفن ، كما شيد بالعاصمة المكتبتين الشهيرتين . وشيد بطليموس الرابع ٢٢٢ - ٢٠٥ ق . م معبداً للآلهة سيرابيس وأريس .

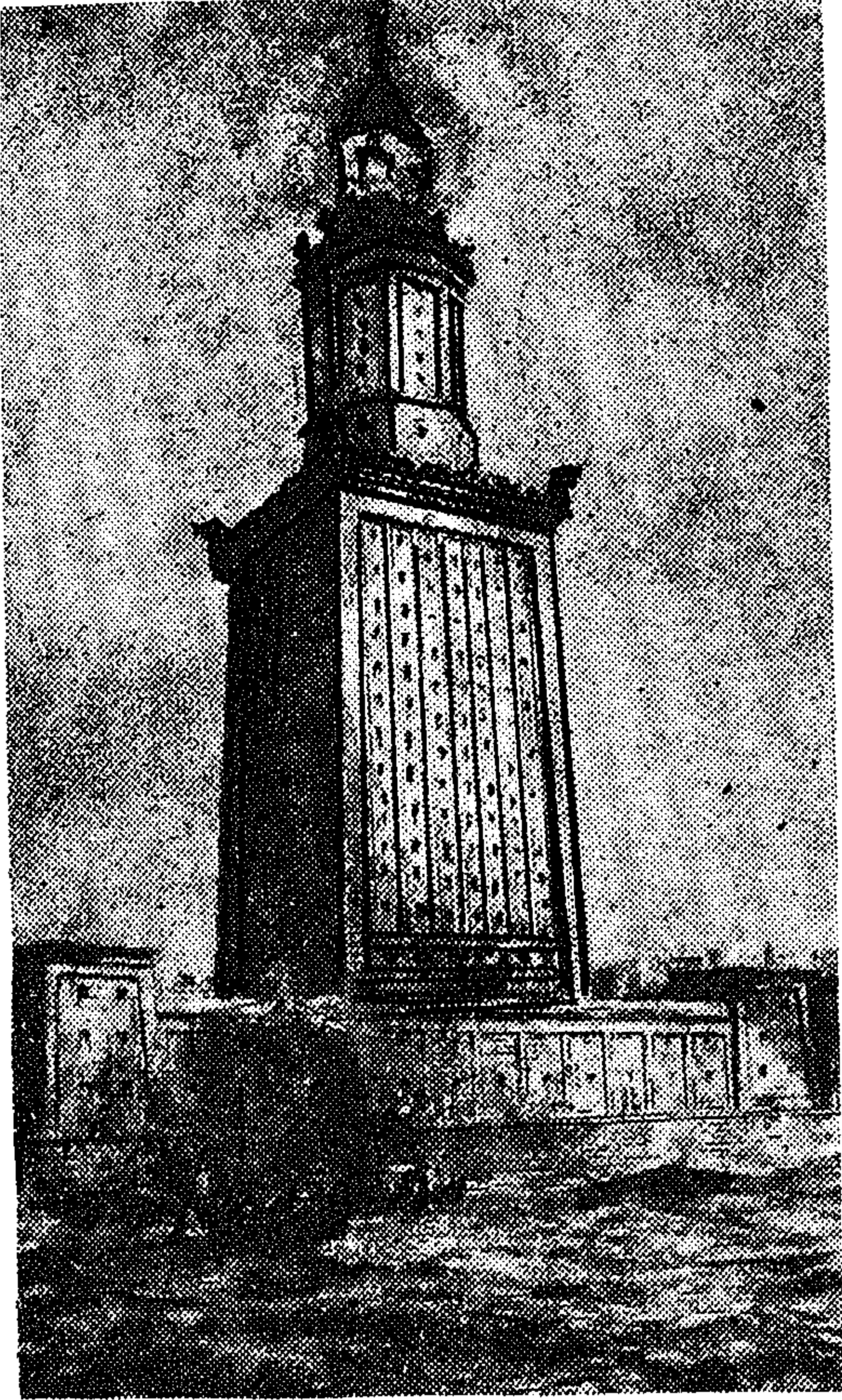
(١) كتب حجر رشيد فى عهد هذا الحاكم .

ومنارة الإسكندرية (ش ٢) التى كانت تقع فى الجزء الشرقى من جزيرة فاروسى ، اعتبرت فى الماضى إحدى عجائب العالم القديم . وتتكون المنارة من ثلاثة طوابق : الأرضى وقاعدته على هيئة مربع وارتفاعه حوالى ستون متراً ، والثانى على هيئة مئذنة وارتفاعه ثلاثون متراً ، أما الطابق الثالث فكان أسطوانى الشكل يعلوه مصباح ، ويعلو قبة المنارة تمثال إله البحر بوسايدون . وكانت المنارة سليمة حين دخل العرب مصر . ودمرت فى عهد ابن طولون ودمرها زلزال عام ١٣٠٧ .

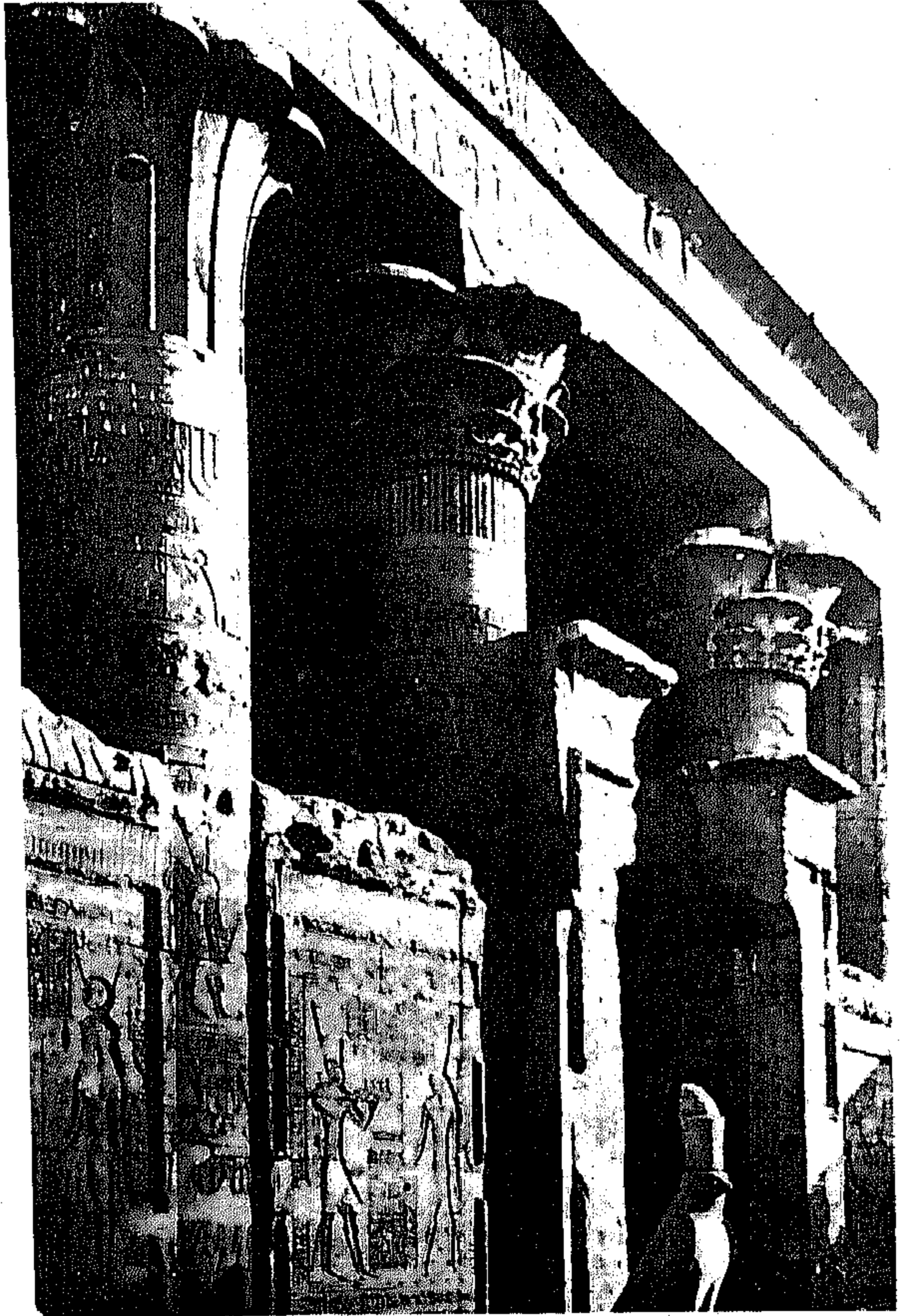
أما المكتبتان « دار الكتب » و « دار المتحف » فلا نعرف شيئاً عن تخطيطهما حيث اندثرتا إثر حريق . ولقد كان لهما شأن كبير فى نشر الثقافة فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية وذلك بفضل ما حوته كل منهما من كتب ثمينة . فالمكتبة مثلاً كانت تحوى فى عهد بطليموس الأول مائتى ألف مجلد ، وفى عهد بطليموس الثانى حوالى أربعمئة ألف فى شتى المجالات . وزاد العدد فى عهد بطليموس الثالث فبلغ حوالى سبعمئة ألف مجلد . إلا أن هذه المكتبة العظيمة أصابها الاضمحلال إثر الاحتلال الرومانى لمصر . أما متحف الإسكندرية الذى كان ملحقاً بالقصر الملكى فكان يفد إليه العلماء والباحثين ليتفرغوا للبحث فى مراجعه وكتبه . كما شيد هذا الملك واجهة بوابة « خنسو » فى معبد الكرنك وأتم معبداً للإلهة إيزيس فى جزيرة فيلة ومعبداً لأوزوريس فى كانوب . ولقد امتد تأثير الفن المصرى إلى ليبيا فى عهده بعد زواجه من برينيكى أميرة برقة التى ضمها إلى حكمه . كذلك وجدت مكتبة فرعية ملحقة بمعبد الإله سيرايس الذى أقامه بطليموس الرابع فى السيرايوم . وقام بتصميم هذا المعبد مهندس إغريقى لذلك كان محاطاً بالأعمدة المرتفعة من الجهات الأربع على غرار طراز المعبد الإغريقى ، كما تصدر الحجرة الرئيسية بالداخل تمثال الإله سيرايس^(١) .

وإذا كان البطالة قد تقربوا إلى المصريين عن طريق احترام عقائدهم

(١) نحت الإله المصرى سيرايس على هيئة عجل أو على هيئة زيوس كبير آلهة الإغريق .



(شكل ٣) الفناء المكشوف بمعبد إدفو ، ويقف بجوار
مدخل القاعة المغطاة تمثال الإله حورس ، ويلاحظ
تيجان الأعمدة المركبة والنخيلية ، العصر البطلمي .



(شكل ٢) رسم لفنارة الإسكندرية كما كانت قبل زوالها .

وتقديسها ، فهم بذلك اتبعوا الأسلوب الذى سلكه إسكندر المقدونى الذى أقام مقصورة للإله آمون بمعبد الأقصر عندما رمه بعد غزوه لمصر .

اهتم البطالسة الذين آمنوا بالديانة المصرية بإقامة معابد للآلهة المصرية على نمط المعابد التى وجدوها بالوجه القبلى ، واقتبسوا كثيراً من معابد العهد الصاوى . فشيّدوا معابد فخمة فى مدن الوجه القبلى : أدفو ، دندرة ، إسنا ، كوم امبو ، فيلة . وأحسن نموذج لدراسة المعابد البطلمية هو معبد أدفو الذى شيّده بطليموس الثالث .

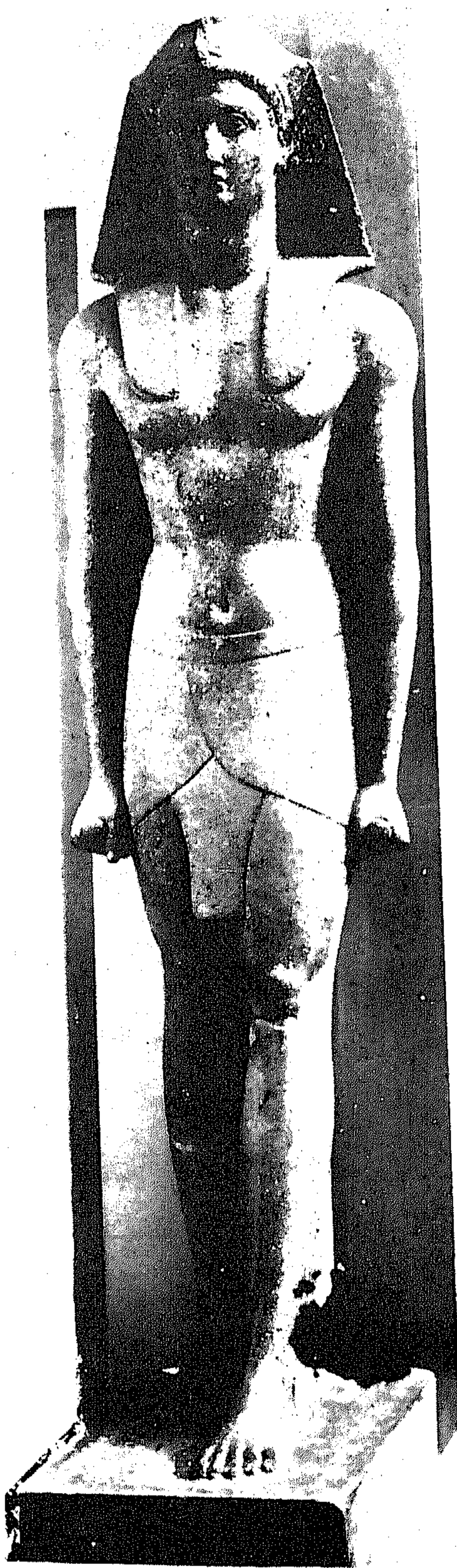
صمم هذا المعبد على النمط التقليدى المتبع فى المعابد المصرية ، أى طراز المعبد المستطيل الذى تقع أجزأؤه على محور واحد مستطيل . حيث يؤدى المدخل الذى يتوسط الواجهة إلى الفناء المكشوف (ش ٣) ثم إلى القاعة المغطاة ذات الأعمدة التى تنتهى بقدس الأقداس . وتتميز أعمدة هذا المعبد بالضخامة ، كما ظهرت به من جديد الأعمدة النخيلية التى اختفت فى عمارة الدولة الحديثة . كما نرى فى فناء المعبد تمثال الإله حورس الذى شيّد المعبد من أجله .

النحت :

التحق بيلاط الإسكندر فى فترة إقامته بالشرق الأوسط المثل الإغريقى « ليسياس » ويقال إنه قام بعمل تماثيل شخصية كثيرة له . ويتضح من إحدى هذه التماثيل التى تنسب له (ش ٤) ظهور الطابع الهيلينى الذى يتميز بالحوية والتعبير .

وقد شجع البطالمة المثلين الذين يقومون بأعمال تبعاً للتقاليد المصرية ، واستطاع المثلون المحليون أن يكونوا طرازاً إغريقياً خاصاً بهم ، فنجد أن التماثيل التى نحتت للمعابد والمقابر كانت استمراراً للأسلوب المصرى القديم مع ظهور التأثير الإغريقى . ومن التماثيل التى يظهر بها اختلاط الطرازين معاً ، تمثال عثر عليه بالكرك (ش ٥) يوجد حالياً بالمتحف المصرى بالقاهرة . ونلاحظ أن رأس التمثال الذى يصور شخصية إغريقية قد نحت بالأسلوب الإغريقى المعبر بالرغم من الوقفة والذى المصرى .

إلا أن عملية خلط الأساليب لا تستمر لفترة طويلة ، وذلك لتعذر مزج الأسلوب المصرى المترن بالأسلوب الهيلينى المعبر للاختلاف الشديد الموجود بين أسلوبيهما فتظهر



(شكل ٥) تمثال من الحجر لشخص يدعى إسكندر. ويلاحظ الوقفة المصرية مع أسلوب نحت الرأس الهيلينستي.



(شكل ٤) رأس من الرخام منقولة عن تمثال إسكندر الأكبر، من صنع الممثل ليسيبياس. النصف الثاني من القرن الرابع ق. م.



(شكل ٦) تمثال من الحجر لبطليموس الحادي عشر في الوقفة المصرية، متحف الفاتيكان.

بعد ذلك تماثيل منحوتة إما بالأسلوب المصرى (ش ٦) أو بالطابع الإغريقى (ش ٧) ، وذلك لأن كثيراً من فناني أثينا هاجروا إلى بلاط البطالة^(١) فى تلك الفترة واستوطن معظمهم الإسكندرية وأنتجوا طرازاً إغريقياً خالصاً .

وقد كانت الإسكندرية فى عهد البطالة مركزاً رئيسياً من مراكز النحت الهيلينستى ، وكان إنتاجها ينافس المراكز الهيلينستية الأخرى . وذكر أن بطليموس الرابع قد أمر بصناعة تمثال للإله سيرابيس ليوضع فى معبده ، وأن هذا التمثال الذى يرمز للعالم الآخر كان مثالا للقوة والجمال ، ويظهر على وجهه مسحة من الرقة بالرغم من الإحساس بالرهبة والجلال الذى يشعر بهما الناظر إليه . وكان ملوناً باللون الأزرق ، وعيناه مرصعتان بجوهرتين تلمعان فى ظلام المعبد . ويعلورأس التمثال مكيال قمح يرمز لمصر التى كانت تعد مركزاً رئيسياً لإنتاج الغلال . ويعتقد مؤرخو الفنون أن هذا التمثال كان من عمل المثال الإغريقى بارياكس الذى تتلمذ على يد المثال سكوباس .

عثر أيضاً على تماثيل من معبد سيرابيس فى منف كانت فى الغالب تصور الآلهة المصرية : آمون ، إزيس ، سيرابيس (ش ٨) ، إله النيل ، وكانت منحوتة بالأسلوب الإغريقى ، كما عثر على تماثيل واقعية لأفراد من الشعب .

ومن الأعمال الفنية الرائعة التى تمثل فن النحت الهيلينستى فى الإسكندرية ، تمثال لرجل مكتمل العمر مضطجع يستند على تمثال أبى الهول ، ومن حوله ستة عشر طفلاً صغيراً (ش ٩) وترمز هذه الشخصية إلى نهر النيل وفروعه ومنابعه . وكان المثالون فى تلك الفترة يقبلون على عمل تماثيل ترمز للمدن والأنهر . واقتبس الرومان هذه الفكرة الرمزية عندما نحتوا تمثالاً على هيئة رجل رمزاً لنهر التير الإيطالى . ولقد أنتجت مدرسة الإسكندرية تماثيل للآلهة المصرية من الطين المحروق ، وتظهر أحيانا هذه الآلهة بالشكل الإغريقى ، ويوضح ذلك تمثال يصور الإلهة إيزيس جالسة حاملة ابنها . كذلك ساهمت مدرسة الإسكندرية فى عمل تماثيل فخارية صغيرة تصور نساء (ش ١٠) ولقد عرفت هذه التماثيل التى أنتجت فى المراكز الهيلينية باسم «تناجرا» ومن الأعمال الواقعية تمثال من البرونز (شكل ١١)

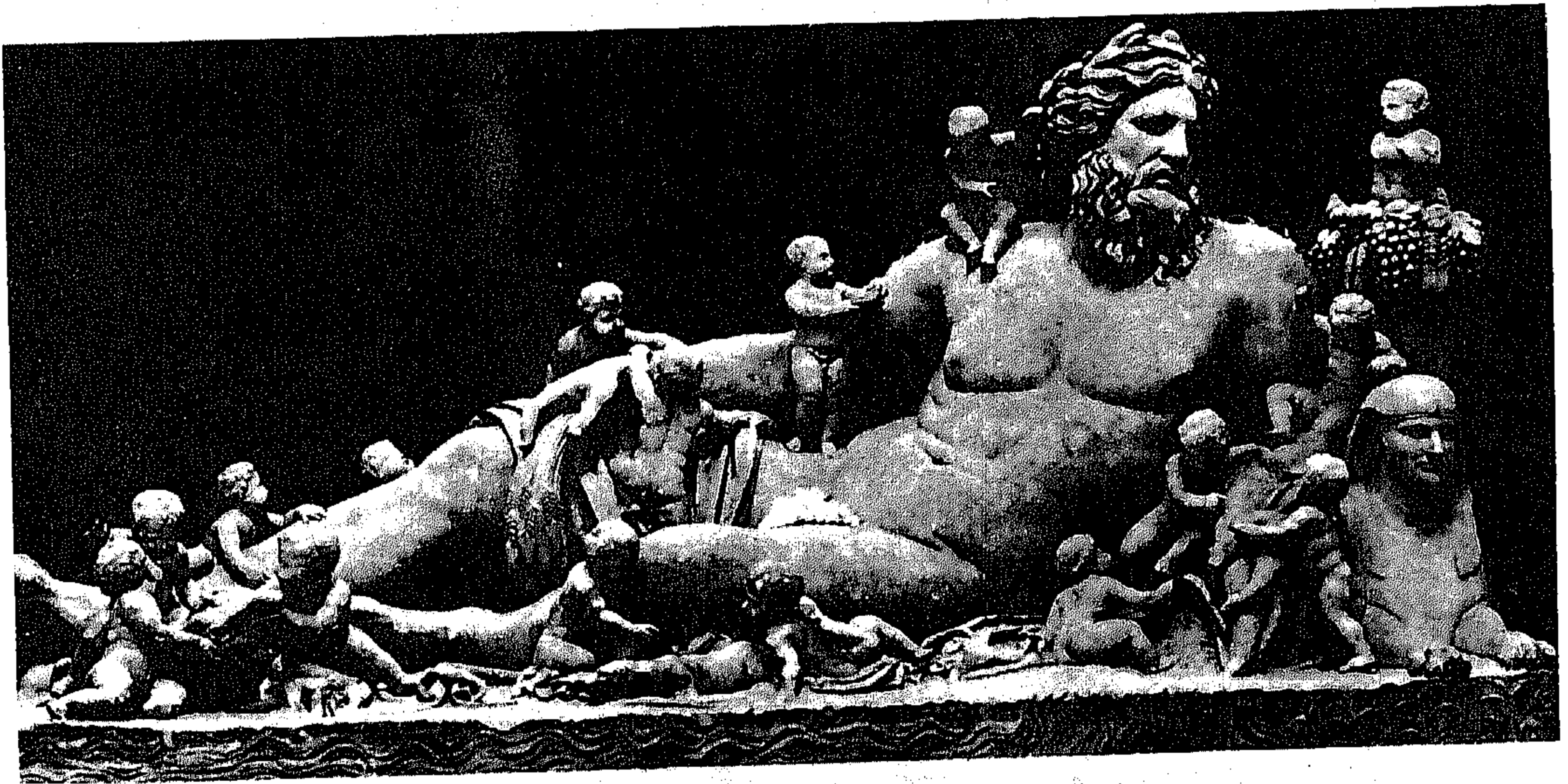
(١) عمل أبناء المثال الإغريقى براكتيل فى بلاط البطالة بالإسكندرية وأسسوا بها أسلوباً تميز بالرقّة .



(شكل ٧) رأس تمثال سيدة من الحجر ، العصر الهيلينستي ،
حالياً بالمتحف الإغريقي الروماني بالإسكندرية

(شكل ٨) تمثال نصفي للإله سيرابيس على هيئة
الإله الإغريقي زبوس المتحف اليوناني الروماني
الإسكندرية

(شكل ٩) تمثال النيل ، على هيئة رجل مكتمل العمر مضطجعاً ومستنداً إلى
تمثال أبو الهول ، ومن حوله ستة عشر طفلاً يمثلون فروعه . ينسب إلى مدرسة
الإسكندرية في العصر الهيلينستي . متحف الفاتيكان .





(شكل ١٠) تمثال من الفخار لسيدة عرفت باسم
التاجرا المتحف اليوناني الروماني .



(شكل ١١) تمثال صغير من البرونز لصبي نوبي ، مدرسة
الإسكندرية ، العصر الهيلينستي ، متحف اللوفر

النقش على الحجر :

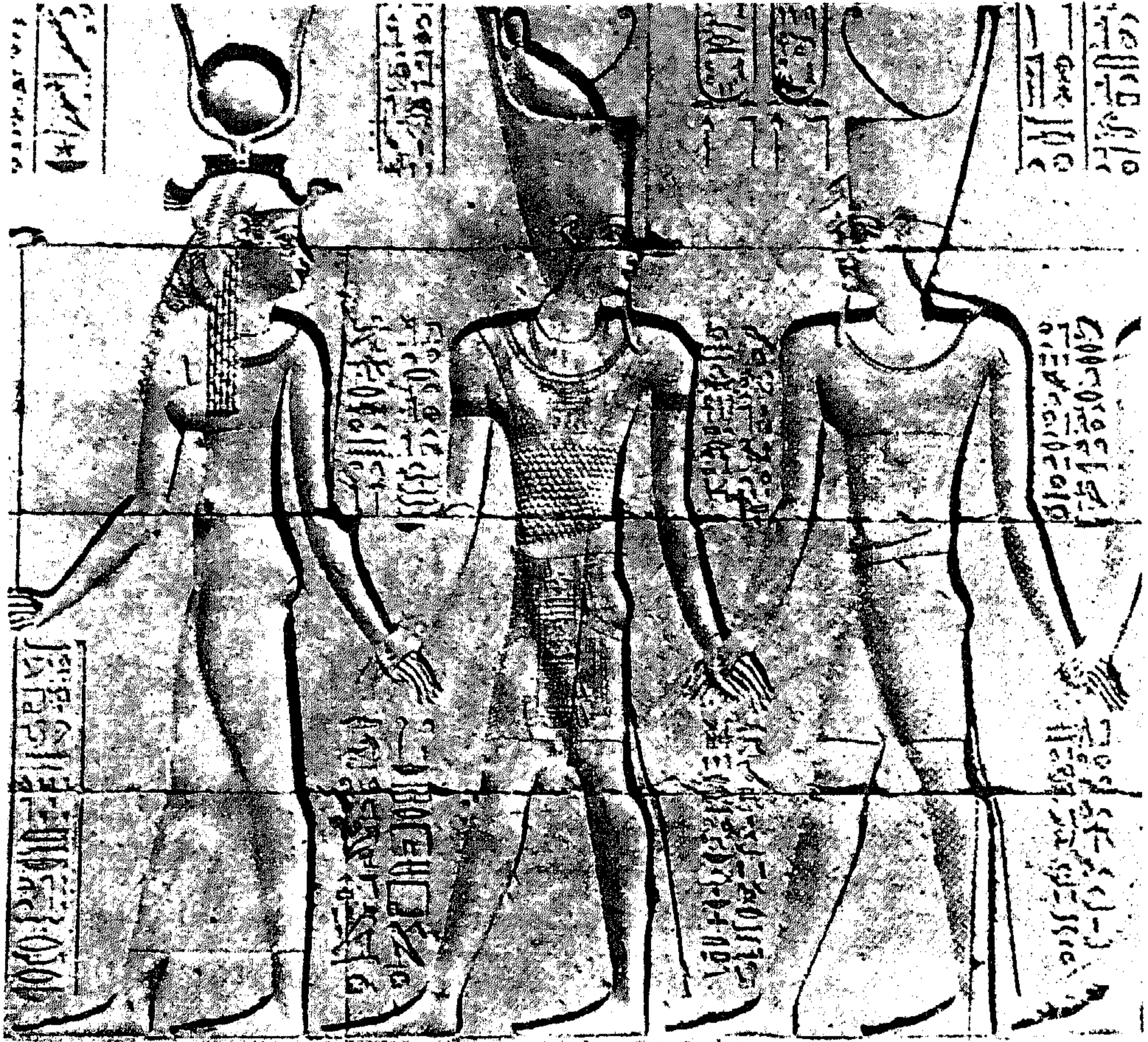
توضح النقوش التي وجدت على شواهد القبور والمعابد المراحل التي مر بها فن النحت على الأحجار في العصر البطلمي . ومن الملاحظ في هذه الأعمال أن أسلوب تنفيذ الموضوعات المصرية أو الإغريقية كان إما بالأسلوب الإغريقي أو المصري . فلاحظ مثلاً أن الموضوعات المنقوشة على شواهد قبور الجالية الإغريقية ، منفذة إما بالأسلوب الإغريقي (ش ١٢) ، وإما بالخطوط شديدة الغور التي سادت في نقوش العصور المصرية المتأخرة .



(شكل ١٢) شاهد قبر من الحجر المتحف اليوناني الروماني . الإسكندرية

لم تختلف الموضوعات المنقوشة على جدران المعابد البطلمية في الغالب عن الموضوعات الموجودة على جدران المعابد المصرية . ويتضح ذلك في نقش يصور الملك بطليموس الثاني مرتدياً التاج المزدوج محاطاً بالآلهة (ش ١٣) . ونلاحظ أن نقوش العصر البطلمي تتميز بعمق واضح يذكرنا بنقوش الأسرة العشرين .

ويستمر هذا الأسلوب حتى نهاية العصر ويوضح ذلك نقش وجد على معبد دندرة يصور كليوباترة السابعة على هيئة الإلهة إيزيس (ش ١٤) .



(شكل ١٣) نقوش غائرة على أحد جدران معبد إدفو تصور الملك بطليموس الثاني محاطاً بالآلهة



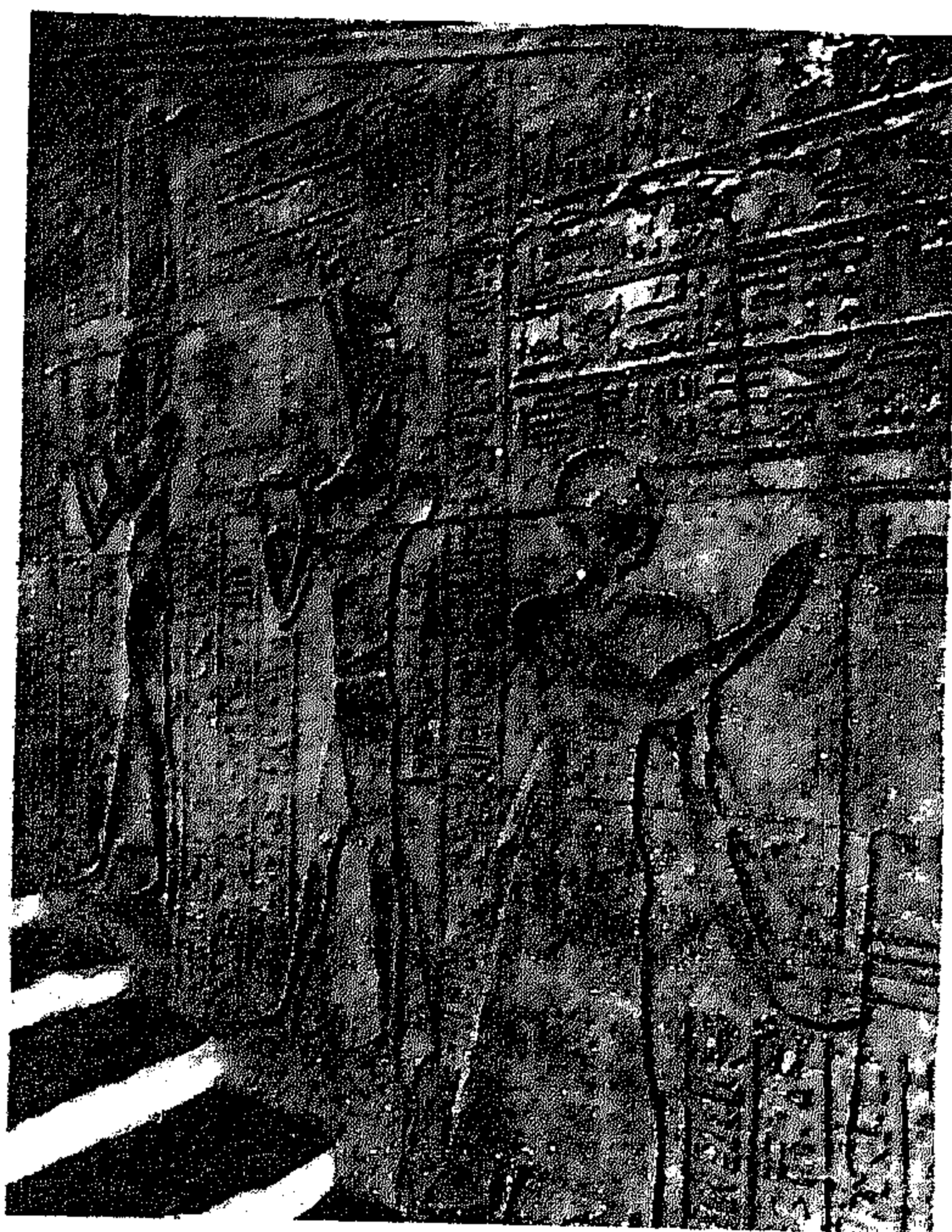
(شكل ١٤) نحت غائر يصور كليوباترة السابعة على هيئة الإلهة إيزيس . معبد دندره

وبالرغم من ضعف انتشار تأثير الفن الفارسي الأكميني بين شعوب الأقطار التي حكمها الفرس قبل الغزو الإغريقي ، فإننا نلاحظ تأثيرات منه تظهر في العصر البطلمي . ويتضح ذلك في نقش على جدران الدرجات الصاعدة إلى سقف معبد أدفو (ش ١٥) حيث تذكرنا صورة الملك والكهنة يصعدون السلم في الاحتفالات الدينية بالنقوش البارزة الموجودة على جدران برسيبوليس بإيران (ش ١٦) .

التصوير

شجع الحكام المقدونيين الفنانين الإغريق على ترك أثينا والالتحاق ببلادهم . ومن المصورين الذين التحقوا ببلاط بطليموس الأول . المصور « أنتفيلوس » . ولقد عثر على تصاوير جدارية في الإسكندرية في مقبرة تيجران ويتضح من دراستها وجود الموضوعات المصرية والإغريقية في مكان واحد . فيتوسط سقف المقبرة رسماً يصور « ميدوزا » إحدى بطلات الأساطير الإغريقية موضوعة في شكل

(شكل ١٥) نحت على جدار درجات معبد إدفو
يصور المواكب الصاعدة في الاحتفالات الدينية



(شكل ١٦) نقش بارز على جدار درجات قصر
برسيبوليس ، العصر الأخميني ، إيران





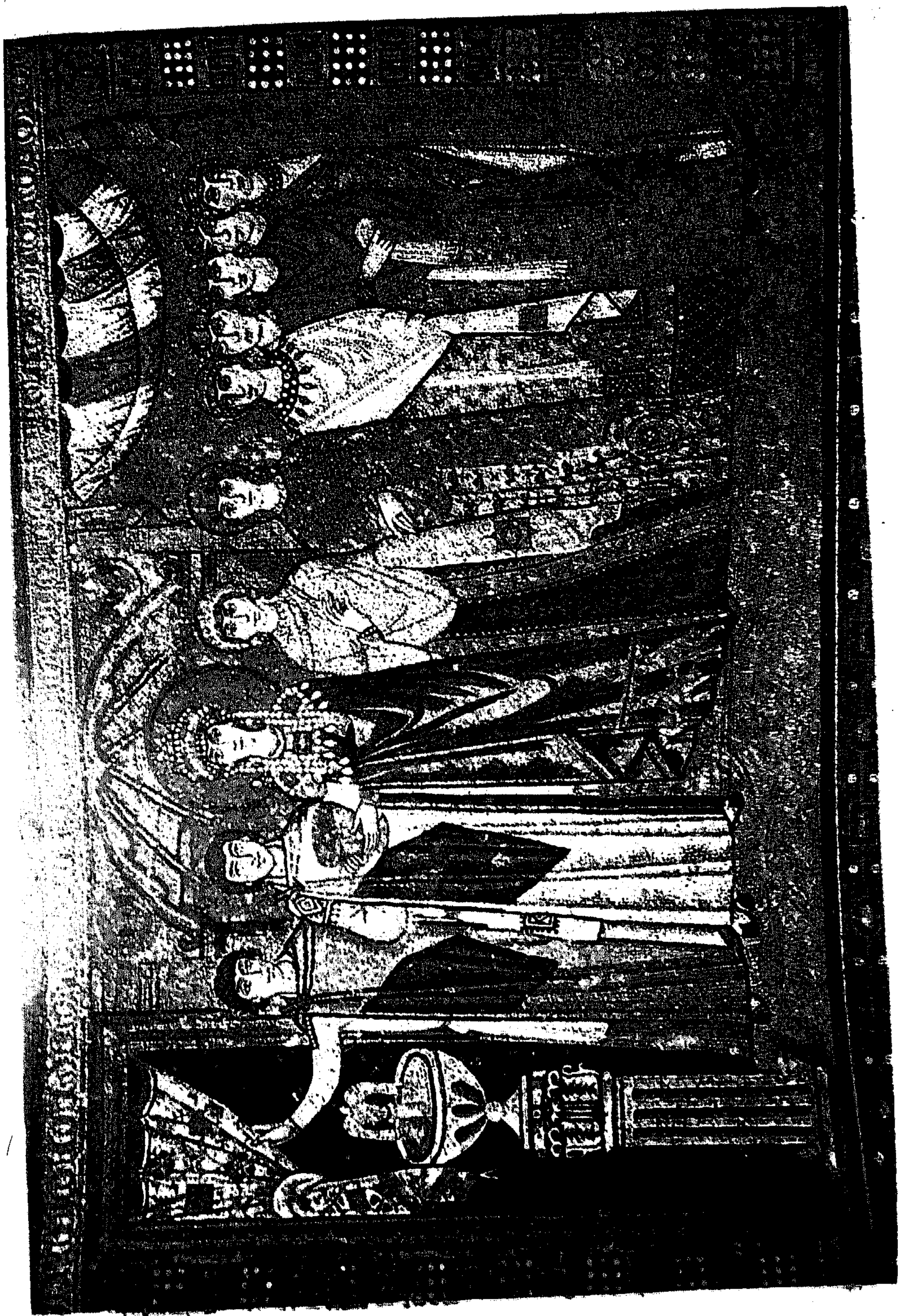
(شکل ۱۷) تصویر جدارى وجد على سقف مقبرة بالإسكندرية يتوسطه رأس ميدوزا



(شکل ۱۸) تصویر جدارى وجد على جدران مقبرة بالإسكندرية بصور
موضوعا مصر يا الآلهة أوزيريس وإيزيس ونفتيس .



صورة ملونة لرجل على لوح من الخشب وجدت بمدينة الفيوم ، القرن الثاني ، العصر الروماني
في مصر



لوحة من الفسيفساء في كنيسة القديس قنال بمدينة اقنا . تصور الإمبراطورة تيودورا مع
وصيفاتها ، القرن السادس العصر البيزنطي

هندسى ، (ش ١٧) يحيط به تفريعات نباتية وأشكال حيوانية .
 وفى الجزء الواقع أسفل السقف مباشرة وجدت لوحة تصور جثمان الإله
 « أوزوريس » موضوعا على سرير ، ويقف بجواره من الجهتين الإلهتين « إيزيس »
 و « نفتيس » (ش ١٨)

الفنون الصغيرة

اشتهرت الإسكندرية وبرجامون بكونهما مركزين هامين لصناعة المعادن بين
 المراكز الهيلينية . ولقد سجلت أعمال صناع المعادن على تصاوير جدارية فى مقبرة من
 العصر البطلمى - فى جبانة هرمو بوليس ، تونا الجبل - خاصة بكبير كهنة توت
 « بتوزيرس » (ش ١٩)

وتلاحظ فى تصميم هذه الأعمال التأثير الفارسى خاصة فى إناء الشراب وفى
 العمود الذى يعلوه تاج من زهر اللوتس يحمل حيوانات رابضة ، ولقد ظهرت
 تيجان مشابهة لذلك فى قصر برسيبوليس الفارسى .



(شكل ١٩) نقش على جدار مقبرة الكاهن بتوزيرس بتونا الجبل ، مصر
 العليا ، يصور صناع المعادن العصر البطلمى

وكانت هذه الأعمال الفضية والذهبية تصب على قوالب من الجص تنقش عليها الزخارف المطلوبة . . ويوضح ذلك قالب إناء من الجص عثر عليه في الدلتا زخرف بنقش للإلهة إيزيس جالسة ومعها الطفل حورس بجوار أبوالهول (ش ٢٠) كذلك انتشرت في العصر الهيلينستي فكرة نقش صور الملوك على العملات الفضية والذهبية بالإضافة إلى أشكال الآلهة . واستعان الحكام بالمصوريين الإغريق لعمل صور شخصية لهم نفذت على عملاتهم ويوضح ذلك عملة تصور الإسكندر المقدوني وعلى رأسه تاج ذو قرنين (ش ٢١) .

ولقد أقيمت دار سك العملة في الإسكندرية في العصر البطلمي ، ونلاحظ في نقش صور هؤلاء الحكام الأسلوب الهيلينستي الواقعي الذي تظهر به خصلات الشعر متطايرة ويتضح ذلك في عملة تصور بطليموس الأول (ش ٢٢) .

ولقد سكّت ميدالية برونزية في عصر البطالة بمناسبة وفاة الإسكندر ولا بد أن المصور انتفيلوس ، عمل له صوراً شخصية نفذت على العملات الفضية . وعرفت الميدالية التذكارية البرونزية في مصر في عصر البطالة منذ عام ٢١١ ق . م عندما سكّت واحدة بمناسبة وفاة الإسكندرية الرابع .



(شكل ٢٠) قالب إناء من الجص به نقش لموضوع مصرى . إيزيس وحورس . متحف برلين



(شكل ٢١) عملة منقوشة بصورة الإسكندر مرتدياً
تاجاً مصرياً ذا قرنين .



(شكل ٢٢) عملة منقوشة بصورة بطليموس الأول .
« سوتر » مؤسس أسرة البطالمة بمتحف لاهاي .



(شكل ٢٣) حجر كامبو به نقش لرأس
بطليموس الثاني وأخته

وتفوقت الإسكندرية وأنطاكية بين البلاد الهيلينية بكونها مركزين لنحت حجر نصف كرم يعرف باسم «كاميو»^(١) ولقد تقدمت هذه الصناعة في العصر الهيلينى وبرع الفنانون فى نقش الموضوعات التى تتميز بالدقة المتناهية . ولقد وجدت نماذج منه نقش عليها صورة إسكندر ووالدته أولمبيا ، كما عثر على حجر به نقش بطليموس الثانى وأخته (ش ٢٣) .

الرومان (٣١ ق . م - ٣٠٦ م)

لم تكن مصر مركزاً للحضارة الهيلينية فى حكم الرومان مثلما كانت فى عصر البطالمة . ويختفى الطابع المصرى القديم تقريباً بعد سقوط دولة البطالمة ، ويسود طابع جديد إغريقى رومانى يعتبر امتداداً للفن الهيلينى الذى ظهر فى البلاد التابعة لحكم خلفاء الإسكندر . ويتشرب هذا الطابع الهيلينى الرومانى بصفة خاصة فى الإسكندرية والقيوم لوجود جاليات إغريقية رومانية بهما .

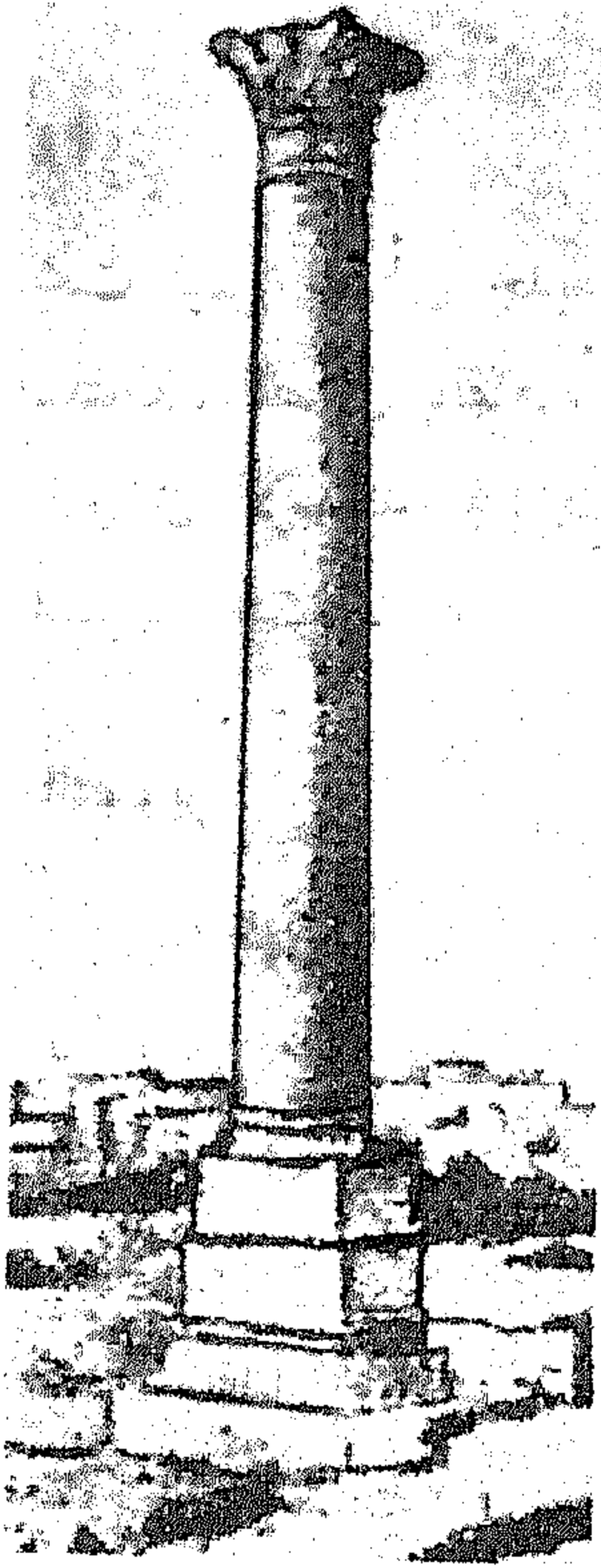
العمارة :

أضاف بعض الأباطرة المصلحين أجزاء إلى المعابد البطلمية (ش ٢٤) كما شيد الإمبراطور هادريان مدينة بالقرب من أسيوط عرفت باسم أنطونيوس ، حالياً « الشيخ عبادة » . ولقد أقامت الجالية اليهودية بالإسكندرية عموداً تذكاريّاً للملك دقلديانوس (ش ٢٥) استمد شكله من الأعمدة التذكارية الكورنثية .

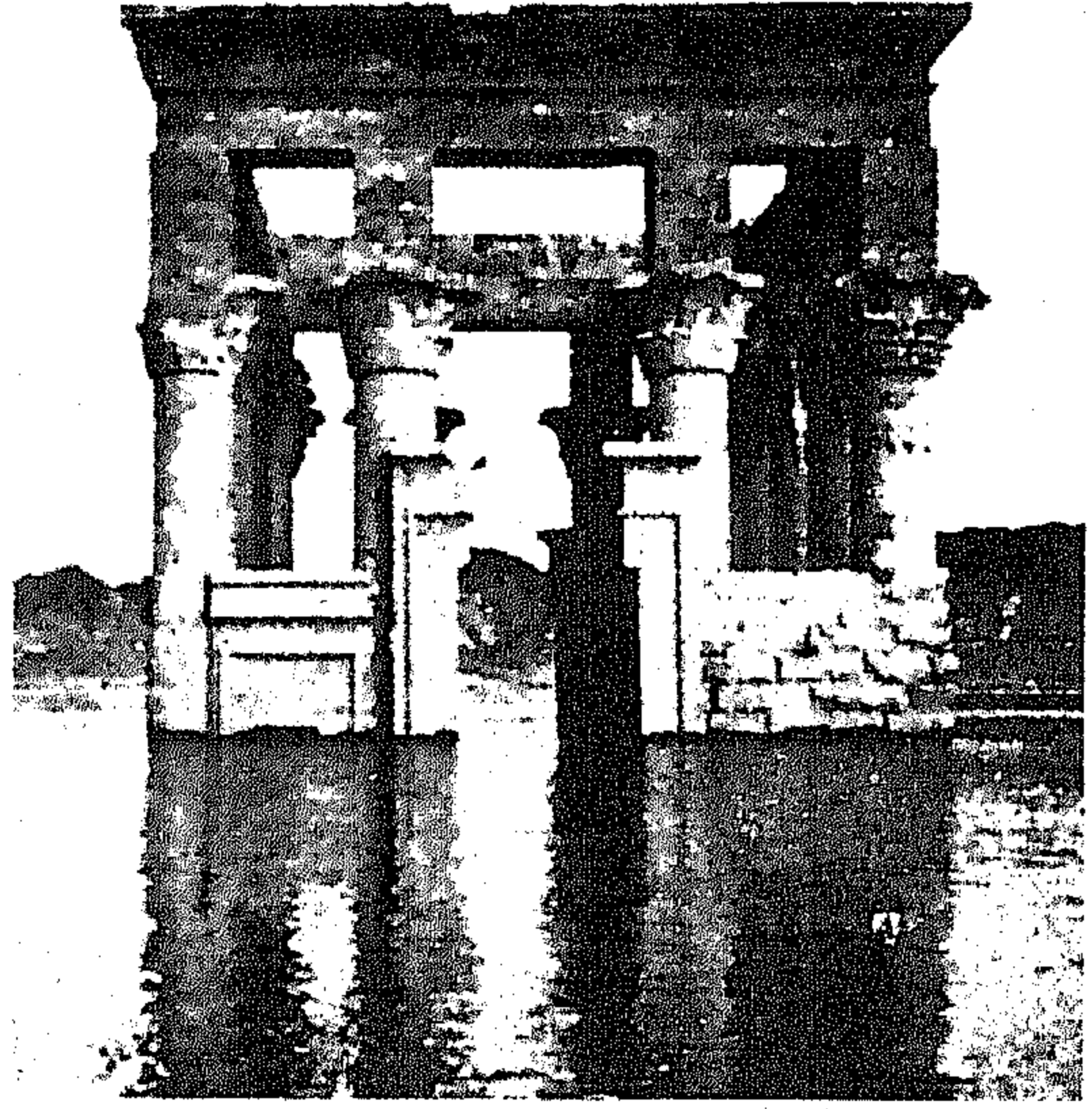
النحت :

نشط فن النحت مرة ثانية فى الإسكندرية فى القرن الأول ق . م . فى العصر الرومانى . وكانت التماثيل الحجرية التى عثر عليها من تلك الفترة ذات طابع رومانى

(١) لم أتوصل إلى التسمية العربية فى القواميس التى بحثت فيها .



(شكل ٢٥) عمود السواوي بالإسكندرية .
العصر الروماني .



(شكل ٢٤) جزء من معبد فيلة ، يرجع إلى العصر
الروماني في فترة حكم تراجان ، القرن بعد الميلاد . .



(شكل ٢٦) تمثال الحاكم ليسينس ٣٠٨ - ٣٢٤
العصر الروماني المتحف المصري بالقاهرة .

بحث ليس بها أى جديد . ويتضح ذلك من تمثال لشخص يدعى ليسينوس بالمتحف المصرى بالقاهرة (ش ٢٦) وتمثال لشخصية رومانية بالمتحف الإغريقى الرومانى بالإسكندرية يرجح أنها تمثل الإمبراطور دقلديانوس (ش ٢٧) ونلاحظ أن أسلوب نحت مدينة الإسكندرية الهيلينستى قد أصبح متأثراً بالطراز الرومانى .

التصوير :

بدأ ظهور تأثير الفن الإغريقى الرومانى (الهيلينستى) فى بعض التصوير الجدارية التى تغطى مقابر «تونا الجبل» . فنلاحظ أن الفنان المصرى قد استخدم الأساطير الإغريقية فى تصاوير الإفريسكو الملونة . ويتضح ذلك فى تصوير جدارى وجد فى مقبرة ، يوضح ثلاث مراحل من أسطورة أوديب . ترى الملك يجتاز بوابة مدينة طيبة ببلاد اليونان ويقابل أبا الهول ، وتصور المدينة على هيئة آدمى ، وفى النهاية يصور أوديب وهو يقتل والده (ش ٢٨) . ونجد فى هذه الصورة محاولة من الفنان فى إظهار الضوء والظل كما اهتم بتسجيل الخلفيات المعمارية .

ومن المرجح ازدهار مدرسة التصوير الجدارى فى الإسكندرية فى العصر الرومانى ، وانتقلت موضوعاتها إلى الغرب . ويؤيد ذلك تصاوير جدارية عثر عليها فى مدينة بومبي (ش ٢٩) تصور موضوعات نيلية مقتبسة من مدرسة الإسكندرية . إلا أن هذا العصر يتميز بظهور صور شخصية ملونة لنساء ورجال وأولاد توضع على وجه تابوت المومياء (ش ٣٠) بدلا من الوجوه المحفورة التى كانت توضع على الجزء الأعلى من ثوابت الموتى . وكانت هذه الصورة الملونة ترسم على قماش مغطى بطبقة من الجبس أو على اللوح الخشبى مباشرة .

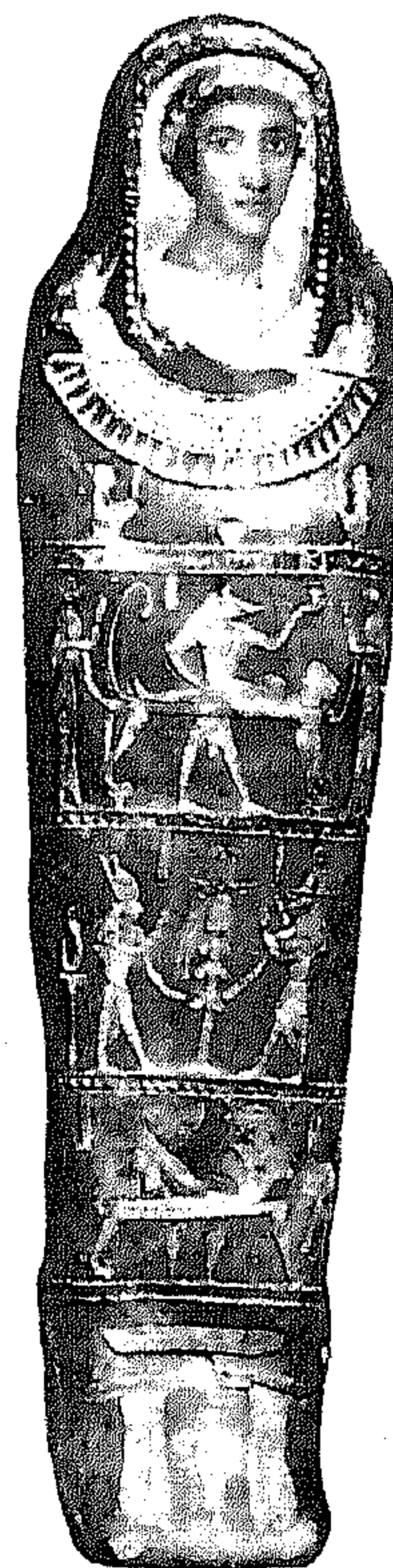
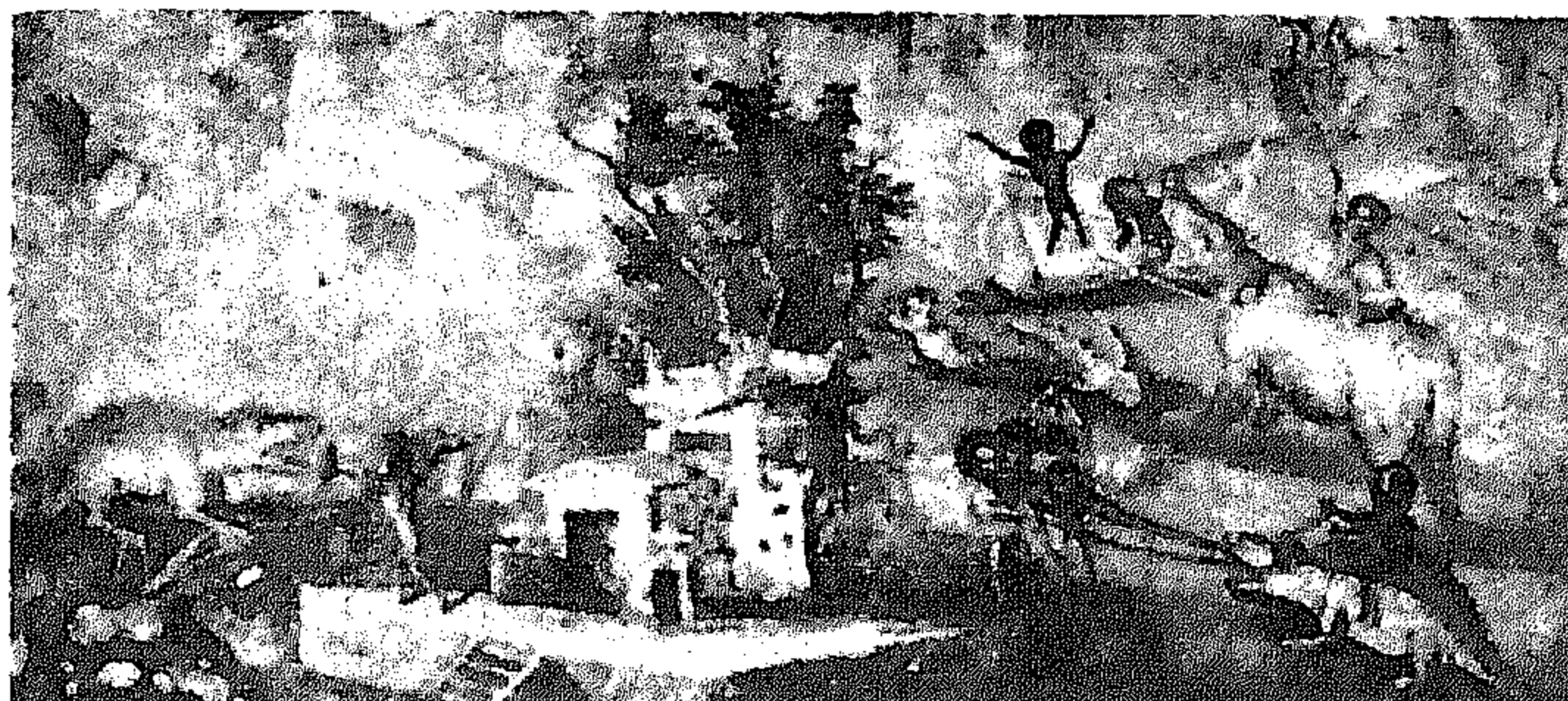
ولما كان الغرض من رسم هذه الصور [لوحة ملونة ١] أن تحافظ على شبه المتوفى حتى تساعد الروح على البقاء ، لذلك يلاحظ أن هذه المجموعة التى تصور شباباً ورجالاً ونساء (ش ٣١) تتميز بدقة فى فن التصوير الشخصى لم يظهر مثلها فى البلاد الواقعة تحت الحكم الرومانى ، حيث نلاحظ أن الفنان قد سجل الظلال التى تظهر فى الوجه حتى يبدو مجسماً ، كما اهتم بتوضيح درجات اللون فى أجزاء الوجه . وتنسب هذه

(شكل ٢٧) تمثال حاكم روماني يرجع أنه الإمبراطور دقلديانوس
المتحف اليوناني الروماني الإسكندرية .



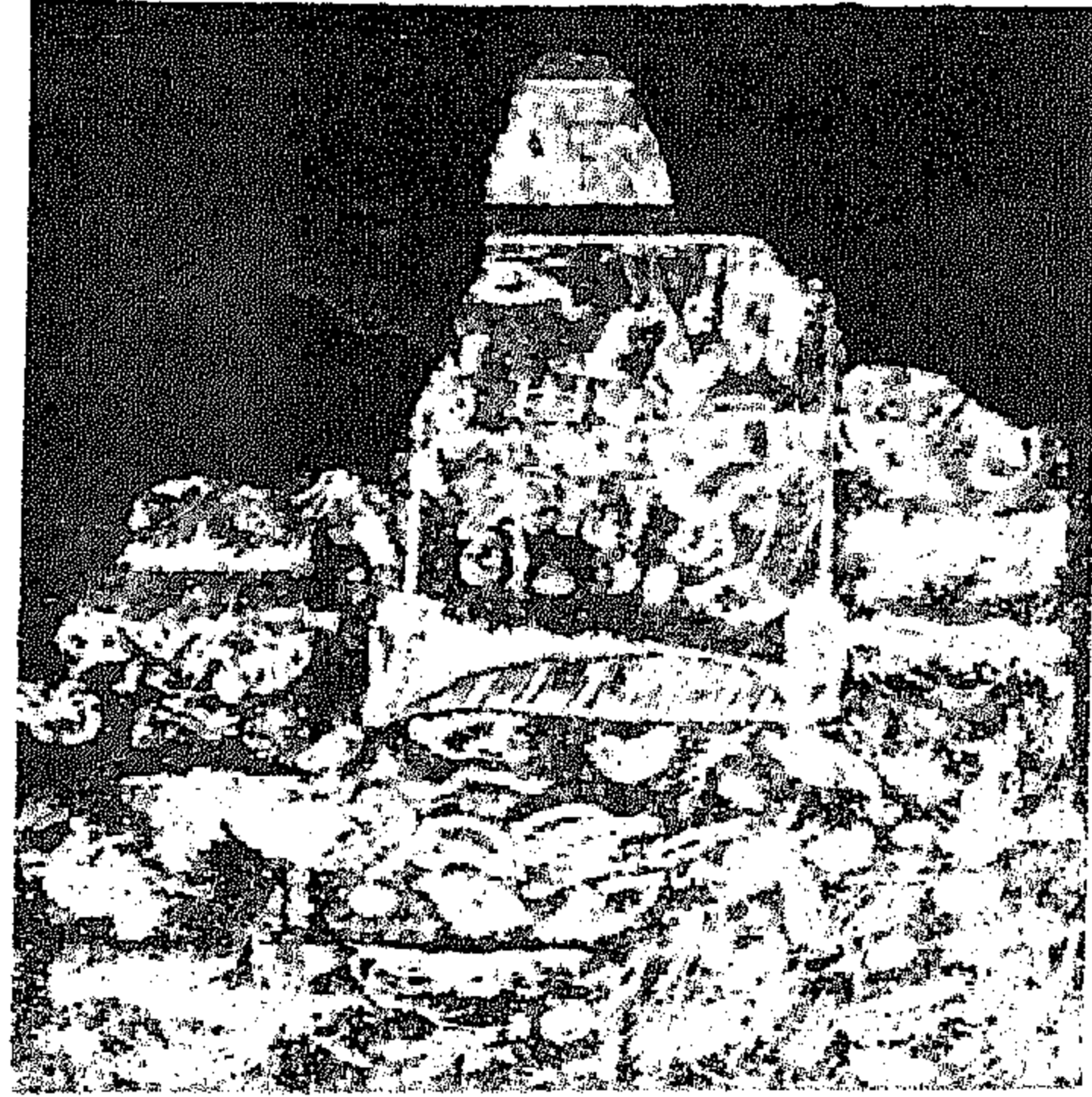
(شكل ٢٨) تصوير جداري منقول من مقبرة بتونا الجبل إلى المتحف المصري بالقاهرة . وتظهر به صور ملونة من
قصة أوديب الملك .

(شكل ٢٩) تصوير جدارى بمناظر نيلية متأثرة بأسلوب مدرسة الإسكندرية ، عثر عليه فى مدينة بومبي ونقل إلى المتحف الأهلئ بنابولى .

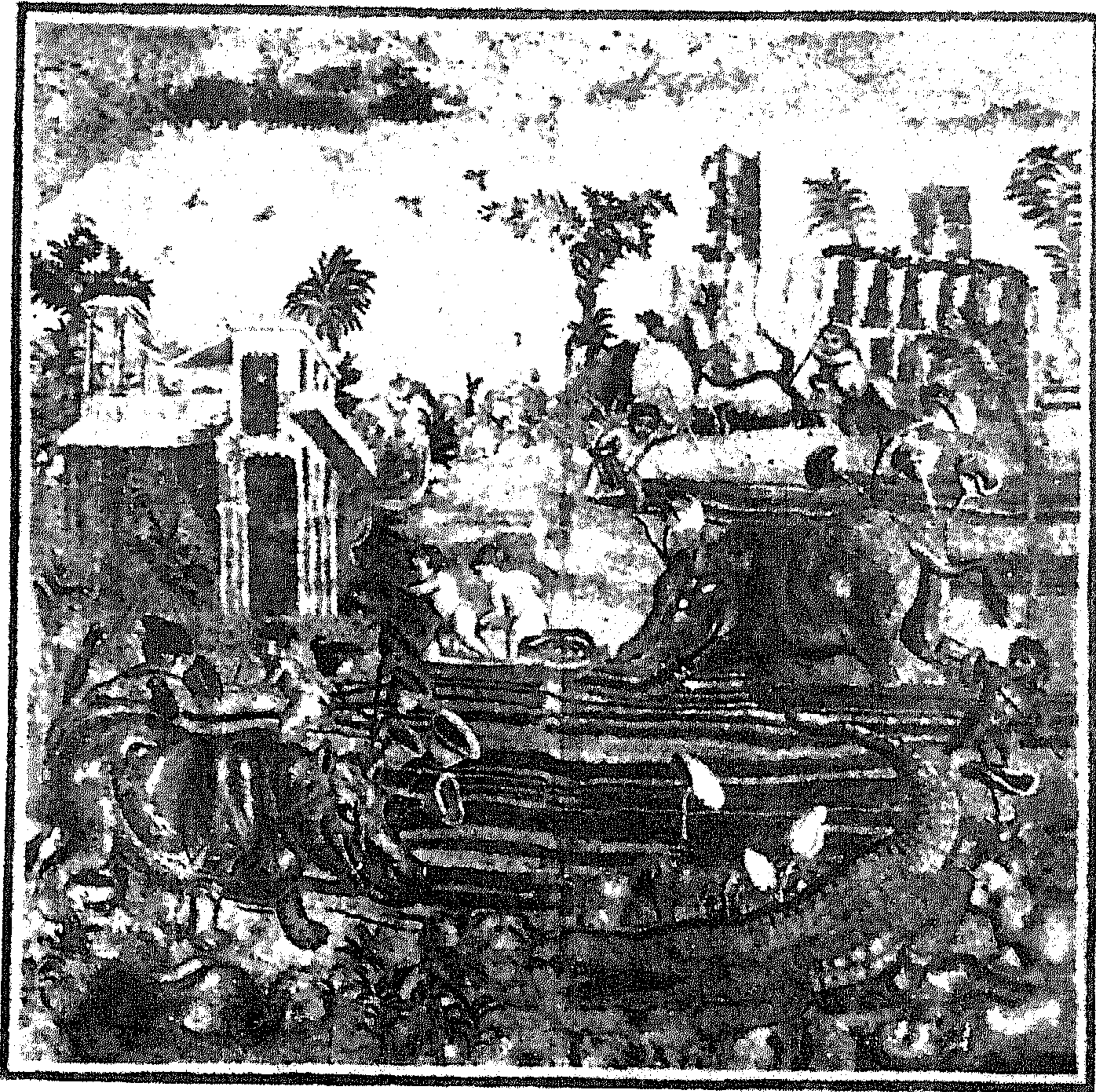


(شكل ٣٠) وجه مرسوم على كفن مومياء عثر عليه فى القيوم ، القرن الثانئ المئلادى العصر الرومانئ . متحف برلين .

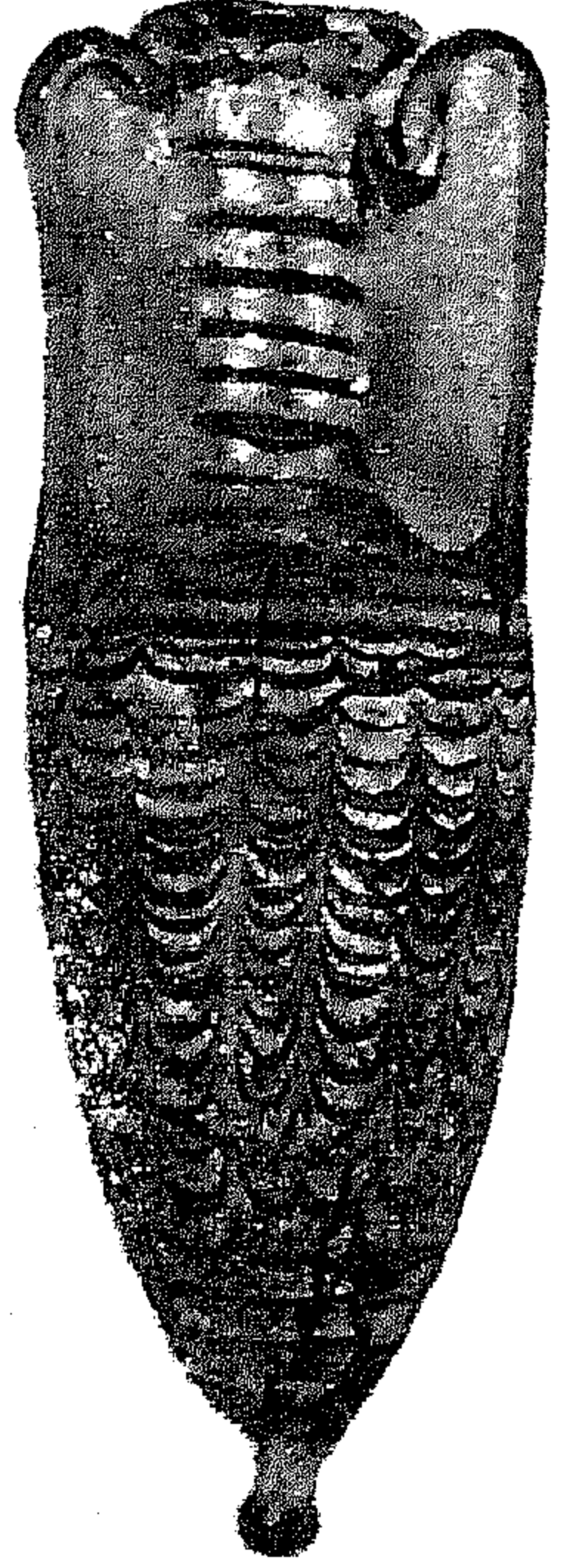
(شكل ٣١) وجه سيدة مرسوم على تابوت . عثر عليه فى القيوم القرن الثانئ المئلادى العصر الرومانئ . متحف تاريخ الفنون بمدينئ فيينا .



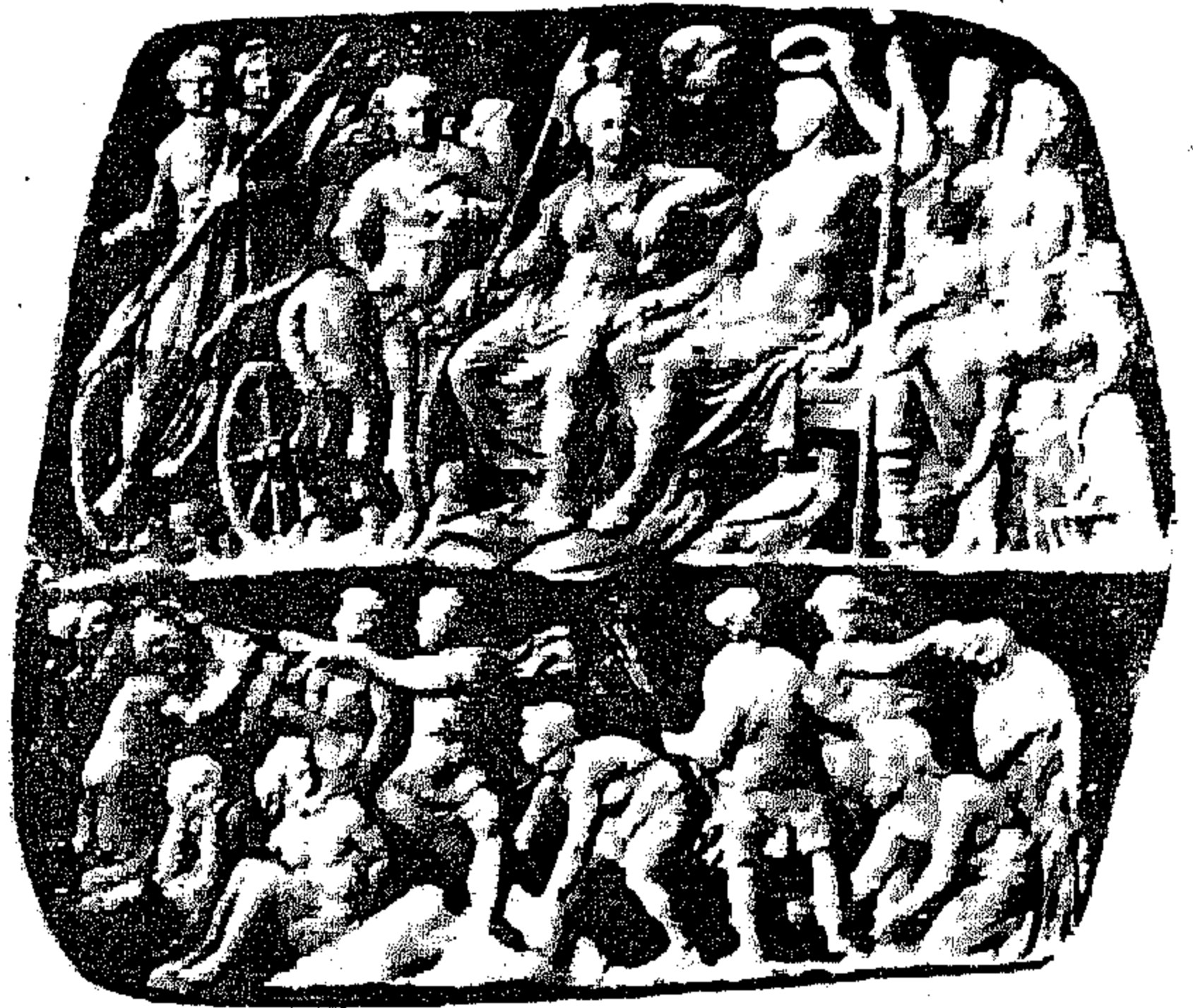
(شكل ٣٢) فسيفساء عثر عليها بالقرب من الإسكندرية ، تصور موضوعات
نيابن . المتحف الروماني الإسكندرية



(شكل ٣٣) فسيفساء عثر عليها في منزل في بومبي ، تصور مناظر نيلية منقولة عن أصول اشتهرت بها مدرسة الإسكندرية .



(شكل ٣٤) إناء من الزجاج عثر عليه في كوم أوشيم ، العصر الروماني . مجموعة خاصة



(شكل ٣٥) نقش على حجر « الكاميو » يصور الإمبراطور أغسطس والإلهة روما جالسين . القرن الأول بعد الميلاد . العصر الروماني . وتنسب إلى الإسكندرية ، متحف الفنون ، فيينا .

الصور إلى الجالية الإغريقية التي وجدت في الفيوم في عهد الإمبراطور هادريان .
ومن الفنون التي انتشرت في مصر في العصر الروماني فن زخرفة الأرضيات بالفسيفساء .
ويدل على ذلك الفسيفساء التي عثر عليها في تل تماي بالقرب من الإسكندرية
(ش ٣٢) . وتشمل هذه الزخارف موضوعات نيلية نقلها الرومان إلى بلادهم
(ش ٣٣) .

ويضعف التأثير الهيلينستي في فترة الحكم الروماني ويؤيد ذلك الفسيفساء التي
عثر عليها في جهة شيخ زويده شرق الإسكندرية . ويرجع تاريخ هذه الزخارف إلى
الفترة الواقعة بين حكم أنطونيوس تيوس - ١٢٨ م - وقسطنطين الثاني - ٣٦١ م -
وربما نقلت موضوعات زخارف هذه الفسيفساء عن تصاوير جدارية . ويؤيد ذلك
اللوحة الفسيفسائية التي عثر عليها في بومبي والموجودة حاليا بمتحف نابولي والتي تصور
لقاء الاسكندر بالملك دارا (ش ١) حيث ذكر أنها نقلت عن تصوير جداري قام به
المصور فيلوكيفس عام ٣٠٠ ق . م .

وكما نعلم كانت صناعة الزجاج من الفنون المشهورة في مصر منذ قديم الزمان واستمر
ازدهار تلك الصناعة في العصرين الإغريقي والروماني . ويتضح ذلك من المجموعة
الجميلة التي عثر عليها في منطقة كوم أوشيم (كرانس القديمة) غرب الفيوم . ويؤيد
هذه البراعة إناء من الزجاج بالمتحف الروماني به زخارف (ش ٣٤) متعددة الألوان .
كما زاد إتقان فنان الإسكندرية لفن حفر الأحجار الكريمة وصارت الإسكندرية
أهم مراكز صناعة الكاميو . ويتضح ذلك في حجر منقوش بموضوع قصصي
(ش ٣٥) .

الفصل الثاني

سوريا

السلوقيون (٣١٢ - ١٣٩ ق. م) في العراق . (٣١٢ - ٦٤ ق. م) في سوريا
الرومان (٦٥ ق. م - ٣٠٠ م)

وقعت أملاك الإسكندر الآسيوية بعد موته من بحر إيحاحتي السند في يد نيقاطور (سلوقس) قائد المنطقة الشرقية في عهد الإسكندر ، وبذلك أصبح سلوقس الأول (٣١٢ - ٢٨١ ق. م) ملكاً على آسيا . وأسس الدولة السلوقية وشيد لها عاصمة جديدة على الضفة الغربية من نهر دجلة أسماها سلوقية . وبذلك حلت محل بابل عاصمة بلاد النهرين . كما شيد مدناً جديدة على غرار المدن الإغريقية أشهرها أنطاكية على نهر العاصي أسماها باسم والده أنطيوخس . تعاقب على حكم الدولة عدد من الملوك كان أكثرهم يحمل اسم سلوقس أو أنطيوخس . أشهرهم أنطيوخس الثالث (٢٢٣ - ١٨٧ ق. م) إلا أن سلوقية فقدت مركزها بعد ضعف الدولة وصارت أنطاكية مركزاً لحكم الأسرة بعد أن اقتصر نفوذها على سوريا .

كانت كل من مصر ومقدونيا دولة متضامنة متجانسة ومن السهل نسيباً الدفاع عنها ، على حين كانت الإمبراطورية الآسيوية تنقصها الوحدة ، لذلك لم يتمكن ملوكها من الاحتفاظ بإمبراطوريتهم . فسرعان ما استعادت البنجاب استقلالها ، كما تمكن الفرثيون من الاستقلال بحكم إيران في عام ٢٥٠ ق. م وفرضوا سلطانهم على البلاد الواقعة شرق نهر دجلة . وتمكنوا من الاستيلاء على بلاد النهرين عام ١٣٩ ق. م في عهد أنطيوخس السابع ، الذي اقتصر حكمه على سوريا فقط . وبذلك وجد خلفاء سلوقس أنفسهم محصورين في منتصف القرن الثاني الميلادي في الأراضي الواقعة بين الفرات شرقاً وبين دولة البطلمة ، أي بين فارساً ونفوذ روما .

(١) تعرف أطلالها حالياً بتل عمر .

تمكنت الجيوش الرومانية التي تطمع في بلاد الشرق الأوسط من فتح سوريا عام ٩٥ في عهد الملك أنطوكس التاسع ، وبقي الجزء الشمالي لفترة تحت حكم الأسرة إلى أن زال تماماً بعد استيلاء الرومان عليه عام ٦٥ ق . م .

كان الملوك السلوقيون أكثر الأسرات المقدونية الإغريقية حماساً للحضارة الهيلينية وعملوا على نشرها في ممتلكاتهم . واقتبس سكان هذه الأقطار مع من هاجر إليها من البلاد الإغريقية لسكنى المدن الجديدة مظاهر الحضارة الهيلينية . وظلت سلوقية مدينة إغريقية حتى بعد أن استولى عليها الفرثيون .

لاحظنا أن تأثير الفن الهيلينستي كان بسيطاً في مصر لقلّة حماس البطالمة لنشر رسالة الهيلينية ، غير أن حكام سوريا الذين كانوا يحبون الهيلينية حبا جما ساعدوا على انتشار الهيلينية وفنونها ، وإنه للأسف لم يعثر على آثار تذكر في سوريا من فترة حكمهم . وكانت أكثر الآثار الهيلينية التي عثر عليها المنقبون في المدن السورية تعود إلى الفترة الرومانية . وتظهر الآثار الهيلينية أيضاً في المدن الصحراوية الواقعة على حدود الدولة السورية .

العمارة :

كانت مدينة بعلبك مدينة مهمة في العصر الروماني لموقعها ، وعرفت بمدينة الشمس في عهد السلوقيين ، وكانت الشهرة العالمية للمدينة مصدرها المعبد الذي أنشئ قبل العصر السلوقي لعبادة الإله السوري المحلي بعل . ويقال إنه كان يضم تمثالاً ذهبياً للآله . ولقد تناوب الرومان توسيع المعبد من القرن الثاني الميلادي حتى القرن الثالث . وتفوق آثاره أي آثار عثر عليها في سوريا من العهد الروماني (ش ٣٦) . وقد خصص بالمعبد مكان لعبادة الإلهين جوبيتر وباكوس . وتتضح عمارة هذا المعبد الجميلة في مجموعة الأعمدة الحجرية التي تعلوها تيجان كورنثية . ويظهر الأسلوب الهيلينستي في أسلوب نحت أوراق النبات بالشكل الطبيعي .

غير أن هناك أسلوباً شرقياً يظهر في طريقة نحت زخارف أوراق الشجر الموجودة في إطارات الفتحات ، حيث نلاحظ أن النحت عميق ، وهذا طابع شرقي اشتهر به

العمال السوريون . وانتقل هذا الأسلوب إلى شمال أفريقيا في عهد الإمبراطور سويروس الذى أحضر فنانين من سوريا لنقش جدران البازيليكا التى شيدها فى مدينة ليدى بليبيا . (ش ٥٠) ولقد انتقل هذا الأسلوب بعد ذلك إلى إيطاليا وظهر فى عهد النهضة فى روما . ولو فرض أن مدينة الشمس مدينة رومانية فإننا نلاحظ أن الشرق قد ترك بصماته على هذا المعبد الذى يميزه عن أى مبنى روماني فى أوربا .

النحت :

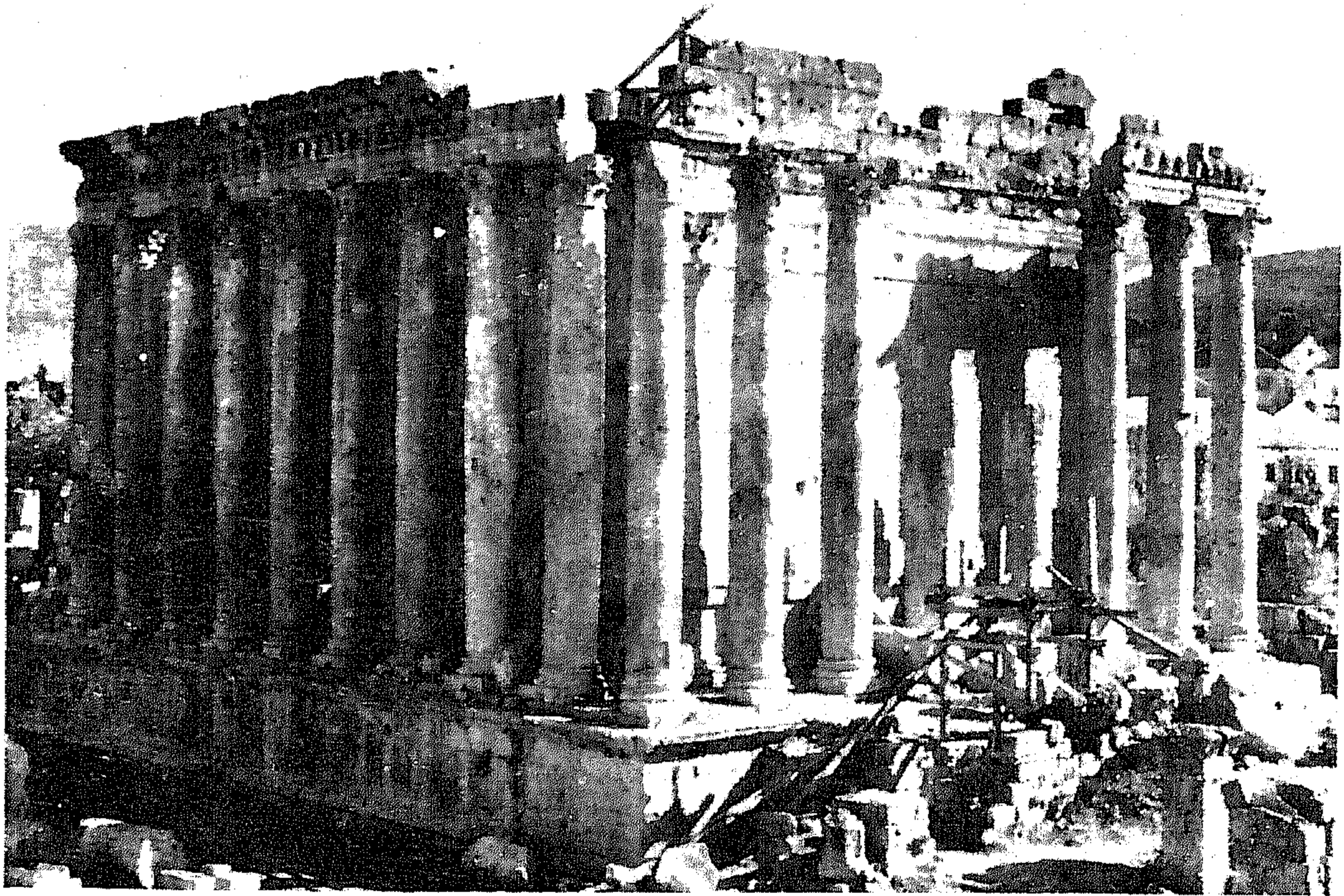
صاحب التغيرات الثقافية التى ظهرت فى العصر الهيلينى تغيرات أساسية فى فن النحت . واتجه الفنان إلى الاهتمام بالواقع فى الحركة والتعبير وفى نوع الموضوع الذى يختاره . وانحصر اهتمام المثاليين فى تلك الفترة فى عمل تماثيل شخصية للملوك أو الآلهة أو الشخصيات الشعبية . وتظهر مقدرة الفنان فى التعبير عن شخصية الحاكم فى رأس تمثال الملك أنطيوخس الثالث (ش ٣٧) الذى انتعشت فى عهده الدولة السلوقية .

تكونت أيضاً فى المدن الواقعة على الحدود السورية ذات الأصل العربى مراكز مهمة للفن الهيلينستى فى سوريا . ولقد انتقل إليها هذا الفن بعد ازدهاره فى بعض الدول الرومانية . وهذه المدن هى تدمر فى الشمال ، ودورا أوربا على نهر الفرات ، ومدينة البتراء جنوب الأردن وقد حكمت هذه المدن عائلات عربية حافظت على علاقاتها الودية بجيرانها الأقوياء . كذلك انتشرت الفنون الهيلينستية فى بعض المراكز العربية الواقعة تحت حكم السلوقيين ، مثل اليمن وجزيرتى فيلكه (الكويت) والبحرين وشمال أفريقيا فى فترة خضوعها للرومان .

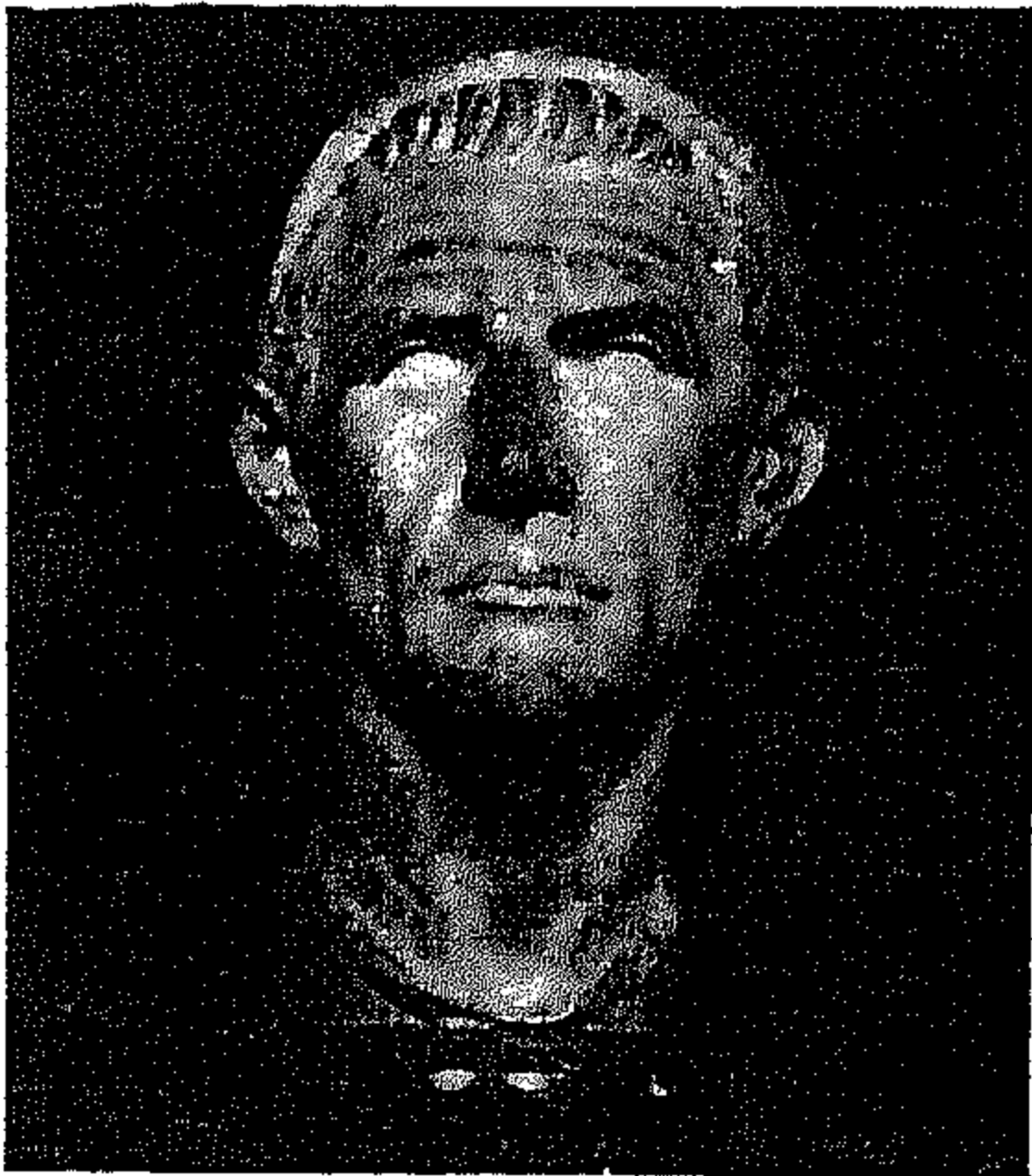
مدينة تدمر :

عرفت هذه المدينة فى عهد الإغريق باسم « بالميرا »^(١) . وترجع نشأتها فى الصحراء السورية إلى عهد الفرثيين ، وكان يسكنها فى أول نشأتها قبائل عربية . وساعد

(١) هذه تسمية أغريقية معناها مدينة النخيل .



(شكل ٣٦) معبد بمدينة بعلبك (سوريا) العصر الروماني .



(شكل ٣٧) رأس تمثال الملك أنطيوخس الثالث عشر عليه
في ساوية ، القرن الثالث ق.م. حالياً بمتحف اللوفر .

(شكل ٣٨) معبد الإله بعل في مدينة تدمر بسوريا ونلاحظ
عقد ضخمة ، كما تعلو الأعمدة نيجان كورنثية حوالى
٢٠٠ م ، العصر الروماني



موقعها المنعزل في الصحراء على أن تكون مركزاً هاماً من مراكز القوافل التجارية في عصر السلوقيين . وفي عصر الإمبراطور أغسطس كانت منطقة فاصلة ووسيلة اتصال بين فرثيا وروما . وكان التدمريون يقومون بالقسط الأكبر من تجارة البحر الأبيض المتوسط مع بلاد فارس والهند والصين ، مما نتج عنه أن أصبحت تدمر أكثر مدن سوريا والشرق الأوسط ثروة وفخامة .

حافظ أمراء تدمر على استقلالهم وحيادهم لمدة طويلة ، وكانوا على صلات ودية مع الإمبراطورية الرومانية في فترة حروبها مع الفرثيين ودولة الساسان الذين خلفوهم في حكم إيران . إلا أن هذا الاستقلال لم يكن من السهل المحافظة عليه حينما اشتد نفوذ الإمبراطورية الرومانية فأصبحت تدمر تابعة لروما لفترة تمكن بعدها « اذينة » ملك تدمر غير المتزوج من الاستقلال بها . وبعد أن هزم شاهبور الساساني لقبته الإمبراطورية الرومانية بلقب « ملك الملوك » حاكم الشرق . وامتد حكمه من أرمينيا إلى شمال مصر . وورثت هذا اللقب زوجته زنوبيا أو « الزباء العربية » . واتسعت الدولة في عهدها وشملت سوريا وجزءاً من آسيا الصغرى وشمال الجزيرة العربية والإسكندرية . إلا أن جيوش الإمبراطور أورليان تمكنت من هزيمتها في أنطاكية عام ٢٧١ م ، وماتت في الأسر الروماني . ولقد نهبت تدمر ودمرت في هذه الحروب ولم تقم لها قائمة بعد ذلك . وتعتبر آثار تدمر من أحسن الآثار السورية التي تأثرت بالنمط الهيلينستي . وتدل هذه الآثار على الرخاء الذي كانت تتمتع به هذه المدينة التجارية .

العمارة :

كانت المعابد التي شيدت في تدمر مخصصة للآلهة التدمرية المحلية ، وكان تصميم المعبد الكبير الذي شيد لعبادة الإله بعل في القرن الثاني الميلادي مزيجاً من تصميم المعابد الإغريقية ومعابد بلاد النهرين . وكان التدمريون الذين لم يكن لهم تقاليد فنية قديمة خاصة بهم يميلون إلى العمارة الكلاسيكية ، واستخدموا في ذلك مهندسين إغريقين ورومانين . إلا أننا نلاحظ أنه بالرغم من أن طراز الأعمدة والعقود إغريقي روماني (ش ٣٨) فإنه يوجد طابع شرقي إلى جانب الأسلوب الإمبراطوري . حيث تظهر بالأعمدة

الموجودة بالمعبد دعائم حجرية بارزة لوضع تماثيل الأفراد الذين قاموا بأعمال جديرة بالتقدير وهذا الأسلوب تدمري شرقي .

النحت :

تتميز مدينة تدمر بتماثيل تبرز من ألواح جنائزية وجدت في مدايقهم . ولقد ساعدت هذه الألواح الفريدة على معرفتنا بشكل رجال ونساء الطبقة الحاكمة في المدينة . ويتضح من لوحة حجرية كانت تستعمل كشاهد لقبر سيدة (ش ٣٩) ، تأثر الفنان بالأسلوب الشرقي في تسجيله لثنيات النسيج وتوضيحه شكل المصاغ الذي يدل على الترف . وفي بعض الأحيان كان شكل المتوفى ينقش مع عائلته في لوحة واحدة ، كما كان الاسم يكتب باللغتين السورية والإغريقية . ولقد أثر أسلوب تدمر بعد ذلك في الفن البيزنطي .

وقد عثر في مدينة حمص الواقعة بالغرب من تدمر على خوذة معدنية على هيئة وجه آدمي (ش ٤٠) وهذه الخوذة مصنوعة من الحديد والفضة . واستعمال معادن مختلفة في عمل قتي واحد هو أسلوب اشتهر به الحيثيون في الأناضول قبل ذلك . ويمكن أن تعتبر هذه الخوذة مثال لفترة مبكرة من فن تدمر حيث إن المسافة بين تدمر وحمص تبلغ حوالي مائة وخمسين كيلومتراً .

دورا أوربا :

أنشأ مدينة دورا أحد قواد الإسكندر المقدوني في الصحراء السورية عند منتصف نهر الفرات شمال مدينة مارى . ولقد نشأت هذه المستعمرة الهيلينية في حوالي عام ٣٠٠ ق . م . وكانت مركزاً للقوافل التي تخترق آسيا الصغرى في طريقها إلى إيران والهند في عهد السلوقيين ، ثم وقعت في أيدي الفرس في عهد الأسرة الفرثية . واستخدمها الرومان كحصن ضد الفرثيين على حدود الإمبراطورية من جهة نهر الفرات بعد عصر الإمبراطور تراجان ، واحتلها الساسانيون في عام ٢٦٠ م ودمرت بعد عام ٢٥٠ م . احتوت هذه المدينة على معابد للآلهة الإغريقية والرومانية وآلهة بلاد النهرين وإيران



(شكل ٤٠) خوذة معدنية مشكّلة على هيئة وجه آدمي
من آثار الحضارة التدمرية ، حالياً متحف دمشق



(شكل ٣٩) لوحة حجرية كانت تستعمل شاهد قبر في مدينة تدمر . وبالرغم من
الأسلوب الهيلينستي الواضح ، إلا أن المبالغة في تسجيل تفاصيل الزى يبعد اللوحة عن
الفن الإغريقي



(شكل ٤١) تصوير جداري وجد على معبد في مدينة دورا أوربا : رهبان يقومون
بطقوس دينية

وسوريا ، بالإضافة إلى آلهة قوافل تدمر والآلهة العربية . كذلك عثر في هذه المدينة على معبد يهودى ومنزل كان يقيم به جالية مسيحية تقيم طقوسها الدينية فيه . ويتوسط هذا المنزل فناء مكشوف وتغطي جدران هذه المباني تصاوير جدارية ملونة .

التصاوير الجدارية :

وترجع أهمية مدينة دورا إلى التصاوير الجدارية التي تغطي جدران المباني الدينية ، لدرجة أن أطلق عليها بومبي^(١) الشرق . وتنسب هذه التصاوير إلى العهود المختلفة التي مرت بها المدينة ، ويغلب على قناتها الهيلىستنى كثير من الأساليب الشرقية . ومن أهم الصور التي وجدت في معبد الآلهة التدمرية صورة ترجع إلى حوالى ٨٥ م تصور كهنة يمارسون الطقوس الدينية (ش ٤١) ونلاحظ في رسم هؤلاء الأشخاص أنهم واقفون في وضع المواجهة وهذا تأثير من الفن الفرثى الإيرانى . ولقد وقعت هذه المدينة في قبضة الفرثيين في القرن الأول الميلادى .

وتختلف موضوعات التصاوير الجدارية الموجودة على جدران المعبد اليهودى عن الموضوعات السابقة حيث غطيت الجدران بموضوعات من كتاب « العهد القديم » ويرجع تاريخها إلى حوالى ٢٤٥ م . ونلاحظ في إحدى هذه الصور قصة النبي موسى عندما وضع في سلة في النهر وهورضيع (ش ٤٢) ورأته أبنه فرعون فأمرت خادماها باحضار السلة . وتظهر الأميرة مرة أخرى تستعطف فرعون مصر لعدم قتل الطفل وإعطائه إياها . وهذا الأسلوب القصصى عن طريق التكرار مستمد من الشرق . وإذا كنا قد لاحظنا أن تصاوير الآلهة التدمرية متأثرة بالشرق ، نجد أن صور المعبد اليهودى بها عدة أنماط . فالطابع الهيلىستنى يظهر بصفة خاصة في الصورة المليئة بحركة الأشخاص وفي الخلفية المعمارية . كما يتضح التأثير الإغريقى في رسم بعض الأشخاص ومركز ثقلهم على قدم واحدة . ويظهر التأثير الشرقى الفرثى في رسم الأشخاص بوضع المواجهة وفي المبالغة في إظهار ثنيات الزى السورى الرومانى .

(١) مدينة بومبي تقع بالقرب من نابولى بإيطاليا وتشتهر بالتقارير الجدارية .

مدينة البتراء :

نشأت هذه المدينة قرب العقبة في الصحراء السورية الواقعة في شرق الأردن وغرف سكانها العرب في العصر الهيلينستي باسم الأنباط . وكانت مركزاً هاماً من مراكز القوافل التجارية بين الجزيرة العربية والشمال . وعظم شأن البتراء النبطية في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث نجحوا في صد هجوم أحد خلفاء الإسكندر في عام ٣١٢ ق . م واشتهر من أمرائهم في القرن الثاني قبل الميلاد الحارث وعبادة . وأصبحوا قوة هامة في القرن الأول الميلادي بعدما انتزعوا جزءاً من سوريا من أيدي السلوقيين في حوالي عام ٨٥ ق . م . وأصبحت البتراء ولاية رومانية بعد أن استولى عليها الإمبراطور تراجان عام ١٠٩ م .

العمارة :

أظهر الأنباط تفوقاً كبيراً في فن العمارة وكانت عمائرهم تشتمل على المعابد والقبور . وكانت المعابد عبارة عن مساحات مستطيلة مسورة يضعون فيها أصنامهم الحجرية . إلا أنهم ابتكروا نموذجاً فريداً في عمارة قبور ملوكهم التي حفروها في الصخور (ش ٤٣) حيث يظهر بالواجهة نحت بارز به أعمدة وفتحات هيلينستية الطراز يجعلها تبدو كأنها عمارة مبنية . وتعرف هذه المقبرة باسم « الخزنة » . وربما أتى ملكهم « الحارث » بالصناع السوريين إلى العاصمة فأدخلوا معهم هذا الأسلوب الإغريقي الروماني .

وجدت مقابر مشابهة لهذه المقابر في مدينة « صالح » الواقعة في الجهة الشمالية من طريق القوافل . وتذكرنا هذه القبور المحفورة ذات الواجهة المعمارية بقبور ملوك الإكمينين الفرس . ولقد اقتبست جرش وعمان من العمارة الرومانية إلا أن آثار البتراء المعمارية تفوق هذه الآثار .

أما فن النحت فقد عثر منه على بقايا تماثيل كاملة بالقرب من البتراء إلا أن طرازها لا يتميز بأي طابع خاص .



(شكل ٤٢) صورة جدارية وجدت في معبد يهودي بمدينة دورا أوربا تصور
عدة مناظر من قصة فرعون مصر وموسى منذ كان طفلا



(شكل ٤٣) قبر أحد الملوك الأنباط منحوت في الصخر (مملكة البتراء) .

الفصل الثالث

الجزر العربية

١ - شبه الجزيرة العربية

نشأ في جنوب الجزيرة العربية قبل قيام مدن القوافل التجارية الإغريقية مدن أقام فيها العرب الذين كانوا يشتغلون بالتجارة وتصدير الحاصلات والعطارات إلى الأسواق الشمالية في مصر وسوريا . وتعرف هذه المنطقة حالياً باليمن . ولقد تمتعت هذه المنطقة بحضارة قديمة منذ عام ١٠٠٠ ق . م . وكانت قبائل سبأ^(١) ساكنوها يشيدون المدن والمصارف ، ويشهد على ذلك سد مأرب العظيم الذي يرجع إلى الألف الأول قبل الميلاد . ولقد تسبب الرخاء الذي تمتعت به اليمن عن طريق التجارة في جعلها مطمعاً لجيرانها الأقوياء ، فحارب الآشوريون والبابليون على التوالي قبائل سبأ في القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد .

وتدل الحفريات التي أجريت في المدن اليمنية على أن أهم حقبة حضارية لقبائل سبأ تقع في الفترة ما بين عام ٣٥٠ إلى عام ٥٠ ق . م . وهي الفترة التي تلت غزو الإسكندر المقدوني لبلاد الشرق الأوسط وانتشرت الهيلينية فيها^(٢) . وكانت السفن المصرية البطلمية ترابط في البحر الأحمر فوصلت الهيلينية إلى اليمن عن طريق الإسكندرية .

لم يكن التأثير الهيليني قوياً في عمارة جنوب الجزيرة العربية في عصر خلفاء الإسكندر ، ومن هذه الفترة يوجد عمود ذو طراز إغريقي في مسجد في مدينة صنعاء نقل من معبد قديم كان قائماً في المدينة في تلك الفترة . إلا أن التأثير الهيليني يتشرب بصورة

(١) قبائل سبأ تنسب إلى سببا بن قحطان حفيد إبراهيم .

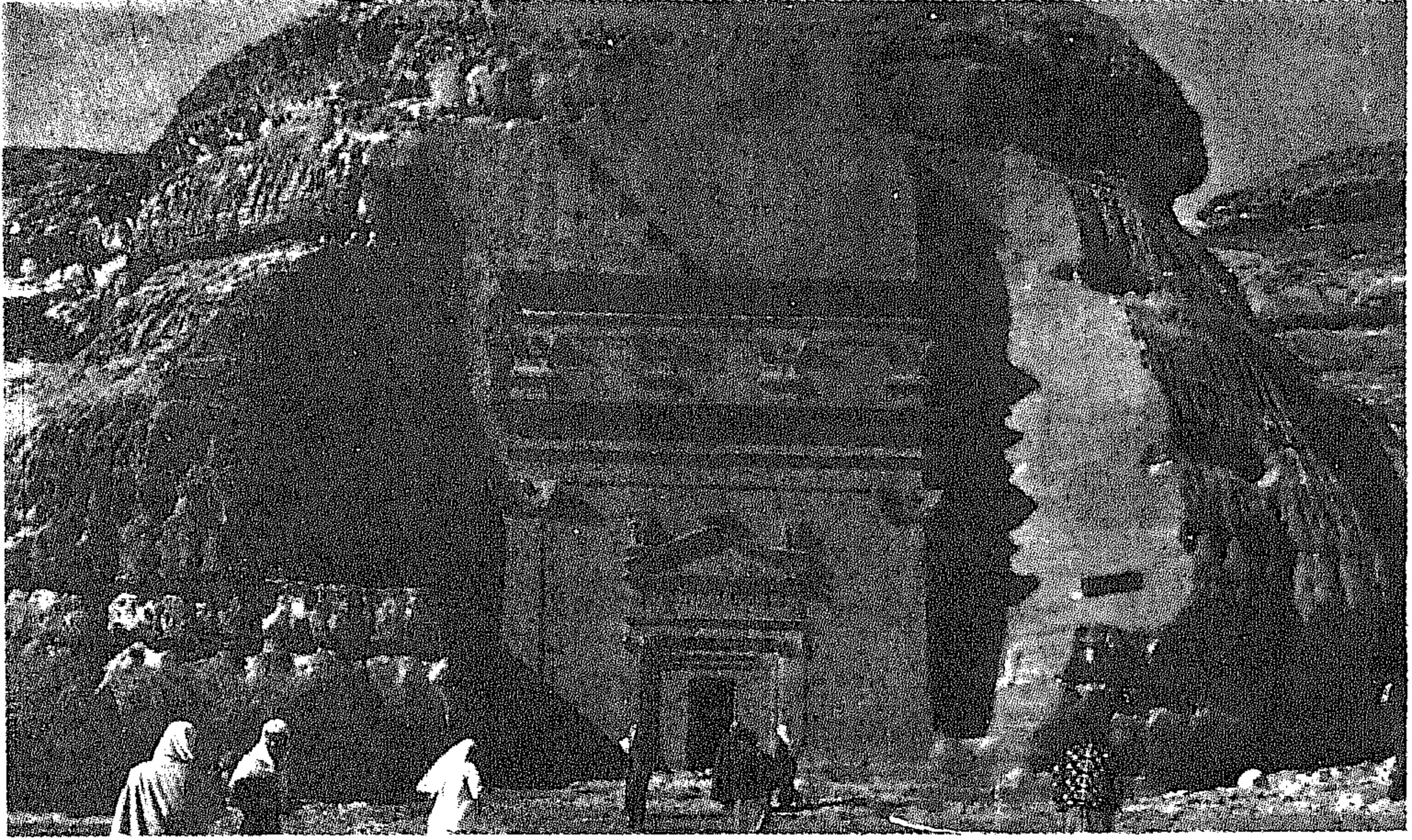
(٢) جمع تيوفرستوس الإغريقي في القرن الثالث تقارير العلماء الذين أرسلهم الإسكندر إلى هذه البلاد للدراسة الأعشاب والعطور العربية .

أوضح في العصر الروماني . وذلك لأن الرومان تغلغلوا في قلب الجزيرة العربية أكثر من الإغريق . ففي عام ٢٤ ق . م غزا آليوس كالوس جنوب شبه الجزيرة العربية . وفي عام ١٠٦ احتل تراجان مدينة البتراء العربية وأقام حامية رومانية حولها ، كما وجدت مراكز رومانية في بصره وجيرش وتدمر .

يظهر التأثير الهيلينستي الروماني في أجزاء من أعمدة عثر عليها في شبه الجزيرة العربية محفوظة حالياً بمتحف اسطنبول . وتذكرنا زخارف تقريعات العنب والحيوانات المنقوشة على الأعمدة بالتأثير الروماني الذي وجد في معبد مدينة بعلبك في القرن الثاني الميلادي أو بعد ذلك .

إلا أن التأثير الروماني الذي وصل إلى شبه الجزيرة كان هذه المرة عن طريق سوريا . فيتضح تأثير مقابر الأنباط على مقابر مدينة صالحي (ش ٤٤) . ونلاحظ تأثير الفن الإغريقي الروماني بصورة أوضح في فن النحت حيث تبدو الآلهة اليمينية في ثياب ذات طراز إغريقي روماني . فنجد مثلاً تمثال الإله اللات مرتدياً ثياباً من هذا الطراز ، كما يظهر منات إله مكة المفضل على هيئة إله شمسي هيلنستي . ينعكس الأسلوب الهيلنستي على شواهد القبور أيضاً ، ويتضح ذلك في شاهد قبر تبرز منه نحت لسيدة تدعى «عبان» يرجع إلى القرن الثاني الميلادي (ش ٤٥) ونلاحظ في هذا النحت المسحة الهيلنستية التي وجدت في النحت الجنائزي التدمري . ولقد صادف الأسلوب الهيلينستي الذي يتميز بالحركة نجاحاً عند الفنان العربي الذي لم يكن يعرفه قبل ذلك ، فأقبل على تقليده بكثرة . ويظهر ذلك في نقش بارز على حجر من البازلت حالياً في متحف أسطنبول ، ويرجع نسبه إلى القرن الأول ق . م ، يصور رجلاً ممتطياً جواداً في وضع متحرك .

اشتهرت قبائل سبأ بالصناعات المعدنية وكانت الألواح المعدنية تستعمل في تغطية الأبواب الخشبية . ويظهر النمط الهيلنستي في كثير من الأشغال المعدنية ، ويتضح ذلك في زوج من التماثيل البرونزية عثر عليها في تمنا ، حيث يصور كل منها كيويد ممتطياً أسداً . ولو أن الكتابة المنقوشة عليهما تدل على أنهما من صناعة محلية فإن الأصول التي نقلت منها كانت نماذج من الإسكندرية . ويتضح في رأس من البرونز بالمتحف



(شكل ٤٤) مدائن صالح نحت في الحجر



(شكل ٤٦) رأس من البرونز لسيدة ، من صنع قبائل سبأ في اليمن . المتحف البريطاني .



(شكل ٤٥) شاهد قبر نحت بارز لسيدة عثر عليه في جنوب الجزيرة العربية ، القرن الثاني الميلادي .

البريطاني - وترجع إلى القرن الثاني الميلادي - (ش ٤٦) أن الأسلوب مستمد من أصول كلاسيكية مع بقاء طابع شرقي محلي يظهر في الوجه .
وفي ختامنا لدراسة آثار الجنوب في الجزيرة العربية في الفترة الهيلنستية يجب ألا نغفل الإشارة إلى النقوش الكتابية التي استخدمتها قبائل سبأ والحموريون في زخرفة أعمالهم الفنية . ولقد انتقل هذا الأسلوب من العصور الوثنية العربية إلى الفنون الإسلامية .

ب - الكويت والبحرين

ذكر المؤرخ الإغريقي « أريان » الذي دون التاريخ الإغريقي عام ١٧٠ م ، أن الإسكندر الأكبر أخضع لسلطانه جزيرتين في الخليج العربي على مقربة من مصب الفرات وأمر بإنشاء بعض المدن الساحلية والقلاع بهما لسكنى جنوده . كما ذكر أن الجزيرة الصغرى كان بها معبد للآله أرتيميس ، وأن الإسكندر أطلق على الجزيرة الصغرى اسم إيكاروس ، وعلى الكبرى تيلوس .
ويرجح العلماء من الآثار التي عثر عليها في الجزيرتين ، أن إيكاروس الصغيرة هي جزيرة فيلكة الكويتية ، وأن البحرين هي جزيرة تيلوس . ولقد دلت عمليات التنقيب التي قامت بها البعثة الدانمركية في الجزيرتين على أنهما كانتا مركزين ثقافيين إداريين في العصر السلوقي الهيليني^(١) ، كما ساعد موقعهما الجغرافي على كونهما من أهم مراكز التجارة بين الشرق والغرب .

وفي القرن الرابع الميلادي وقعت البحرين التي كانت تعرف باسم « أوال » في تلك الفترة تحت سيطرة شاهور الساساني الذي استولى على جزء كبير من الساحل العربي . وتدل الآثار التي عثر عليها في جزيرة فيلكة على أن الجزيرة كانت واقعة تحت نفوذ الدولة السلوقية في العصر الهيلنستي ، حيث عثر بها على قطعة من الحجر المنقوش عليه بالأحرف الإغريقية رسالة موجهة من ملك لم يذكر اسمه إلى أهل إيكاروس . وقد استنتج من أسلوب نقش الحروف أن الملك غالباً هو سلوقس الثاني .

ويؤيد هذا الزعم مجموعة من العملات الفضية والنحاسية عثر عليها في الجزيرة حيث وجد على إحداها نقش باسم الإسكندر في عهد سلوقس الأول حوالي ٣١٠ - ٣٠٠ ق . م . كما وجدت قطعتان نحاسيتان من عهد أنطيوخس الثالث الذي حكم الدولة السلوقية في الفترة ٢٢٣ - ١٨٧ ق . م . كذلك عثر على قطعة تحمل صورة أنطيوخس الثالث وربما تكون سكبت في سوريا . وتظهر هذه العملات السلوقية في جزيرة البحرين أيضاً ونجد في بعضها صور الإسكندر المقدوني .

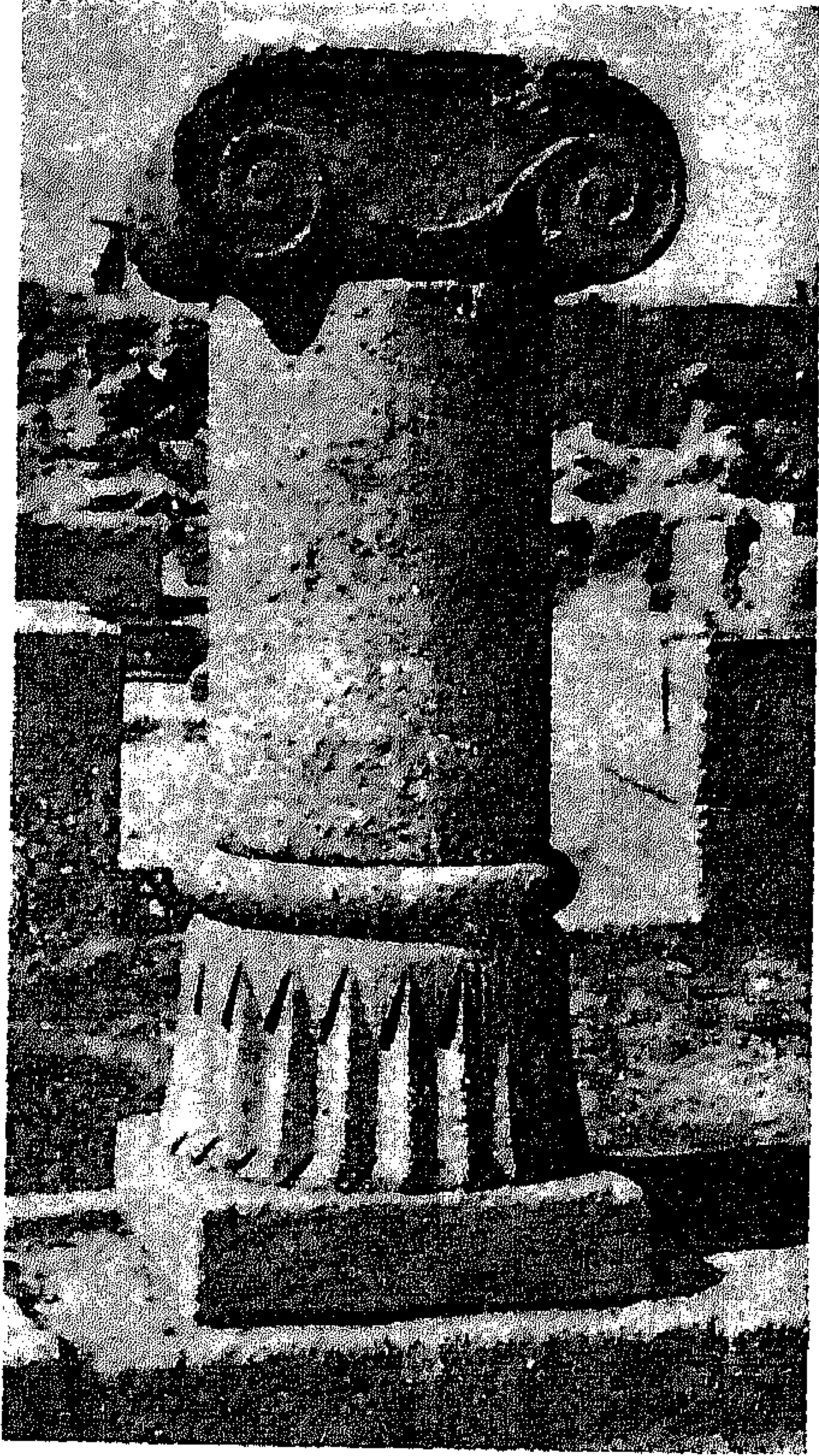
العمارة :

وقعت هاتان الجزيرتان العريتان تحت السيطرة الرومانية التي ورثت الدولة الهيلينية في الشرق الأوسط . وكشفت الحفريات التي تمت في الجزيرتين عن آثار وثيقة الصلة بآثار الشرق الأوسط الهلنستية الرومانية .

ففي جزيرة فيلكه على آثار قلعة مربعة طول ضلعها حوالي ٧٠ متراً ، وبكل ركن من أركانها الأربعة يوجد برج مربع . وينفذ الزائر إلى القلعة عن طريق بوابتين إحداهما بالجهة الشمالية والأخرى بالجهة الجنوبية . ويحتوي الجزء الشرقي من القلعة على معبدين أحدهما كبير والآخر صغير . ويشغل الجزء الغربي آثار مساكن . وتدل تيجان الأعمدة التي وجدت بالمعبد الكبير على أنه كان من الطراز الأيوني (ش ٤٧) على حين تدل تيجان الأعمدة التي عثر عليها في المعبد الصغير أنه كان من الطراز الدوري . وتذكرنا النقوش المنحوتة في قاعدة العمود بالأعمدة الفارسية التي وجدت في برسيبوليس . وتدل الآثار التي عثر عليها في موقع المعبد أنه كان مشيداً على الطريقة الهندسية الإغريقية للآلهة الإغريقية ، حيث عثر على المذبح خارج المعبد . وربما شيد هذان المعبدان في عصر الإسكندر الأكبر أو في عهد أحد خلفائه السلوقيين الذين أكثروا من المراكز الهلينية في فترة حكمهم لنشر الثقافة الهلينية .

النحت :

وجدت في حفريات جزيرة فيلكه قوالب كثيرة من الآجر في إحدى غرف منزل ،



(شكل ٤٧) أجزاء من عمود عثر عليه في معبد في جزيرة فيلكة (الكويت) وبلاحظ التاج الأيوني والقاعدة التي تذكرنا زخارفها بأعمدة برسيبوليس . العصر الهلينيستي .

(شكل ٤٨) تمثال من الطين المحروق لسيدة تذكرنا بتاتيل الإلهة أفروديت . العصر الهلينيستي ، حالياً بمتحف الكويت



(شكل ٤٩) تمثال من الطين المحروق لرجل عثر على الجسم وعلى الرأس مبعثرين ، إلا أنه أمكن تثبيت الرأس على الجسم . العصر الهلينيستي . حالياً بمتحف الكويت .

وعندما صبت هذه القوالب نتج عنها تماثيل لشخصيات آدمية رجح الباحثون نسبة أحدها إلى الإسكندر المقدوني ، كما نسب أحد التماثيل النسائية إلى إلهة النصر الإغريقية . كذلك عثر على تماثيل من الطين المحروق يظهر فيها أسلوب من النحت الهليني ، ويوضح ذلك تماثيل ربما يمثل الإلهة أفروديت (ش ٤٨) ورأس تماثيل صغير ربما يمثل الملك الإسكندر أو أحد الملوك السلوقيين .

ويمثل طراز الفترة التالية تماثيل من الطين المحروق يصور ملكاً في وضع جالس (ش ٤٩) وتذكرنا لحيته وزيه بتماثيل ملوك العرب الذين حكموا الحضر في القرن الأول الميلادي .

الفصل الرابع

شمال أفريقيا

تعتبر منطقة شمال أفريقيا أكثر الولايات الرومانية الواقعة في جنوب البحر الأبيض المتوسط ثراء في تعدد الآثار الرومانية . وتساعد دراسة هذه الآثار على معرفة طراز العهد الروماني الشرقي الذي لم يعثر على آثار كافية له في منطقة الشرق الأوسط .

بعد أن تم لروما القضاء على قرطاج مركز الفينيقيين ، في الحرب الفينيقية الثالثة (١٤٩ - ١٤٦ ق . م) ، بدأت تتدخل في شؤون البلاد الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط . وكان يحكم أفريقيا الشمالية في تلك الفترة ملوك محليون كانوا قد فقدوا نفوذهم المطلق بسبب احتلال الفينيقيين لبلادهم . حيث كان الفينيقيون يمسكون بزمام السلطة في المنطقة التي تشمل تونس الآن وجزءاً من ولاية قسنطينة . أما بقية شمال أفريقيا فكانت مقسمة إلى عدة ممالك يحكمها ملوك برابرة تحت إشراف قرطاج أو بتحالف معها .

وكان مسينا ملك نوميدي (الجزائر حالياً) قد تمكن بانحيازه إلى الجانب الروماني ضد قرطاج من إقامة مملكة نوميدي كبيرة تمتد من مراکش (المغرب) إلى برقة (ليبيا) . وذلك بعد أن أمرت روما قرطاج بتسليمه المدن الطرابلسية التي كانت تحت حكمه . إلا أن مسينا توفي في السنة الأولى من الحرب الفينيقية الثالثة في عام ١٤٩ ق . م .

وقد حاول حفيده « يوغرتا » مناهضة الحكم الروماني في شمال أفريقيا ، فنشبت بينه وبين روما حروباً جديدة انتهت بأسره عام ١٠٤ ق . م . وشنقه في روما . وفي فترة النزاع التي قامت بين بومبي ويوليوس قيصر في عام ٤٩ ق . م . انحاز الملك « يوبا الأول » ملك نوميدي إلى جانب بومبي . إلا أن قيصر تمكن من إنزال جنوده في تونس بعد أن تم له النصر على خصمه في عام ٤٨ ق . م .

اتتهزت المدن الطرابلسية « لبده وصبراته وأويا » فرصة المنازعات القائمة بين روما والدولة النوميدية ف وقعت معاهدة صداقة مع روما نالت على أثرها نوعا من الاستقلال الذاتي .

حلت روما محل قرطاج في حكم شمال أفريقيا في عهد يوليوس قيصر الذي أعاد تنظيم شمال أفريقيا بعد أن أزال المملكة النوميدية من الوجود . وجعل قيصر الجزء الأكبر من أقاليم شمال أفريقيا ولاية رومانية باسم إفريقيا الجديدة وعين عليها حاكما رومانيا .

ولقد كانت روما ترقب الفرصة لبسط نفوذها كاملاً على شمال أفريقيا ، ونجحت في مد حكمها إلى شمال أفريقيا كله بعد انتصار أكتافيوس على أنطونيوس في معركة أكتيوم وزوال حكم البطالمة لولاية برقة .

وباستثناء ولاية أفريقيا الجديدة الرومانية ، ترك الرومان حكم بقية البلاد الأفريقية إلى ملوكها المحليين ، فأعاد اكتافيوس « أغسطس » تكوين المملكة النوميدية ، ووضع على عرشها عام ٢٥ ق . م الأمير يوبا الثاني ليكون واليا على عرش أجداده .

وكان هذا الملك قد نشأ وتربى تحت رعاية أغسطس في روما وتزوج من ابنة كيلوباترة من أنطونيو ، ولذلك تسربت الديانة المصرية إلى تونس والجزائر عن طريق هذه الملكة .

كانت هذه الدولة آخر مملكة وطنية حكمت شمال أفريقيا قبل الحكم الروماني المباشر . ولقد استمر الاحتلال الروماني لشمال أفريقيا حتى سقوط روما على يد الفندال . وتميز عهد تراجان (٩٨ - ١١٧) بانتعاش سياسى كما ازدهرت البلاد بصفة خاصة في عهد الامبراطور سبتيوس سويروس ١٩٣ - ٢١١ .

ليبيا :

عرفت ليبيا الغربية عند الإغريق باسم « تريبوليس » ، وعربت إلى اسمها الحالى طرابلس . وتضم منطقة طرابلس ثلاث مدن رئيسية : « لبده الكبرى » - وعرفت عند الرومان باسم لبثس ما جنا - « وأويا » - طرابلس الحالية - « وصبراته » الواقعة غرب

مدينة طرابلس . وتميزت مدينة لبدہ من بين مدن المنطقة بأنها كانت مركزاً تجارياً هاماً في العهود الفينيقية والرومانية ، كما كانت لها عملة نقدية خاصة في عهد الامبراطور أغسطس وخليفته طبريوس . ونالت مدينة لبدہ ازدهاراً واضحاً في عهد الامبراطور سبتيموس سويروس (١٩٣ - ٢١١ م) الذي يرجح أنه كان من أصل ليبي .

كان تقسيم مدينة لبدہ يشبه كثيراً تخطيط المدن الرومانية ، وازداد نمو المدينة واتساعها باهتمام الأباطرة بها . وانشأ بها أحد أثرياء المدينة مسرحاً قدمه إلى الامبراطور أغسطس . وكان على هيئة مدرج نصف دائري وأقيم على جانبي المسرح تماثلان للآلهة ديونيسوس وهرقل المكلفان بحماية لبدہ .

توالى إنشاء المباني في عهود الأباطرة الرومان ويمكن أن نميز من بينها مبنى « الكلكيديكوم » وملعباً مدرجاً . وأقام تراجان بالمدينة ميداناً وقوس نصر وبازيليكا ، كما شيد بها هادريان حمامات ضخمة بين عامي ١٢٦ - ١٢٧ .

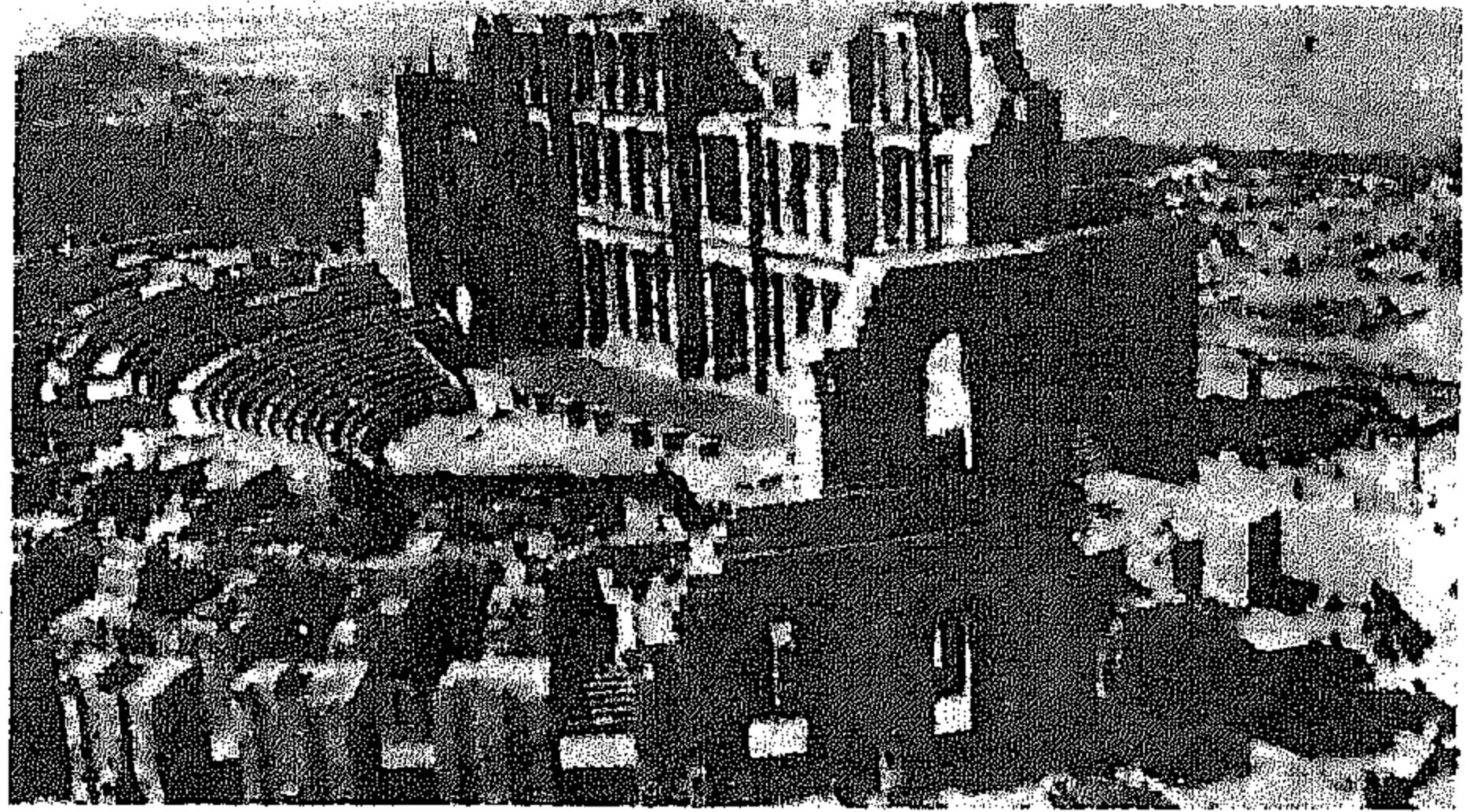
وقد حظيت لبدہ باهتمام عمراني خاص من الامبراطور سبتيموس سويروس الذي يتنسب إلى المدينة وابنته كاركالا ، فشيّد بها الأول، بازيليكاً (ش ٥٠) (أتمها ابنه) وميداناً .

وتعتبر بازيليكاً لبدہ من أفخر الآثار الباقية هنا . ويزين الأعمدة المرمية المتصلة بالجدران زخارف جميلة بها عناصر آدمية مع عناقيد العنب وأوراق الأكتيس (ش ٥٠ ب) وتشابه هذه الزخارف مع الزخارف المنقوشة على دعائم معبد بعلبك . وربما استعان سويرس بنحاتي أحجار من سوريا في أعمال البناء الكثيرة التي قام بها لتجميل مسقط رأسه .

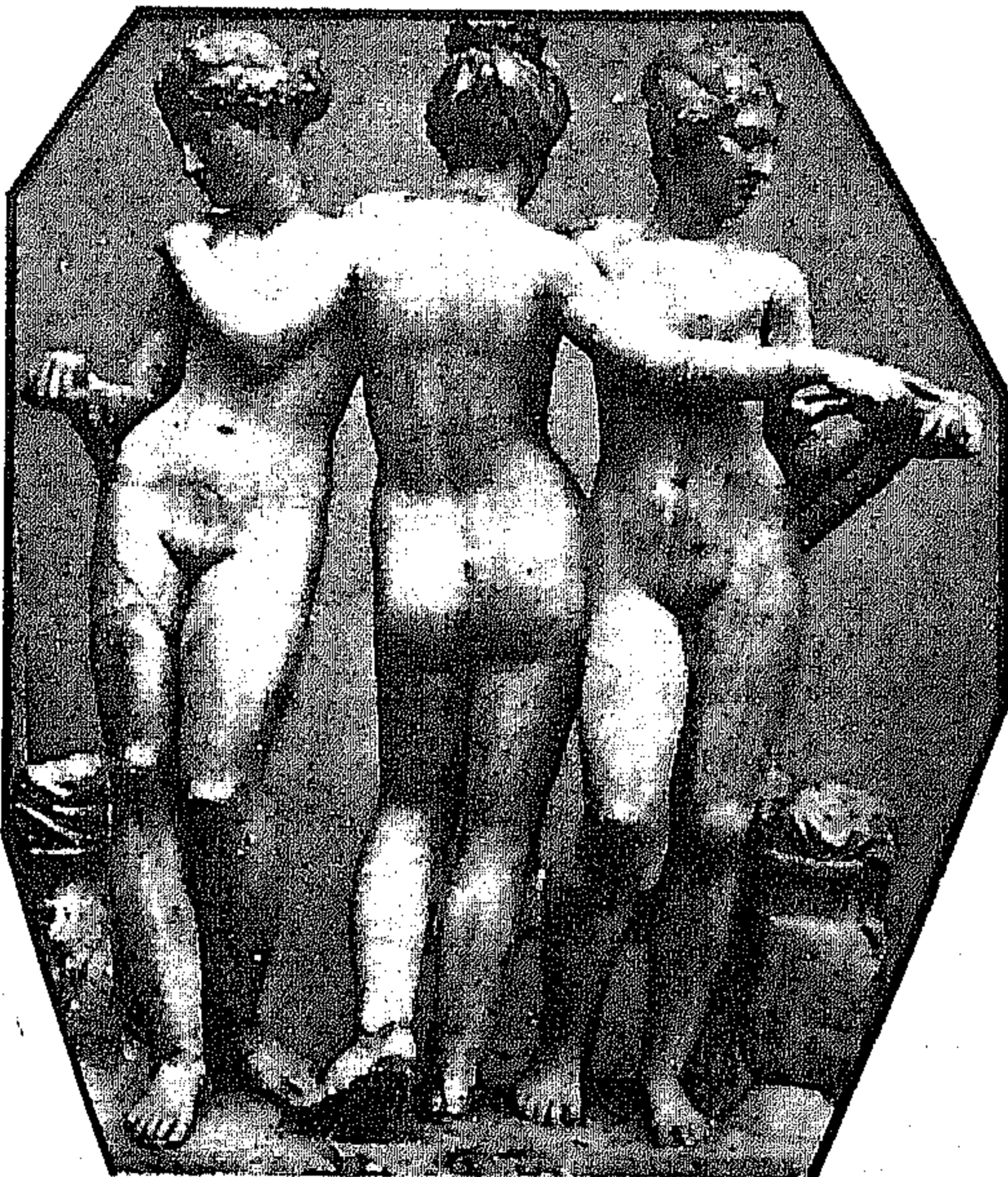
وتتميز مدينة صبراتة ثاني مدن اقليم طرابلس بآثار متعددة ترجع إلى القرنين الأول والثاني من تأسيس الامبراطورية الرومانية . وكشفت أعمال الحفائر عن مسرح (ش ٥١) وبازيليكا وميدان أسوة بما هو متبع في المدن الرومانية .

وبالإضافة إلى الآثار السابقة عثر في شرق طرابلس على آثار إغريقية ورومانية في مدينتي قورينه وطلميثه بولاية بركة وكانت هذه المدينة الأخيرة تابعة للبطالة . وأطلق عليها بطليموس الثالث إسمه بعد أن تزوج من « برنيق » أميرة قورنيه . وازدهرت مدينة

(شكل ٥٠) بازيليك مدينة لبدّة «ميدان
سويروس» ليبيا . وبلا حظ في شكل «ب»
نقوش بارزة على الدعائم تتكون من
تفريعات نباتية تحصر بينها عناصر حية .



(شكل ٥١) مسرح عثر عليه في مدينة صبراتة ليبيا .



(شكل ٥٢) تماثيل الحوريات الثلاث .
آثار رومانية بمدينة قورنية شرق طرابلس ليبيا .



قطعة نسيج مزخرفة بوحدة أفروديت . الفن القبطي في مصر . القرن الخامس - السادس .
حالياً بمتحف اللوفر



«سيدة من البلاط الساساني» وحدة زخرفية ملونة وجدت بأرضية مغطاة بالفسيفساء في قصر
مدينة نيسابور. العصر الساساني بإيران - النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي.

بطليموس في العهدين البطلمي والروماني الذي بدأ عام ٧٤ ق . م .
انتشرت الفنون الهيلينية من الإسكندرية إلى المراكز الإغريقية الأخرى . ولقد
عثر في طلميثة على قصر هيلينستي وميدان ومسرح . ويحتوي متحف المدينة على مجموعة
من الفسيفساء كانت تزخرف المباني ، وتظهر بها زخارف نيلية بها أسماك وطيور .
وتتميز مدينة قورينه حالياً « شحات » بآثار إغريقية ورومانية بديعة . فقد عثر
بها على معابد ترجع إلى العصر الإغريقي للآلهة باخوس وهرمس كما عثر بها على معبد
الآلهة زيورس من الطراز الدوري ومن أهم آثار المدينة حمامات انشئت في عهد
تراجان ورممت في عهد هادريان ، ومسارح وأقواس نصر . ويضم متحف قورينه
عددًا من التماثيل (ش ٥٢) التي عثر عليها في المدينة . ويتضح من دراستها أنها تذكرنا
بتماثيل الإلهة أفروديت الإغريقية .

الجزائر وتونس :

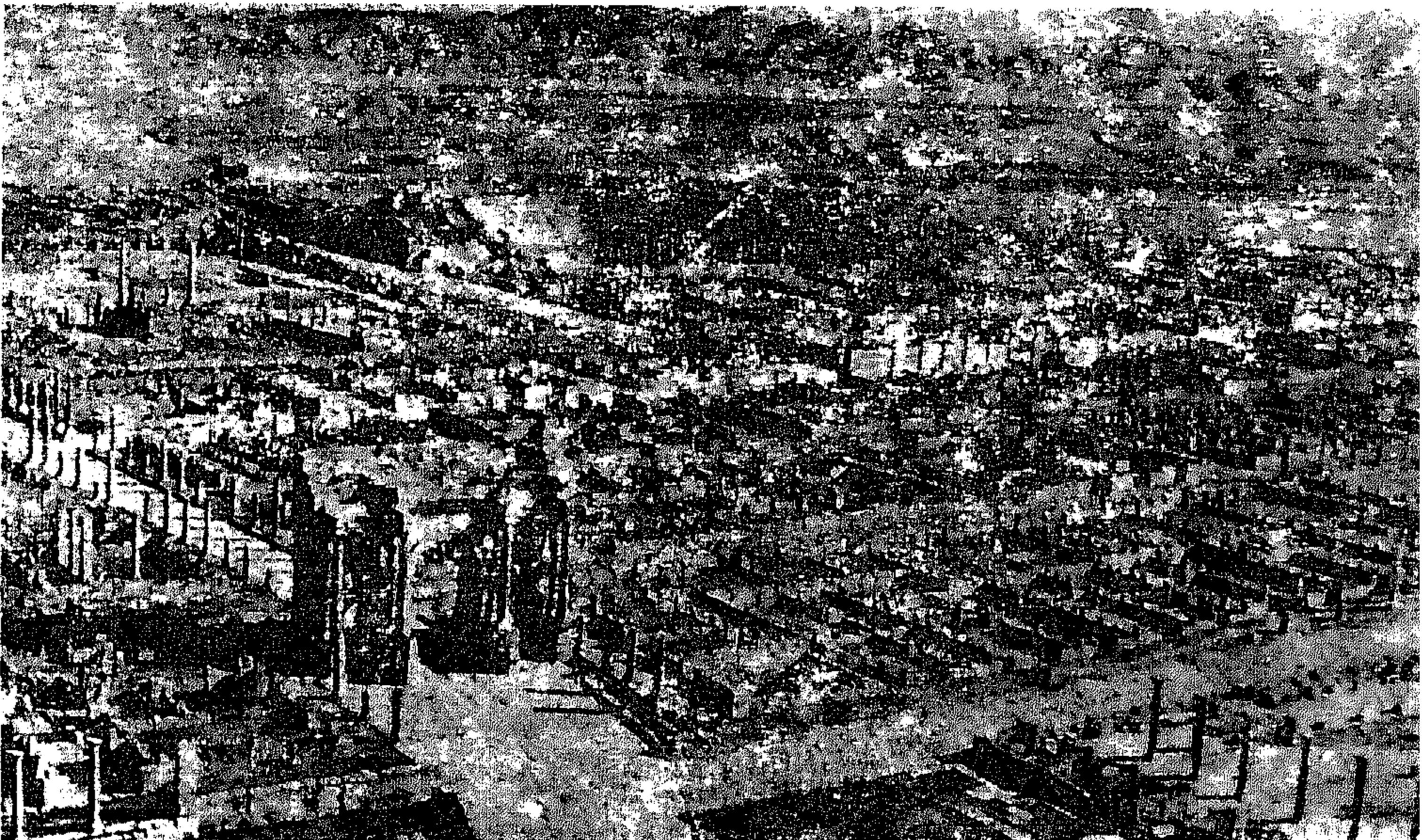
وما يؤيد انتقال الثقافة والتقاليد الهيلينية من الشرق إلى شمال أفريقية عن طريق
الإسكندرية منذ العصر البطلمي . تُمثل من البرونز يصور ابروس (ش ٥٣) عثر
عليه في مياه شاطئ مدينة مهدية ويوجد حالياً بمتحف باردو بتونس .
وظهرت آثار هذه الثقافة في العصر الروماني في فترة حكم الملك « يوبا الثاني »
الذي اختار مدينة شرشال - حالياً الجزائر - لتكون عاصمة له . ولأن هذا الملك تربى
في روما نجد أنه حرص على نشر الفنون الرومانية في عاصمته فشيّد بها معبداً ومسرحاً
وحماماً ومدرجات وبازيليكا وأقواس نصر . واقتبس المهندسون والمثاليون الذين استعان
بهم من فنون روما وأثينا والإسكندرية .
وانتشرت الفنون الرومانية في مراكز مملكة « يوبا الثاني » ، تيبازا وقرطاج
وطنجة ولما زادت أهمية أفريقيا في عصر الامبراطور تراجان لكونها المورد الذي يرسل
القمح إلى الامبراطورية ، انتشرت العماثر الرومانية في المراكز تيمقاد وتبديس ولا مبيز
وتيبازة وجملاي وجميلة .
ولقد كشفت الحفريات التي تمت في مدينة تيمقاد على أن المدينة كان بها حمامات

(شكل ٥٣) تمثال من البرونز يصور الإله إيروس ، حالياً متحف باردو ، تانس .



(شكل ٥٥) تاج عمود كورنثي عثر عليه في حمامات أنطونين . قرطاج .

(شكل ٥٤) آثار رومانية بمدينة تيمقاد (الجزائر حالياً) ويظهر في المقدمة بوابة تراجان وفي المؤخرة المسرح .
القرن الثاني - الثالث الميلادي



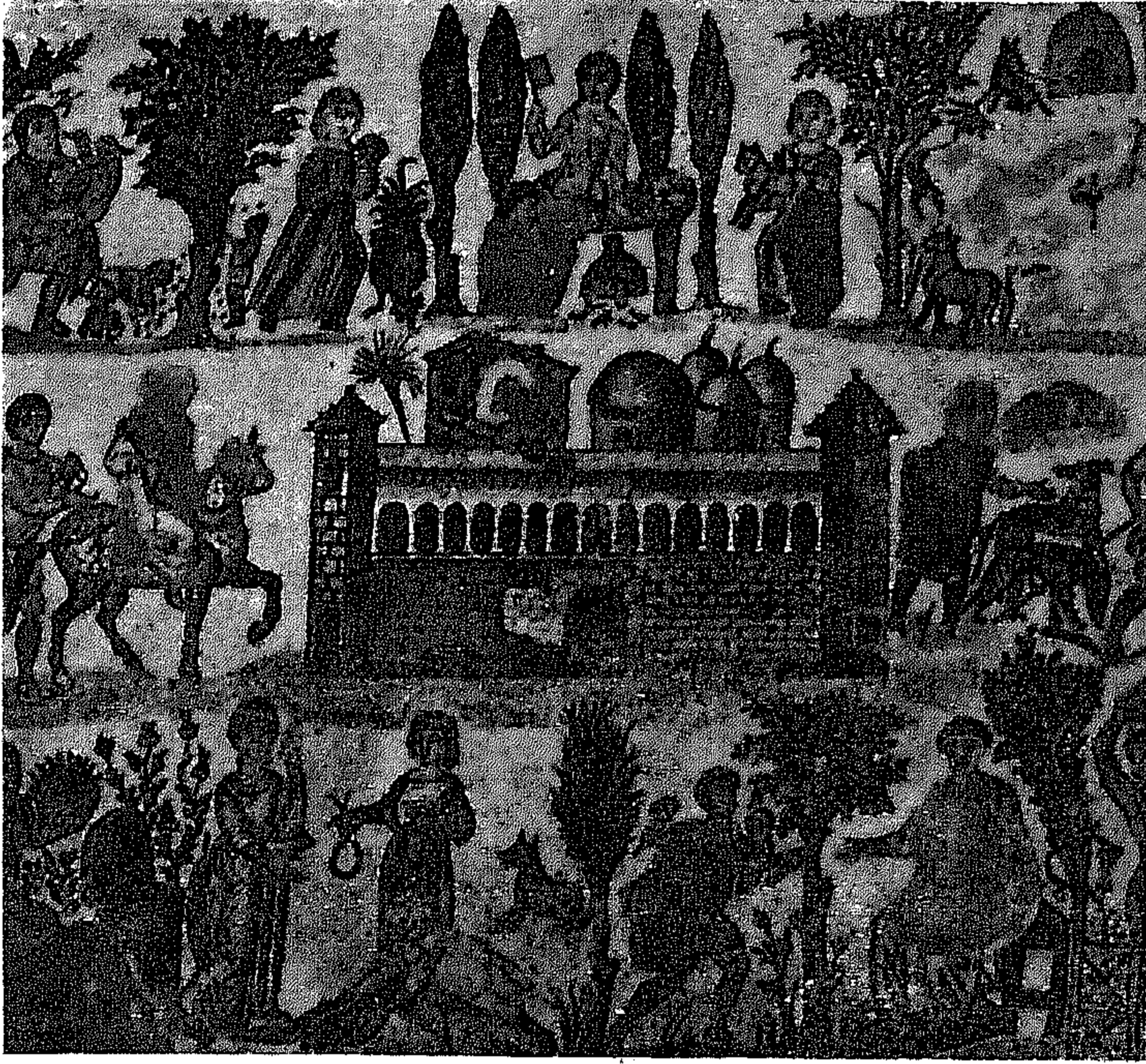
ومكتبة وقوس نصر أقامه الامبراطور تراجان (ش ٥٤) . وكانت هذه المدينة رباطا للجنود في أول الأمر ثم تحولت إلى مدينة كبيرة بعد ذلك . كما تحتوي مدينة تبسه على معبد روماني وقوس نصر أقامه الامبراطور كراكالا .

عثر في المراكز التونسية أيضاً على عمائر إغريقية رومانية ، ويتضح ذلك في آثار مدينة قرطاج التي ازدهرت في القرن الثاني الميلادي ، فعثر بها على معبد للاله أبولو وحمامات ومسارح ، وكانت تزين هذه العمائر أعمدة ذات تيجان كورنيشية (ش ٥٥) .

كان لمصر تأثير واضح في فنون عاصمة الملك يوبا الثاني المتزوج من ابنة كليوباترة السابعة ، حيث عثر في مدينة شرشال على تماثيل للإلهة المصرية أيزيس مرتدية زيا رومانيا (ش ٥٦) ، كما عثر على أوان ومسكوكات من بينها قطعة ذهبية منقوشة بصورة الملكة كليوباترة السابعة .

ومن أجمل ما عثر عليه في هذه المدن من الفنون الرومانية ، زخارف الفسيفساء التي تحتفظ متاحف تونس والجزائر بمجموعات كبيرة منها . ولقد عثر في مدينة شرشال على فسيفساء توضح شكل العمائر المدنية الرومانية . ولقد انتقل طراز فسيفساء الاسكندرية إلى شمال البلاد التونسية في أول الأمر ، لذلك كانت الزخارف الأولى تشتمل على الموضوعات النيلية المفضلة في الإسكندرية .

وكان أهم ما أنتجته تونس هو فن الفسيفساء ، وقد عرف القرطاجنيون هذا الفن عن طريق اليونان منذ القرن الثالث ق . م . وظهرت آثار منه في مدينة كركوان وبعض منازل قرطاج القديمة قبل تدميرها وإنشاء مدينة رومانية على أنقاضها . وذاع صيت المدينة بصفة خاصة في القرن الرابع وكان لفسيفسائها طابع خاص . ويتضح ذلك في أرضية عثر عليها في منزل تصور قصر وحديقة السيد جولوس (ش ٥٧) صاحب المنزل . ولا تقل فسيفساء المراكز الجزائرية في جمال الموضوعات عن المراكز التونسية ، ويتضح ذلك في فسيفساء عثر عليها في منزل في مدينة لامبيز تصور حوريات على ظهر حيوانات بحرية خرافية (ش ٥٨) . وهذه من المواضيع التي انتشرت في زخارف الفن الإغريقي الروماني في الشرق الأوسط .



(شكل ٥٦) تمثال من الحجر يصور
الإلهة المصرية إيزيس مرتدية زياً رومانياً
بمتحف الجزائر.



(شكل ٥٧) فسيفساء عثر عليها في قرطاج تصور ضيعة السيد جوليوس وما تحثونه من مبان
وأشجار وحيوانات . القرن الثاني أو الثالث بعد الميلاد - حالياً متحف باردو . تونس

(شكل ٥٨) فسيفساء عثر عليها في منزل بمدينة لامبيز حالياً بمتحف المدينة . الجزائر.



البَابُ الثاني

العصر المسيحي في الشرق (القرن الرابع القرن الخامس عشر الميلادي)

تمهيد تاريخي :

ظهر الدين المسيحي في فلسطين في أوائل عهد الإمبراطور كاليجول (٣٧ - ٤١ م) وانتشر في خلال الخمسة قرون التالية بين شعوب الإمبراطورية الرومانية . ولقد عارضت الدولة الحاكمة بطبيعة الحال الدين الجديد ، وبدأت سلسلة من الاضطهادات منذ عصر الإمبراطور نيرون (٥٤ - ٦٨ م) . وكثر الاضطهاد في القرن الثالث وأوائل الرابع في عهد الأباطرة دسيوس (٢٤٩ - ٢٥١ م) وقاليريان (٢٥٧ - ٢٥٨ م) . إلا أن التنكيل بلغ أشده في عهد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) الذي أصدر مرسوماً بذلك عام ٣٠٣ م . وقلت هذه الاضطهادات بالتدريج في أنحاء الإمبراطورية في الغرب بعد استقالة دقلديانوس ، وفي الشرق بعد المرسوم الذي أصدره جاليريوس عام ٣١١ م .

وعندما تولى قسطنطين (٣١٣ - ٣٣٧ م) حكم الإمبراطورية ، ترك الحرية كاملة لممارسة الدين الجديد ، وذلك بعد انتصاره على معارضيهِ وإصدار مرسوم ميلان عام ٣١٣ م . وبالرغم من أن قسطنطين كان متعاطفاً مع الدين الجديد ، فإنه لم يعتنقه إلا بعد عام ٣٢٤ م . وبذلك صار الدين المسيحي تقريباً دين الدولة الرسمي . نقل قسطنطين مركز حكم الإمبراطورية الرومانية الموحدة من روما إلى الشرق ، واختار مدينة بيزنطة لتكون موقعاً للعاصمة الجديدة التي أطلق عليها القسطنطينية . تولى حكم الإمبراطورية بعد أسرة قسطنطين ، ثيودوسيوس العظيم (٣٧٩ - ٣٩٥ م) الذي أحيا المسيحية وأصدر مرسوماً بإغلاق المعابد الوثنية . وكان آخر الأباطرة الذين حكموا إمبراطورية موحدة امتدت من فرنسا في الغرب إلى بغداد في الشرق ، حيث

انقسمت الإمبراطورية بعد وفاته بين أبنائه إلى شرقية عاصمتها القسطنطينية وغربية عاصمتها روما . وكانت بلاد الشرق الأوسط تابعة للإمبراطورية الشرقية .
وبينما سببت الحروب التي خاضتها الإمبراطورية الغربية مع أعدائها إنهايارها ، نجد أن الإمبراطورية الشرقية التي لم تحارب إلا الفرس تواصل ازدهارها ، وعندما تولى جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) حكم الإمبراطورية الشرقية ، كان العالم البيزنطي يشمل شبه جزيرة البلقان في أوروبا وسوريا وبلاد الأناضول في آسيا ، ومصر في أفريقيا . ويعرف عهده بالعهد الذهبي الأول للحضارة البيزنطية .

وتمكن جستنيان من توسيع الإمبراطورية بالاستيلاء على شمال أفريقيا وجنوب أسبانيا وجزر البليار . إلا أنه انهزم أمام خسرو العظيم الحاكم الساساني . ولقد تخلل حكم الدولة البيزنطية حروب مع دولة الساسان الفارسية ، كان يهدئ من حدتها بعض معاهدات السلام التي كانت توقع بين الأباطرة البيزنطيين والفرس .

تمكن هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م) من طرد الفرس من ممتلكات الإمبراطورية . إلا أن الأمة الإسلامية التي نشأت في شبه الجزيرة العربية تمكنت من الاستيلاء على سوريا وفلسطين ومصر بعد انتصارها في موقعة اليرموك . وقد تمكن الإمبراطور ليون الثالث (٧١٧ - ٧٤٠ م) من صد هجوم العرب على القسطنطينية في عام (٧١٧ - ٧١٨ م) . ولقد بدأ صراع في عهده بين رجال الكنيسة بين مؤيدين ومعارضين لاستخدام التصوير وسيلة في الإرشاد الديني بعد إصداره مرسوماً بذلك عام ٧٢٦ م . إلا أن ابنه قسطنطين الخامس (٧٤٠ - ٧٧٥ م) أصدر مرسوماً ثانياً عام ٨٤٢ م بإعادة الصلة بين الكنيسة والفن . وانتهى النزاع في عام ٨٤٣ م بواسطة الإمبراطورة ثيودورا .

عادت للإمبراطورية أمجادها في عهد الأسرة المقدونية التي أسسها بازيل الأول (٨٦٧ - ٨٨٦ م) ومن أشهر حكامها قسطنطين السابع (٩١٣ - ٩١٩ م) الذي أعاد مجد الإمبراطورية البيزنطية . وامتدت حدود الدولة حتى روسيا في عهد بازيل الثاني (٩٦٣ - ١٠٢٥ م) . وتعرف هذه الفترة بالعهد الذهبي الثاني للحضارة والفنون البيزنطية .

توالى على حكم الدولة البيزنطية عدد من الأسر حتى عام ١٤٥٣ الذي استولى فيه

محمد الفاتح العثماني على القسطنطينية . إلا أن الحضارة والفنون البيزنطية استمر ظهورها لعدة قرون في روسيا وفي دول البلقان .

كان الطراز الفني الذي أتى في أعقاب العصر الهيلنستي (الإغريقي الروماني) طرازاً دولياً مسيحياً استمر من القرن الرابع حتى القرن السادس . ولقد تطور هذا الفن في البلاد الغربية وفي الشرق وطرأت عليه تغيرات ارتبطت كلها بالعقيدة المسيحية الجديدة .

وبطبيعة الحال لم يكن لهذا الفن المسيحي مركز خاص ينبع منه وينسب إليه ، بل نجد أن الشعوب قد مارسته في وقت واحد في مراكز الإمبراطورية المختلفة مثل روما والإسكندرية وأنطاكية . إلخ . وكان الفن المسيحي في كل من هذه المناطق المختلفة متأثراً بأساليب الفن المحلي . ولقد أدى انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية إلى ظهور فن مسيحي شرقي عرف بالفن البيزنطي . وسوف نتبع في الشرق أيضاً الفنون المسيحية في الفن القبطي المصري والفن المسيحي في سوريا وشمال أفريقيا .



الفصل الأول

القسطنطينية — الفن البيزنطى

كانت بيزنطة التى اختارها قسطنطين لتكون مركزاً للعاصمة الإمبراطورية الرومانية بدلاً من روما العاصمة القديمة الوثنية ، مدينة صغيرة أنشأها الإغريق عام ٦٥٠ ق . هـ على بحر مرمره . ولقد ساعد موقعها الجغرافى بين الشرق والغرب على أن تكون مركزاً تجارياً هاماً فى العصر الإغريقى الرومانى . وأصبحت للعاصمة الجديدة قسطنطينية ^(١) بعد أن انتقل إليها قسطنطين فى عام ٣٣٠ م ، نفوذ سياسى ودينى ينافس نفوذ روما . وكانت الثقافة خليطاً من الحضارة الإغريقية الهيلينستية وتأثيرات رومانية أتت بها الرومان النازحون إلى العاصمة المسيحية . وصارت القسطنطينية منذ القرن السادس المركز الرئيسى للحضارة والفن البيزنطى حتى سقوطها فى أيدي الأتراك فى منتصف القرن الخامس عشر .

والفن البيزنطى الذى بدأ نهضته الأولى فى القرن السادس ، هو المرحلة المسيحية للفن الإغريقى الرومانى فى الشرق ، أى أنه طراز مشتق من امتزاج عناصر من روما ومن العالم الهيلينستى مع عناصر شرقية محلية ، خضعت بعد انصهارها لتأثيرات من الدين الجديد . لذلك يجب على دارس الفن البيزنطى أن يكون ملماً بفنون الشرق الأوسط التى أثرت فيه . فمن بلاد النهرين وإيران انتقلت عناصر من الفن الساسانى ، كما ظهرت به عناصر من الفن الهيلينستى الذى كان متشرباً فى الإسكندرية وسوريا وفى المدن الصحراوية . ولقد وجدت فى الفن البيزنطى عناصر من الفن الحيثى الذى نشأ فى آسيا الصغرى . كما يمكن الرجوع إلى العالم الكلاسيكى فى فن التصوير البيزنطى . ولقد ساعد على تكوين الطراز البيزنطى الإيمان بالدين المسيحى الذى استقرت قواعده فى القرن السادس ^(٢) فى عهد الإمبراطور جستينيان . ويمكن مقارنة النهضة

(١) احتفظ العلماء بالاسم القديم بيزنطة لوصف الثقافة والفنون المسيحية التى ظهرت فى الشرق .

(٢) لم تكن الديانة مستقرة ، حيث شجع الإمبراطور جوليان (٣٦١ - ٣٦٣ م) على الرجوع إلى الوثنية .

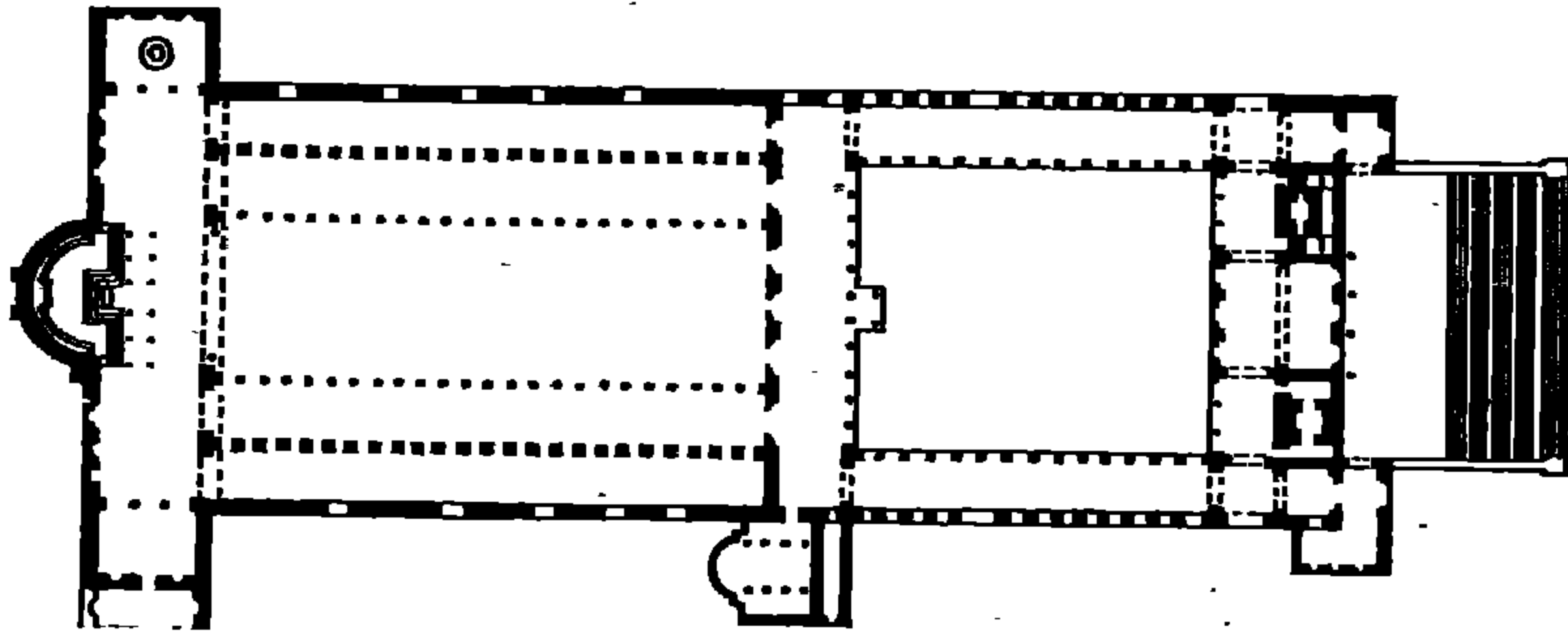
الفنية التي ظهرت في عصره بالازدهار الذي ظهر في أوروبا في عصر النهضة . ولقد انتاب الفن البيزنطي فترة خمول منذ الفترة التي كثر فيها الصراع بين رجال الكنيسة في القرن الثامن حول استخدام الفن كوسيلة إرشاد ديني . إلا أنه ازدهر مرة ثانية في العهد الذهبي الثاني للفن البيزنطي . وكان من أهم مظاهر النشاط الفني الذي صاحب التغيير الديني ، انتشار المباني المسيحية البيزنطية في المدن المهمة . لذلك نجد أن المسيحية لم تقتصر على كونها إحدى العوامل التي أثرت في تطور الفن البيزنطي ، بل كانت أهم العناصر التي كونته .

العمارة :

نشطت الحركة المعمارية بعد ظهور المسيحية . ومن أهم نشاط ذلك العصر المباني الدينية التي داوم الأباطرة على إقامتها لإحياء رسالة الدين . وينقسم طراز المباني الدينية إلى قسمين : الأول قبل انتقال العاصمة إلى الشرق والثاني بعد تشييد القسطنطينية حيث تظهر في الفن الروماني المسيحي تأثيرات شرقية .

عمارة الكنيسة :

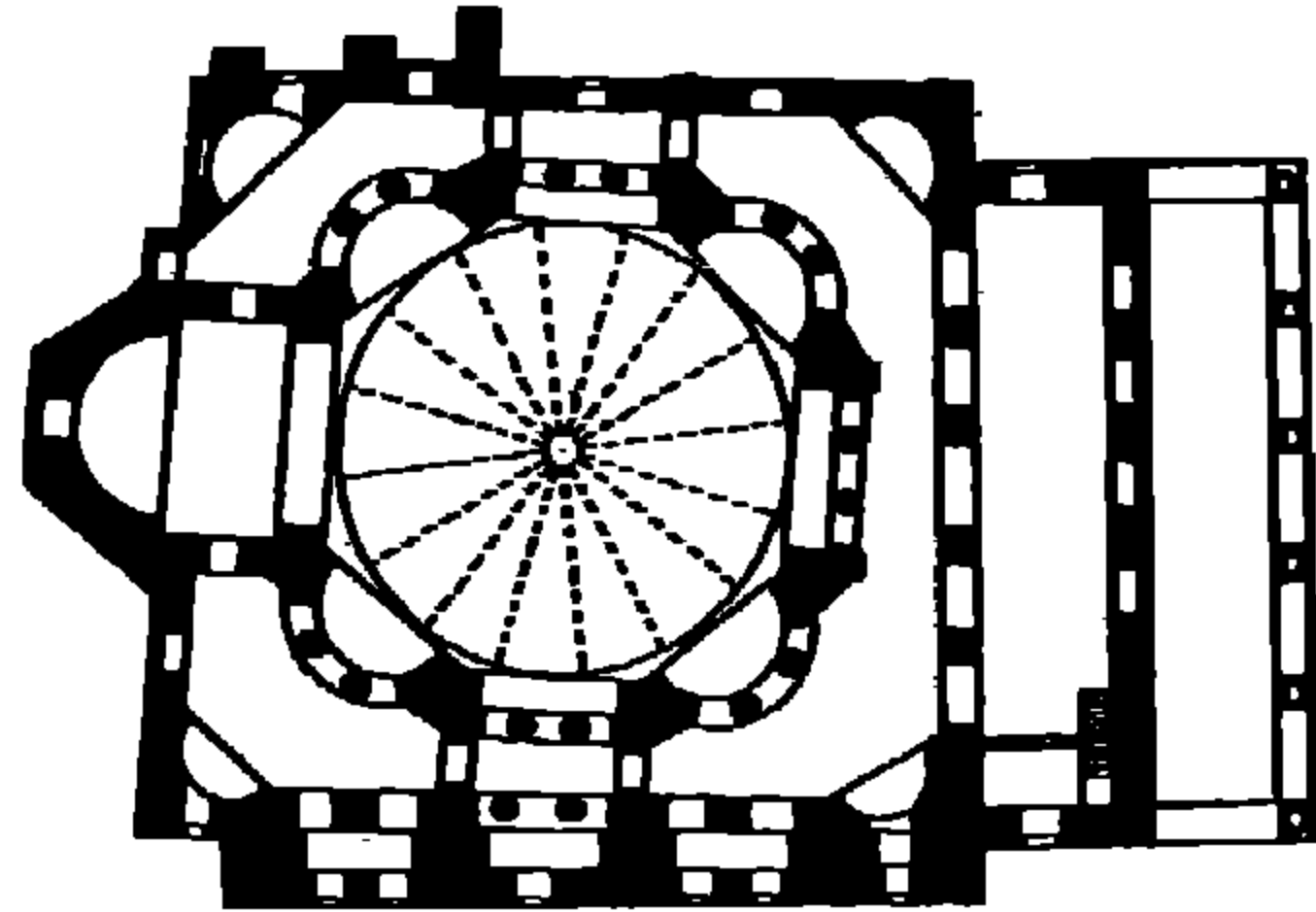
عندما انتشرت المسيحية في عهد قسطنطين كان تصميم العماائر الدينية الأولى (رسم ١) مقتبسا من البازيليك الرومانية ذات السقف الخشبي وليس من المعابد



(رسم ١) تصميم كنيسة القديس بطرس القديمة بروما

الوثنية . وذلك لأن البازيليكا التي كانت تستخدم لأغراض دنيوية ، يوجد بها من الداخل مكان متسع يصلح للاجتماعات بعكس المعابد الوثنية التي كانت طقوس العبادة تقام خارجها . ولقد أطلق على هذا النوع من الكنائس (ش ٥٩) « الكنيسة البازيليكية » .

وبعد انتقال عاصمة الدولة الرومانية إلى ييزنطة ، ظلت البازيليكات (ش ٦٠) الطراز السائد في أوروبا حتى آخر القرن الثامن ، على حين نشأ في الدولة الشرقية الطراز البيزنطي منذ القرن السادس ، ظل سائداً إلى وقت فتح العثمانيين القسطنطينية .



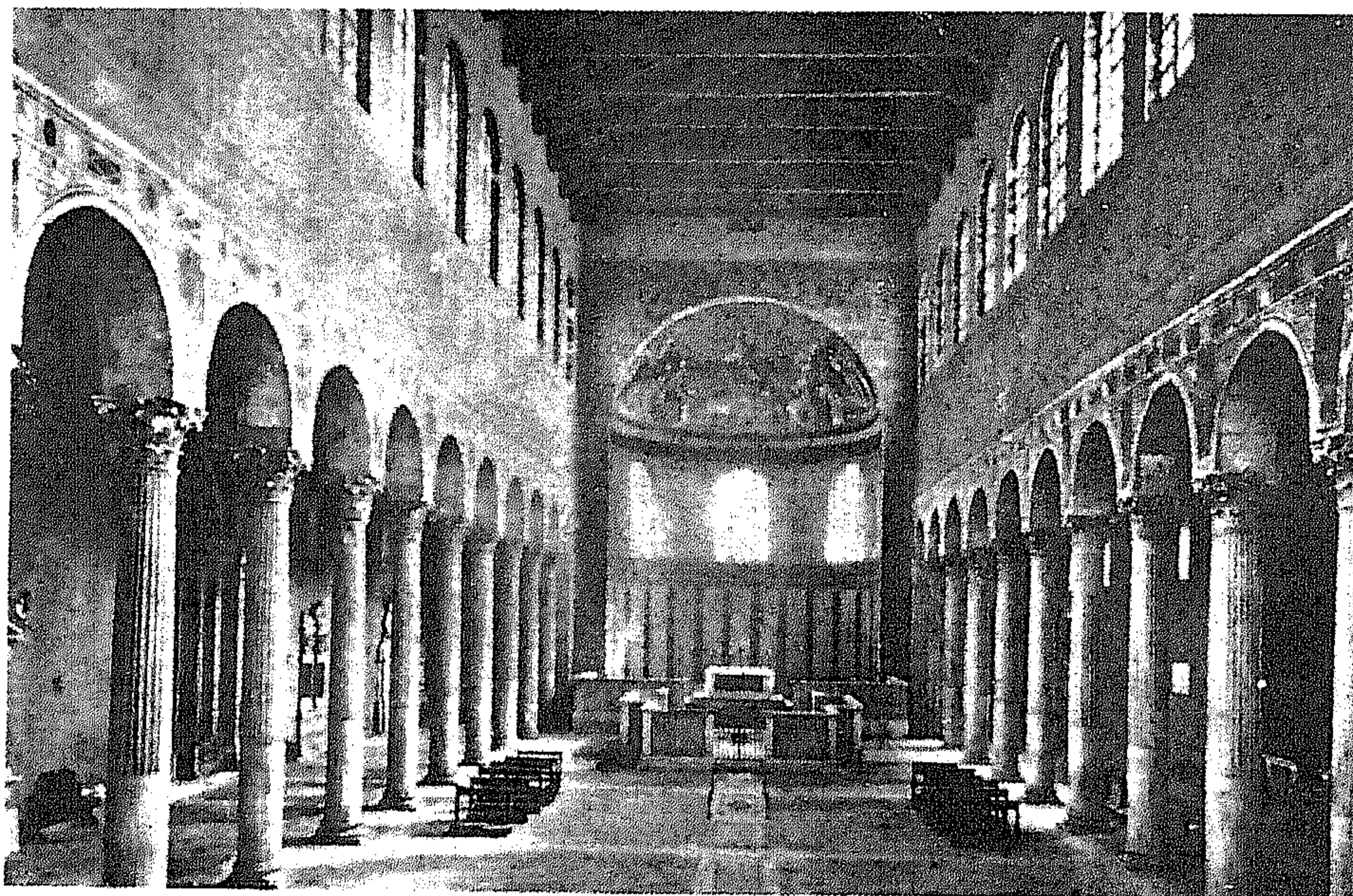
(رسم ب)
تصميم مبنى القديسان سرجيوس وباخوس (٥٢٦ - ٥٢٧)
صورة منقولة عن دهبو وبزولد

كانت العمائر الدينية التي شيدت في القرن السادس في أنحاء الإمبراطورية الرومانية تنقسم إلى أربعة طرز مختلفة : (١) الكنيسة البازيليكية ذات السقف الخشبي مثل كنيسة القديسة ماري بالقسطنطينية وكنيسة القديس أبولينار في رافينا ، (ش ٦١) . (٢) المباني التي تعتمد على تصميم مركزي مثل مباني التعميد المستديرة أو المتعددة الأضلاع مثل مبنى القديسين سرجيوس وباخوس في القسطنطينية (٥٢٦ - ٥٣٧ م) (رسم ب) و (ش ٦٢) وكنيسة القديس فيتال في رافينا . (٣) الكنيسة المغطاة بقبة مثل كنيسة القديسة إيرين ٤٣٢ م والقديسة صوفيا (٥٣٢ - ٣٧٠) بالقسطنطينية (رسم ح) . وكان هذا الطراز مقتبساً من الطرازين السابقين . (٤) الكنيسة التي يعتمد تصميمها على الصليب الإغريقي المتساوي الأضلاع . وهذا طراز ييزنطي صرف ظهر في القرن السادس وفيه تعلو قبة مركز تقاطع أضلاع الصليب



(شكل ٥٩) كنيسة القديس بولس القديمة بروما . « نقلًا عن رسم ج . ب . بيراني ، ١٧٤٩ »

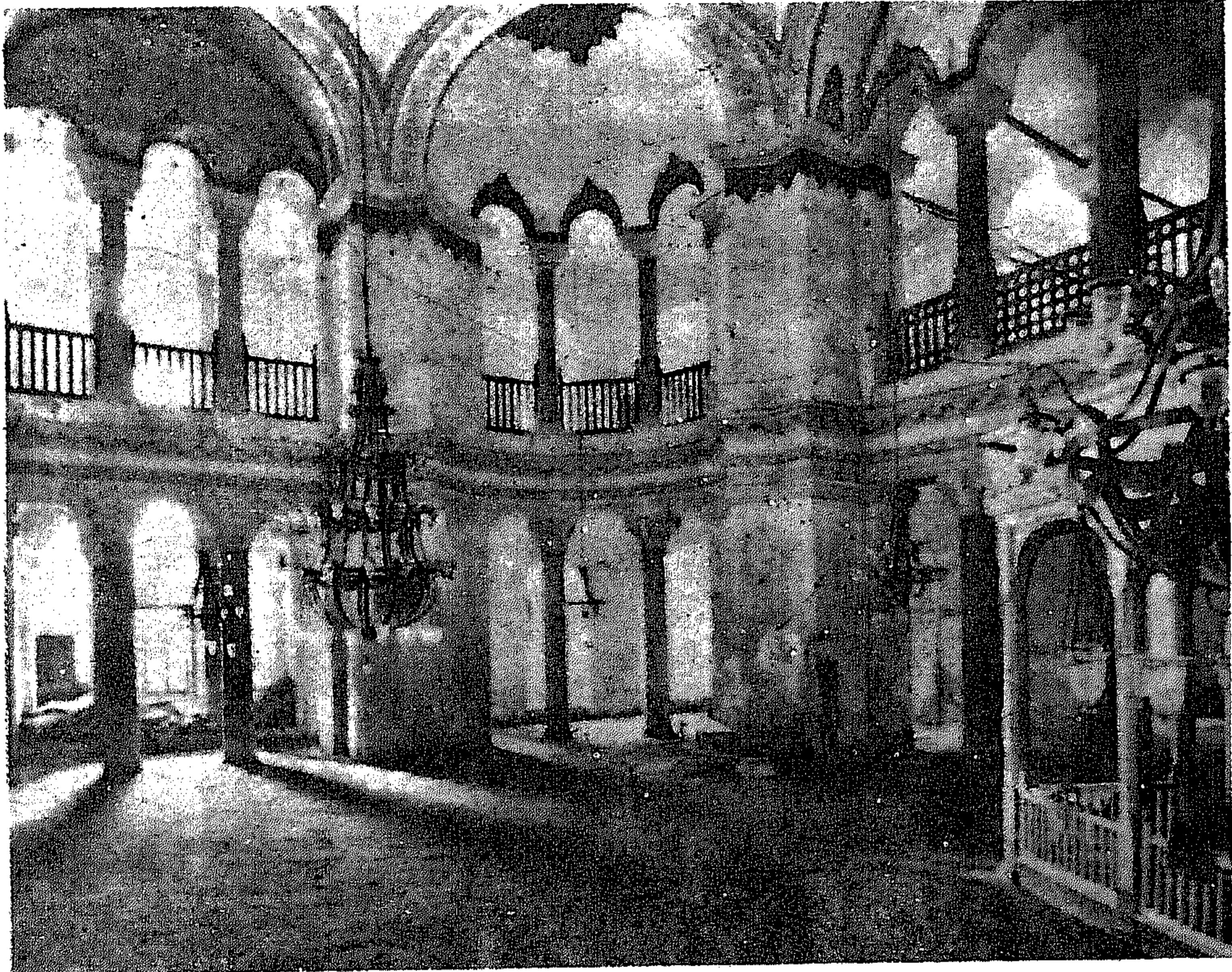
(شكل ٦٠) الكنيسة البازيليكية « القديسة ساينا » بروما ٤٢٢ - ٢٥ م .



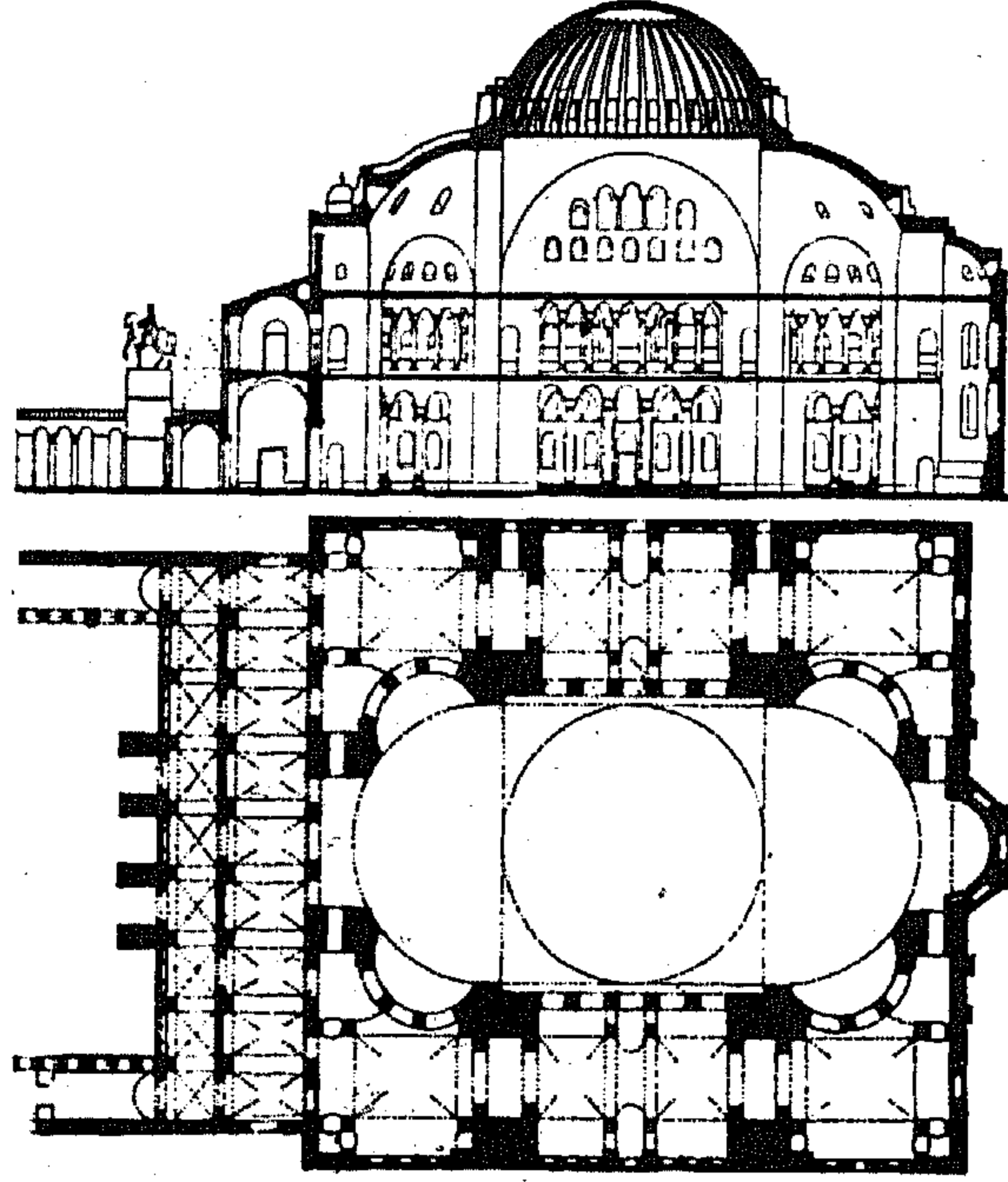


(شكل ٦١) كنيسة القديس أبوليناريونوفو، رافينا .

(شكل ٦٢) كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس باسطنبول (القسطنطينية) ٥٢٦ - ٣٧ .



الإغريقي الموجود داخل مربع ، وظهر هذا الأسلوب في كنيسة الرسل المقدسة بالقسطنطينية^(١) (٥٣٦ - ٥٤٦) (رسم د) .



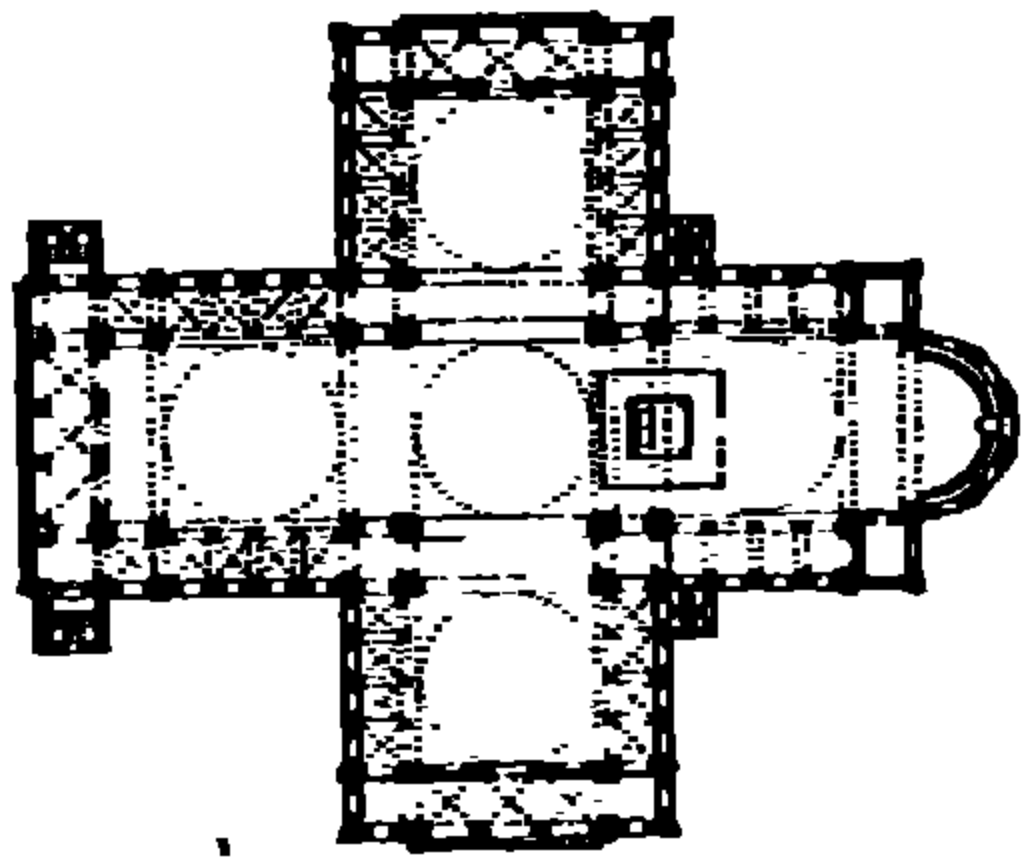
(رسم ح) تصميم وقطاع في كنيسة القديسة صوفيا . القسطنطينية . (منقول عن جرت ، سيل)

تعتبر كنيسة القديسة صوفيا (ش ٦٣) أعظم العمائر التي شيدها الإمبراطور جستنيان عند تعميره للعاصمة . وكانت تعد في تلك الفترة مفخرة العمارة البيزنطية كما أن لها أهمية خاصة في تاريخ العمارة للابتكارات التي ظهرت بها . ولقد ذاع صيتها وعرفت أسماء مصمميها الإغريق^(٢) . وقد تحولت إلى مسجد بعد الفتح العثماني وأضيف إليها أربعة مآذن كما غطيت زخارف الفسيفساء المصورة بطبقة من الجير الأبيض . يتضح من دراسة كنيسة أياصوفيا أن تصميمها يجمع بين عناصر مختلفة . فيظهر بها المحور الطولي المعروف في الكنائس البازيلية ، إلا أن الجزء المتوسط من الرواق

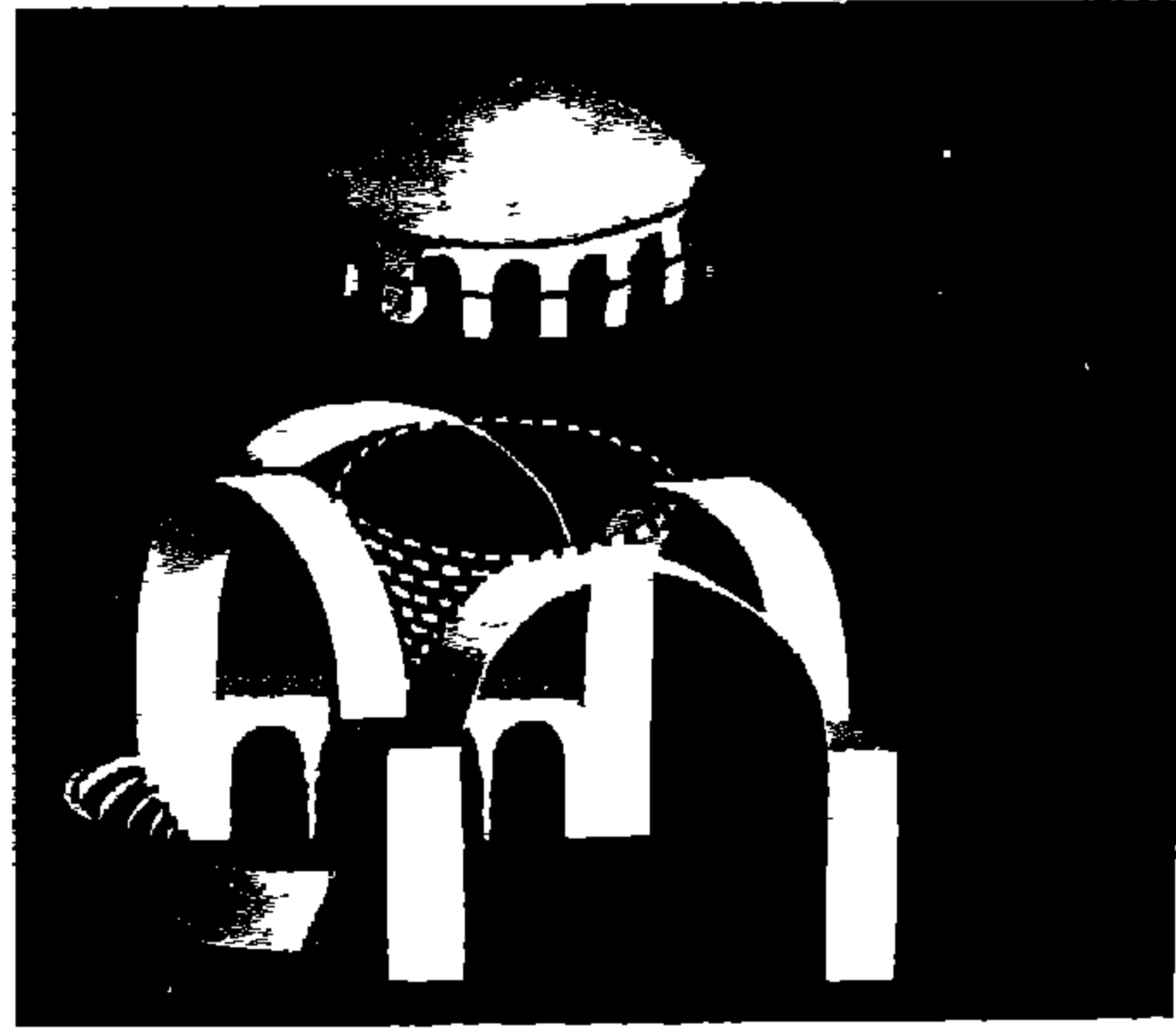
(١) هدم الأتراك هذه الكنيسة وشيدوا مسجداً مكانها .

(٢) عرف من بينهم أنثيمسوس وإيزيدورس .

البازيليني يتوسطه مربع يعلوه قبة ضخمة . وتغطي بقية الإيوان أنصاف دوائر من كل جانب وبذلك يأخذ الرواق الشكل البيضاوي . ويتصل بأنصاف الدوائر حنيتان مستديرتان في الأركان . وتعتمد القبة الرئيسية على أربعة عقود تنقل ثقل الدائرة إلى الدعائم المقامة في أركان المربع (رسم هـ) وبذلك لا يكون للجدران الموجودة أسفل العقود أى دور وظيفي ، ويربط العقود الأربعة محيط دائرة القبة وذلك عن طريق حنايا الأركان المثلثية . ولقد استخدمت هذه الحنايا في تحويل المربع إلى دائرة . وينفذ النور إلى الداخل عن طريق نوافذ كثيرة في الأسطوانة التي تحمل القبة .

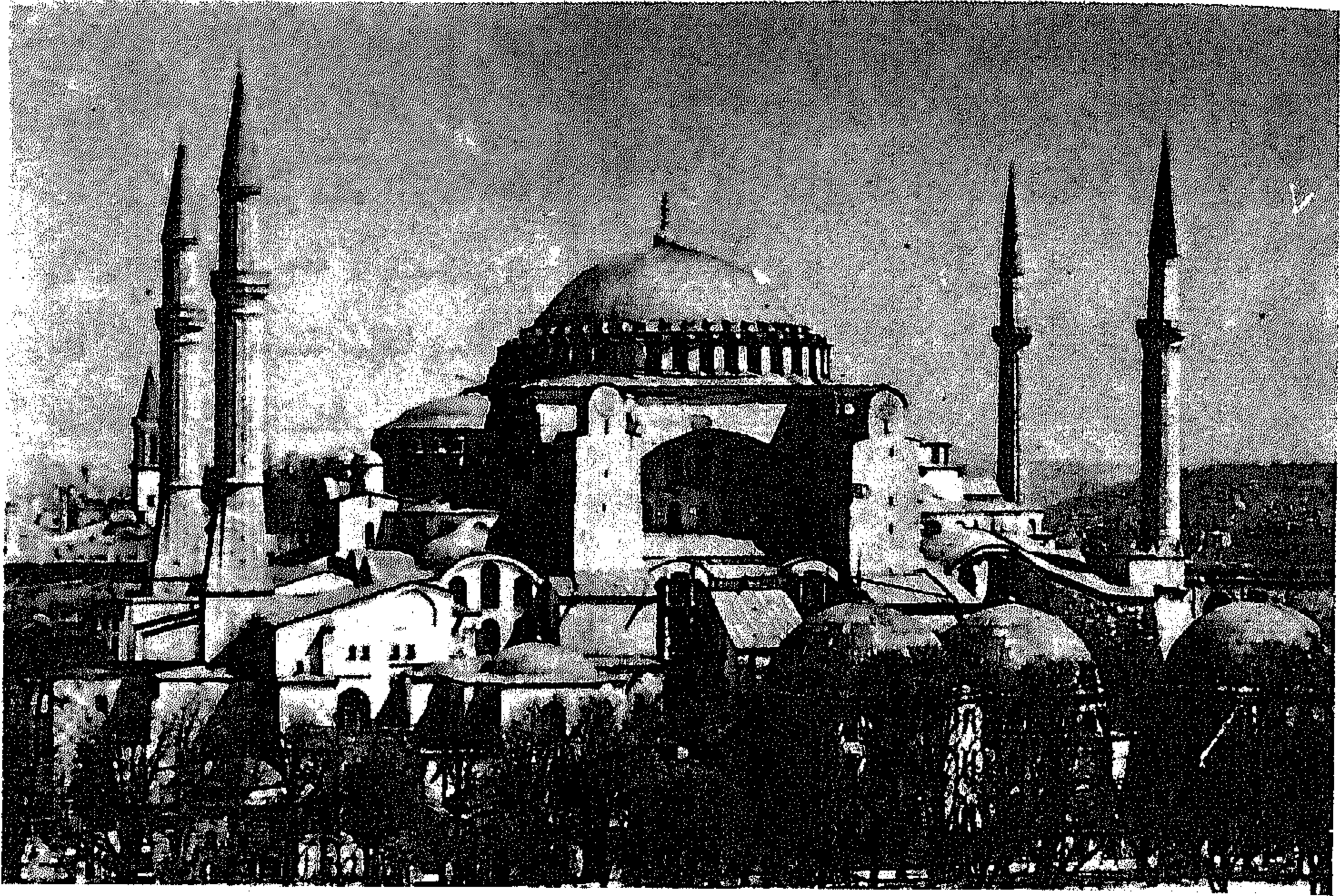


(رسم د) يضم كنيسة الرسل المقدسة .
القسطنطينية (منقول عن دهيوبزولد)



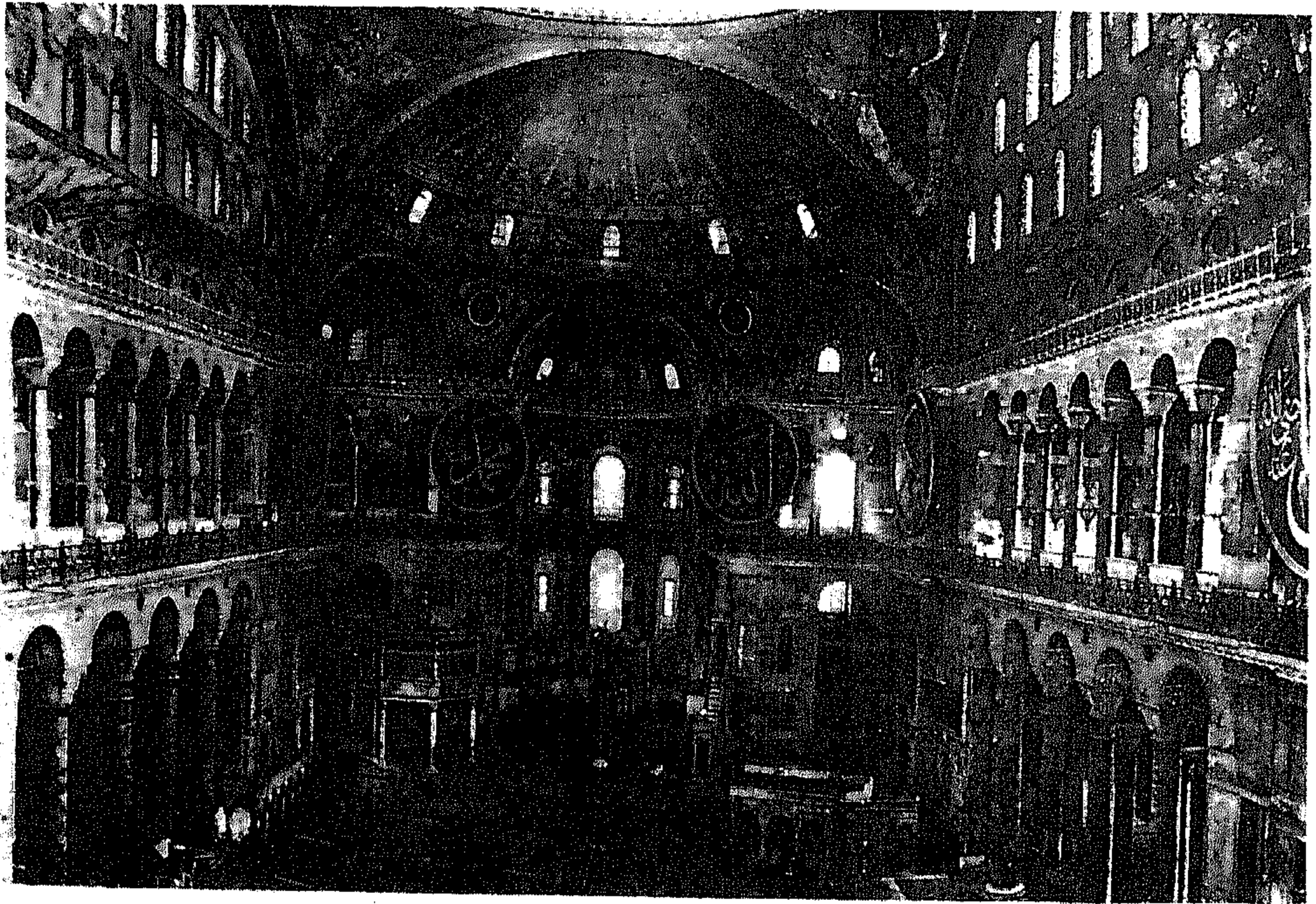
(رسم هـ) تحويل المربع إلى دائرة في كنيسة القديسة صوفيا

وهذا الطراز الذي توصل إليه المهندسون البيزنطيون ، الباثيون يسمح بتشييد مبنى عال أكثر إضاءة (ش ٦٤) من المباني القديمة ذات القبة مثل الباثيون الروماني وكنيسة القديسة كونستانزا وسان فيتال ، حيث كانت القبة تعلو مساحة مربعة أو متعددة الأضلاع . وفكرة تشييد قبة كبيرة متسعة على مربع كانت من ابتكار الفرس ، إلا أن العقود التي تحمل القبة وأنصاف القباب المتصلة بها يغلب أن يكون من ابتكارات فن المعماري البيزنطي . ولقد ورث البيزنطيون بطبيعة الحال كثيراً من أساليب العمارة والهندسة الرومانية ، كما إقتبسوا كثيراً من العناصر الفارسية وأيضاً من العمارة السورية .



(شكل ٦٣) سانتا صوفيا من الخارج باسطنبول ، الجامع الذي كان كنيسة شيدت في ٥٣٢ - ٣٧ .

(شكل ٦٤) سانتا صوفيا من الداخل . إسطنبول ، الجامع الذي كان كنيسة شيدت في الفترة ٥٣٢ - ٣٧ .



لم يظهر نظير لهذه الكنيسة في العالم البيزنطى بعد ذلك ، سواء كان ذلك في الاتساع أو في الروعة ، وانعكس تأثيرها على عدد من الكنائس التي شيدت بعد ذلك مثل كنيسة القديسة صوفيا بسالونيكيا . واستمر ظهور هذا التأثير في تركيا حتى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، حيث نشاهد ذلك في المساجد العثمانية التي شيدها الأتراك في القسطنطينية .

ومن أهم الطرز البيزنطية التي نشأت في عهد جستنيان الكنيسة المشيدة على تصميم يتساوى فيه المحور الطولى مع المحور العرضى أى على هيئة الصليب الإغريقى . وتتعدد القباب فوق هذا النوع من الكنائس . فبالإضافة إلى القبة التي تغطى مركز تقاطع أضلاع الصليب ، تظهر كما ذكرنا قباب فوق أضلاع الصليب الأربعة . وأشهر كنيسة من هذا الطراز كنيسة الرسل المقدسين (ش د) . ولقد انتقل هذا النموذج ذو القباب الخمسة إلى كنائس كثيرة أشهرها كنيسة القديس مرقس المشيدة عام (١٠٦٣ - ١٠٩٥) بالبندقية (ش ٦٥) .

ولا تظهر تصميمات جديدة في عمارة الكنائس البيزنطية منذ القرن العاشر حتى نهاية العصر البيزنطى . واقتصر ما وجد على بعض تعديلات في البناء وبصفة خاصة في الزخارف . كما زاد ارتفاع الكنيسة بزيادة ارتفاع القبة .

انتقل تأثير العمارة البيزنطية إلى الإمبراطورية الرومانية الغربية في القرن السادس ويظهر ذلك الطراز البيزنطى في كنائس مدينة رافينا التي اتخذها بعض الأباطرة الرومان ^(١) عاصمة للإمبراطورية الغربية بدلا من روما . ويتضح ذلك في كنيسة القديس أبولينار نوفو ^(٢) ، وفي كنيسة القديس فيتال التي أتم تشييدها الإمبراطور جستنيان في عام ٥٦٥ في أواخر حكمه .

كانت الكنائس البيزنطية تشيد عادة بالآجر في أغلب مناطق الإمبراطورية

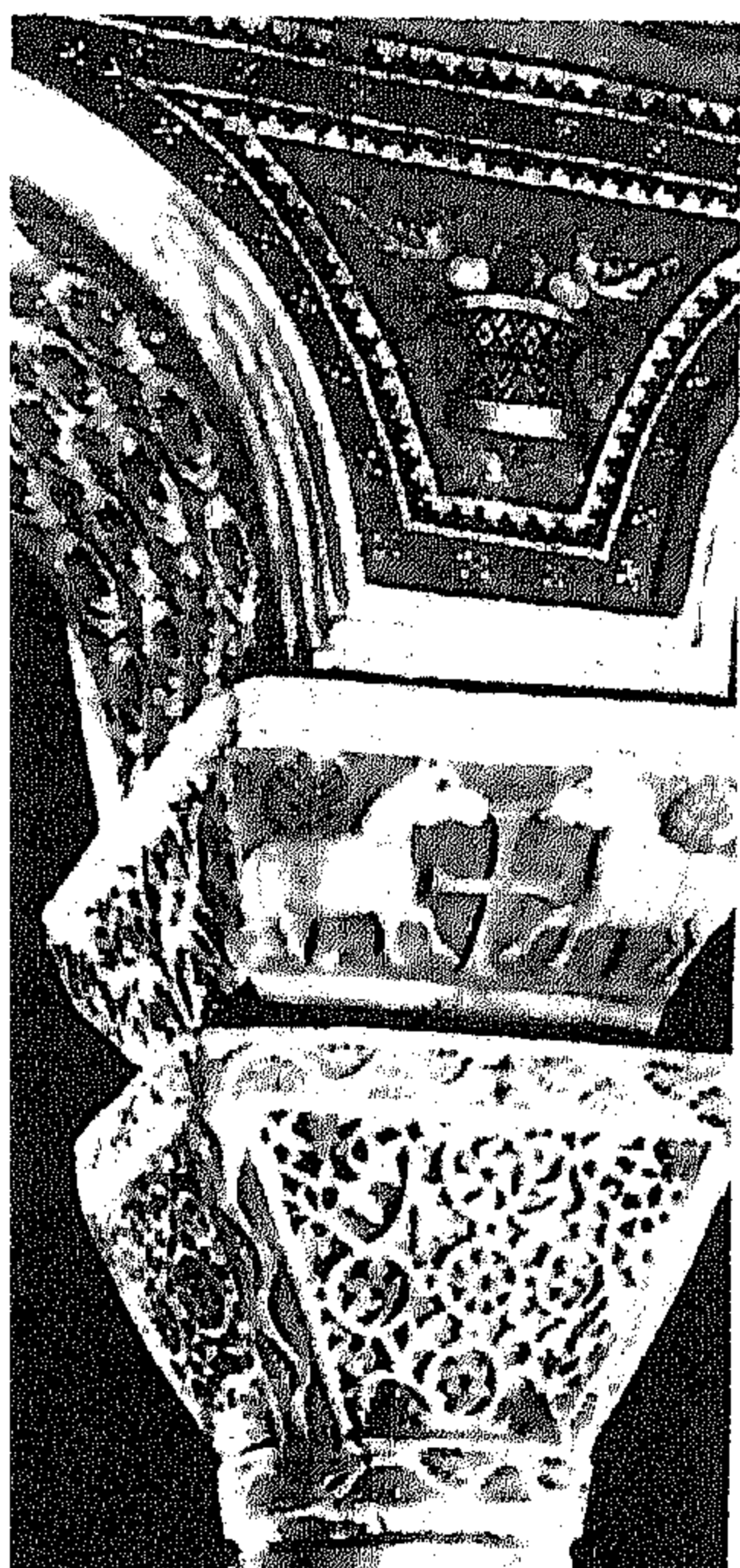
(١) اتخذ الإمبراطور أونوريوس رافينا عاصمة للإمبراطورية بدلا من روما في عام ٤٠٢ ، كما كانت عاصمة دولة القوط ٤٩٢ - ٥٣٩ في عهد الملك ثيودوريكو .

(٢) أقام ثيودوريكو كنيسة بجوار قصره بمدينة رافينا عام ٥١٠ أطلق عليها المسيحيون الكاثوليك اسم سان ماري تودات السقف الذهبي .

(شكل ٦٥) كنيسة القديس مرقس من
الخارج ، البندقية ويظهر فيها القباب
الخمسة ١٠٦٣ - ١٠٩٥ .



(شكل ٦٦) تاج عمود من كنيسة
القديس فيتال . رافينا ٥٣٠ .



(شكل ٦٧) تاج عمود من كنيسة
القديسة صوفيا .



(القسطنطينية - شبه جزيرة البلقان - بلاد اليونان - بلاد النهرين - مصر) ، على حين استخدم الحجر في مناطق قليلة (سوريا - بلاد الأناضول - كريت - قبرص) . ولم يهتم البيزنطيون بزخرفة الكنائس من الخارج . إلا أنهم وجهوا عناية خاصة بزخرفها من الداخل بحشوات زخرفية من الرخام والفسيفساء .

وظهرت أهمية العمود الوظيفية في العمارة البيزنطية وكان يستخدم بكثرة في عهد الرومان الوثني في الأغراض الزخرفية ، واستبدل العمود في بعض الحالات بدعائم مربعة . واستمد البيزنطيون أشكال تيجان أعمدتهم من بعض الطرز الرومانية بعد أن أدخلوا عليها أشكالاً مبتكرة .

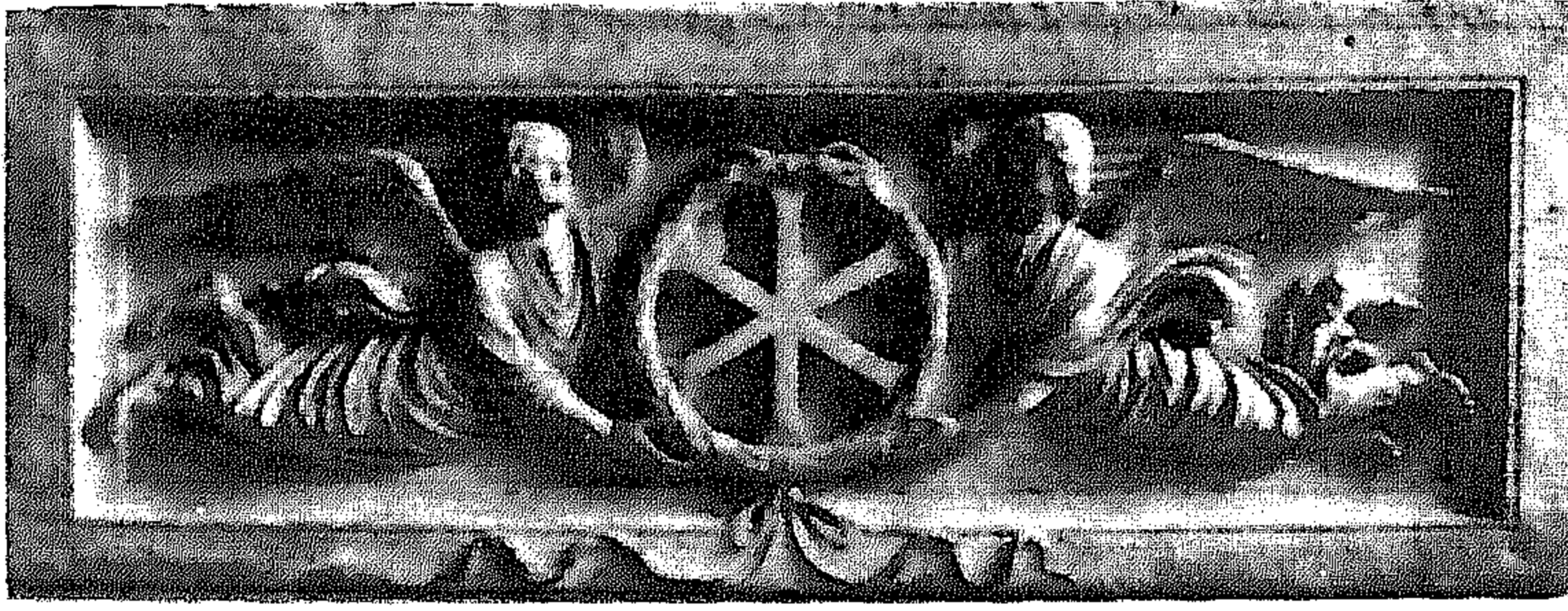
وكانت زخارف تيجان الكنائس الغريبة التي ترجع إلى العصر البيزنطي (ش ٦٦) متأثرة بنماذج من كنيسة سانتا صوفيا (ش ٦٧) . ويظهر في بعض الأعمدة تاج مكون من جزئين ، الجزء الأسفل وهو التاج الأصلي يظهر به زخارف منحوتة نحتاً دقيقاً ، والجزء العلوي وهو تاج إضافي يختلف زخارفه عن زخارف التاج الأصلي ، وتزين نقوشه غالباً الصليب أو حيوانات رمزية .

النحت على الحجر :

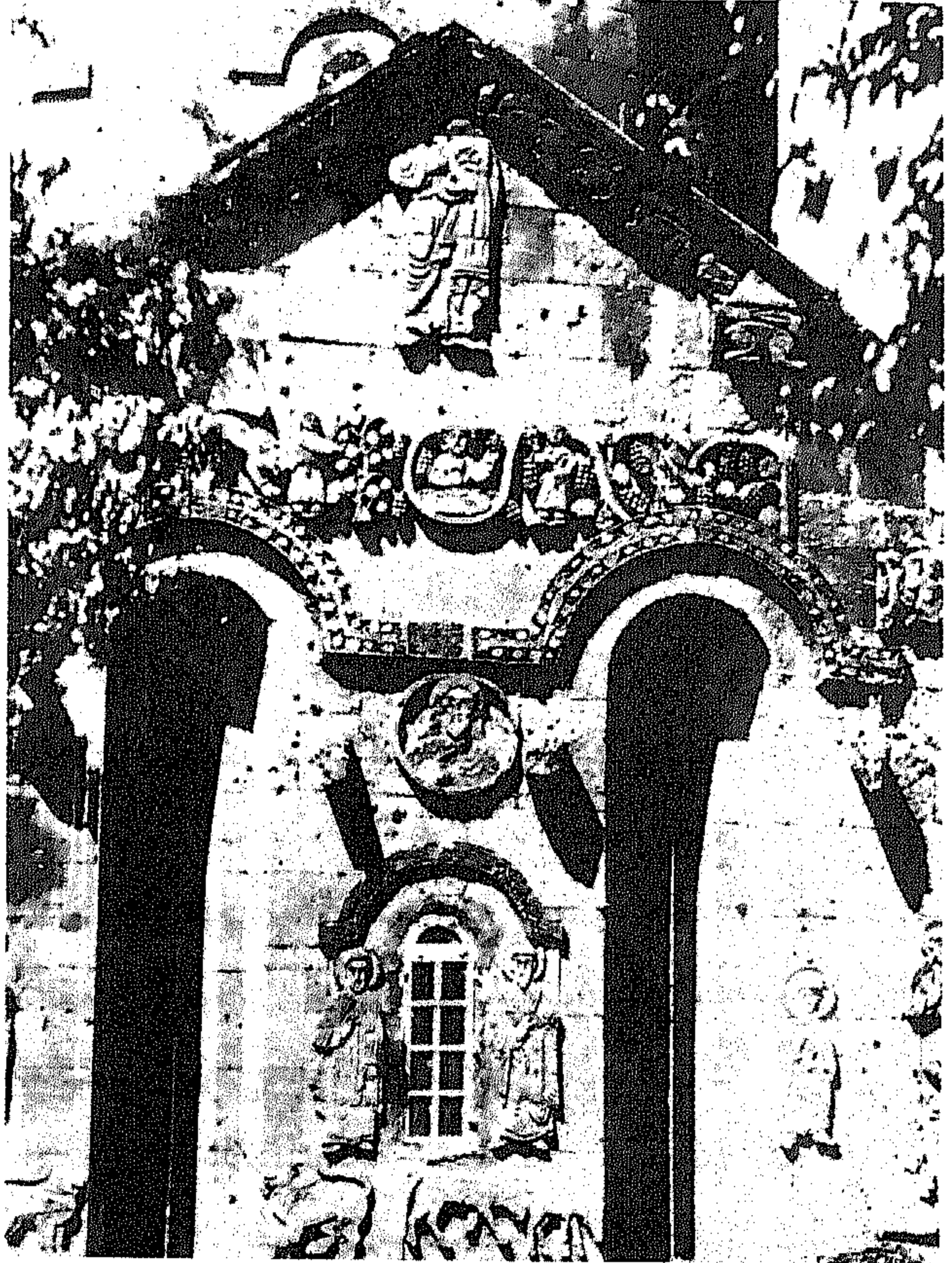
نلاحظ في دراسة الفن البيزنطي أن النحت الكامل لا وجود له في الكنائس البيزنطية ، ويرجع ذلك للتعليمات الدينية التي نادت بها القسطنطينية^(١) التي حرمت استعمال التماثيل الآدمية في الكنائس وإحلال الصور محلها .

واقصر فن النحت البيزنطي على أشكال مصورة بارزة من الأسطح الحجرية . وتظهر هذه النقوش البارزة على ألواح التوايت الحجرية (ش ٦٨) وتشتمل عناصرها على أشخاص وحيوانات وطيور ونباتات حية ورموز مسيحية . واستخدم هذا الفن على نطاق واسع في الكنائس . ومن أجمل الحشوات الحجرية المنقوشة بزخارف نباتية

(١) أصدر الإمبراطور ليون الأرمني قانوناً عام ٧٥٢ يحرم على الفنانين عمل أورسم صور آدمية ونبي بطريك القسطنطينية الذي كان ينادي بأن الرؤية تساعد على الإيمان أكثر من السمع . ونلاحظ أن روما استخدمت التماثيل في الكنائس وبخاصة في العصرين الرومانسكي والقوطي .



(شكل ٦٨) تابوت حجري منقوش بزخارف
مسيحية - القرن الخامس . حالياً بمتحف
الآثار ، إسطنبول .



(شكل ٦٩) كنيسة أختمر بالقرب من بحيرة
فان أرمينيا . شيدت في عصر الملك جاجيك
في الفترة ٩١٥ - ٩٢١



(شكل ٧٠) فسيفساء عثر عليها في أرضيات القصر
الإمبراطوري بالقسطنطينية ، القرن الخامس .

ما وجد على ألواح المنابر والمذابح وتيجان الأعمدة . ولقد انتقل أسلوب زخرفة الأسطح الحجرية عن طريق نحتها إلى أنحاء الإمبراطورية . وتشهد بذلك النقوش الموجودة على كنيسة بيلدة اختر بآرمينيا (ش ٦٩) التي ترجع إلى الفترة ٩١٥ - ٩٢١ .

التصوير :

عبر الرومان عن موضوعاتهم المسيحية المصورة بعدة أساليب : الفسيفساء ، التصوير الجداري ، الأيقونة والمخطوطات .

الفسيفساء :

تعتبر الفسيفساء من أهم مظاهر الفن المسيحي التي ازدهرت في العصر البيزنطي . وكانت الفسيفساء أهم الفنون المكتملة للمعمار في الكنائس البيزنطية ، حيث غطيت بها الأرضيات والقباب والعقود والجدران . وبالرغم من أن هذا الفن كان معروفاً في العصر الإغريقي الروماني ، إلا أن أهميته زادت عندما استخدمه البيزنطيون بكثرة في عرض الموضوعات الدينية في داخل الكنائس كوسيلة إعلامية .

وخلت الموضوعات الدينية المستمدة من الكتب المقدسة محل الموضوعات الدنيوية التي كانت مستخدمة من قبل في القصور لتمجيد الحكام وتسجيل هواياتهم المفضلة . ولقد وجدت نماذج لهذا الفن الدنيوي في أوائل العصر البيزنطي ، حيث عثر على أرضيات من الفسيفساء في قصر الإمبراطور بالقسطنطينية (ش ٧٠) ترجع إلى القرن السادس ، وفي بعض قصور أنطاكية . إلا أن هذه النماذج المشتقة من أمثلة هيلينستية لا تدخل تحت نطاق الفنون البيزنطية المسيحية .

وتتلخص طريقة تنفيذ الفسيفساء في عمل تصميمات زخرفية من مكعبات صغيرة منتظمة من الزجاج أو الرخام الملون ، تثبت فوق عجينة من الجص أو الأسمنت تغطي السطح . وبعد ما يجف الأسمنت وتماسك القطع يظهر التصميم المطلوب . وكانت خلفية التصميمات تزخرف أحيانا بالفسيفساء الذهبية . وأغلب فسيفساء الأرضيات والجدران توضع مكعباتها أفقية ، في حين إن مكعبات القباب يظهر بها

نوع من البروز. واختلفت الفسيفساء التي تغطي الأرضيات عن فسيفساء الجدران في الخامة وفي الموضوع . فكان يظهر بها موضوعات أسطورية وزخارف هندسية كما لم يستخدم فيها الزجاج .

وللأسف دمر كبير من فسيفساء القرن السادس^(١) التي وجدت بالقسطنطينية . كما أن كنيسة الحوارين القديسين الموجودة بالقسطنطينية كان بها صور من حياة المسيح ، كذلك وجدت فسيفساء مصورة في كنيسة القديس سرجيوس والقديس أسطفان بغزة .

ومن أهم نماذج الفسيفساء التي وجدت في الكنائس الشرقية فسيفساء ترجع إلى القرنين السادس والسابع وجدت في كنيسة القديس ديميتري بسالونيك ، ولقد كشف عنها عام ١٩٠٧^(٢) . وتظهر في الزخارف الباقية صورة لمؤسس الكنيسة واقفاً مع القديس (ش ٧١) ويلاحظ في تكوين هذه الصورة الجفاف وجمود الحركة ورسم الأشخاص في وضع المواجهة بوجوه شاخصة ، وهذا ما يميز النمط البيزنطي . وتعتبر هذه الصور من القطع البيزنطية الجميلة التي صممت بأسلوب قصصي تاريخي ، ولا تقل في تنفيذها عن زخارف كنيسة القديس أبولينارنوفو التي تعتبر من أجمل نماذج هذا الفن . انتشر تأثير طراز القسطنطينية في فسيفساء كنائس الغرب ، ويظهر ذلك بصفة خاصة في مدينة رافينا في كنيسة سان أبولينارنوفو وسان فيتال التي كان الإمبراطور جستنيان أمر بخرقتهما . وللكنيسة الأولى أهمية فنية كبيرة حيث توضح صورها تطور فن الفسيفساء في عهدين متتاليين ، العهد المسيحي الأول (٥٢٠ - ٥٣٠) وتتميز فسيفسائه بالحيوية والعناية بالتفاصيل والدقة ، وهذا أسلوب روماني ، والعهد البيزنطي الذي ظهر في عهد جستنيان ، وتتميز صورته بالجمود والوجوه الشاخصة ، وعدم إظهار أجزاء من الجسم برغم اهتمام الفنان بالتأثير الزخرفي .

ويظهر الأسلوب الأول في الصور الموجودة بأعلى الجدران في الجزء الذي يعلو النوافذ (ش ٧٢) ، (ش ٧٣) ، على حين نرى الأسلوب الثاني في الإفريز السفلي

(١) كان ذلك في فترة تحريم استخدام الصورة كوسيلة في الإرشاد الديني ، أوقد يكون أثر القزو العثماني .

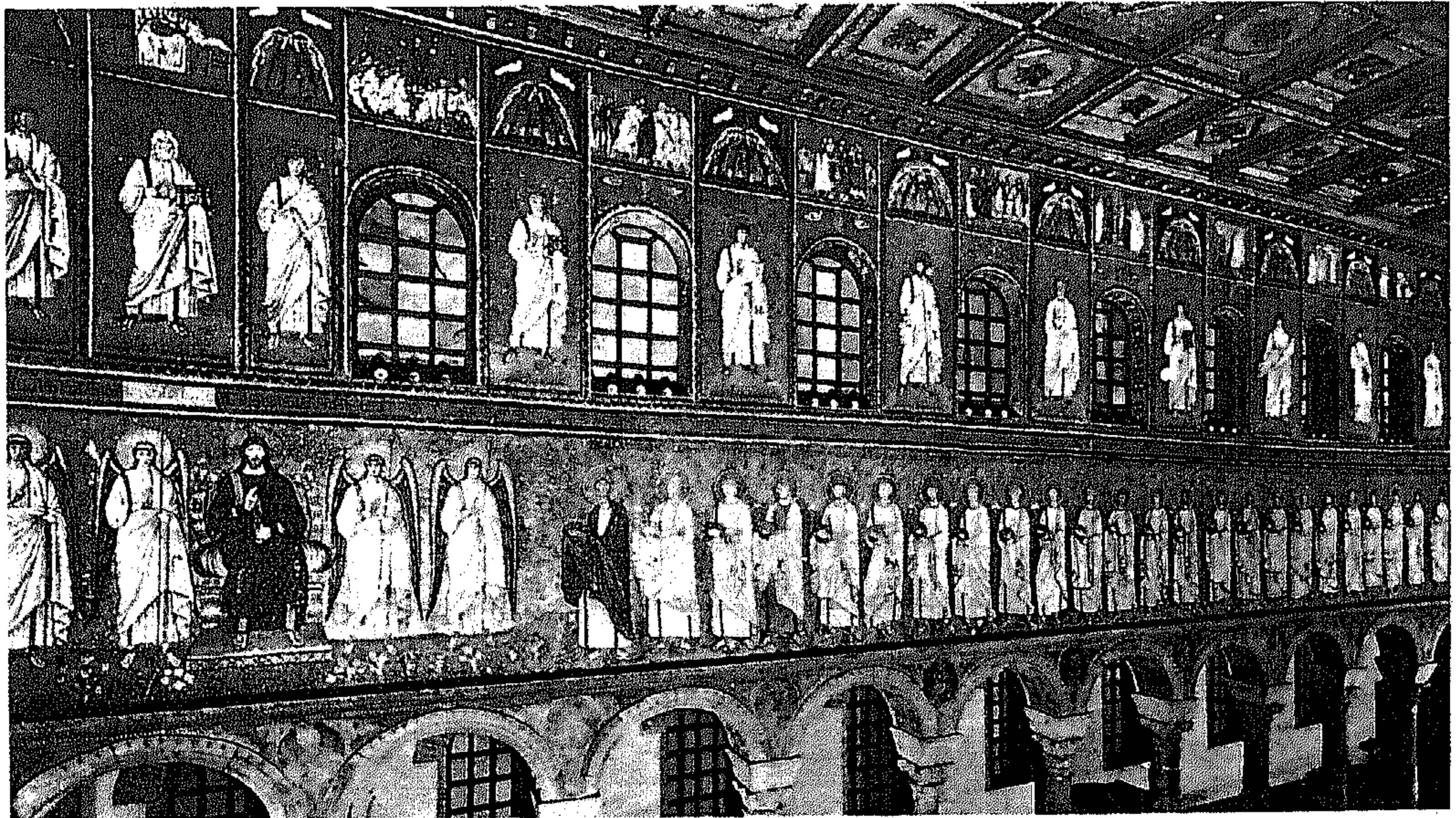
(٢) دمرت الكنيسة في عام ١٩١٧ .

(شكل ٧١) فسيفساء وجدت على جدران
كنيسة القديس ديمتري بسالونيكيا



(شكل ٧٣) جزء مفصل من الزخارف العلوية يصور الوشاية بالمسيح

(شكل ٧٢) فسيفساء تغطي جدار كنيسة سان أبولينار نوفو، رافينا



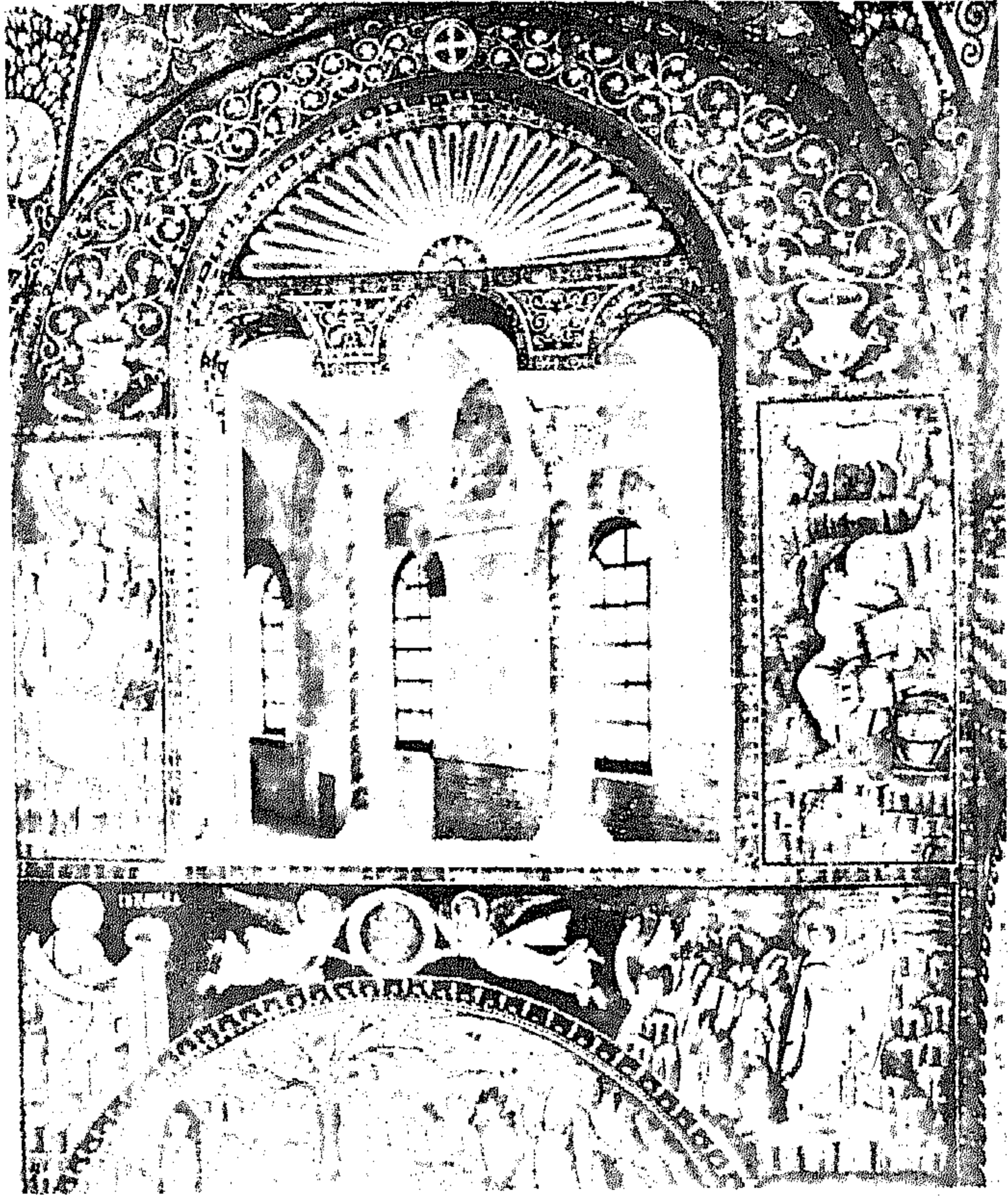
الذى يصور صفًا من خمس وعشرين قديسًا من الشهداء فى زى أبيض يحمل كل منهم تاجاً ، (ش ٧٢) ونرى فى نهاية هذا الموكب المسيح يجلس على العرش بين أربعة ملائكة . وتغطى زخارف الفسيفساء جميع جدران كنيسة سان فيتال (ش ٧٤) ويظهر الطراز البيزنطى أكثر نقاء فى هذه الكنيسة . ويتضح ذلك فى لوحتين مشهورتين : الأولى تصور الإمبراطور جوستينيان فى ثيابه الرسمية محاطاً برجال الكنيسة وحرسه الخاص ، والثانية تصور الإمبراطورة « تيودورا » فى ثياب فاخرة بين سيدات البلاط [لوحة ملونة رقم ٢] ويلاحظ ظهور الطابع الشرقى فى هذه اللوحات ، فأسلوب التنفيذ تعبيرى أكثر منه مثالياً ، حيث يبدى المصور عناية بنقل معالم شخصية الأفراد ، كما أن الألوان المستخدمة قوية . ونلاحظ التأثير الفارسى فى زخارف النسيج الفاخر ، وفى تاج الإمبراطورة المرصع بالجواهر ، وفى أسلوب رسم الأشخاص فى وضع المواجهة .

سادت فترة هدوء فى فن التصوير فى الفترة التى حرمت فيها القسطنطينية رسم الأشخاص ، إلا أن فن الفسيفساء يزدهر مرة ثانية منذ أواخر القرن التاسع حيث يقل حجم القطع . وتظهر فى كنيسة سانتا صوفيا بالقسطنطينية زخارف جميلة تعتبر من أرقى أنواع هذا الفن ، وترجع صورها إلى عصور مختلفة ^(١) وتتضح دقة هذه الصناعة فى لوحة ترجع إلى القرن الثانى عشر (ش ٧٥) . وتوضح لوحات كنيسة شورا (١٣١٥) التى تحولت إلى جامع بالقسطنطينية ازدهار فن الفسيفساء حتى آخر عصور الإمبراطورية البيزنطية .

انتشر فن الفسيفساء البيزنطى فى خارج أنحاء الإمبراطورية حيث استقدم الحكام الصناع الإغريق من الإمبراطورية البيزنطية . وتظهر أمثلة لذلك فى كيف بروسيا فى كنيسة القديس ميخائيل (١١٠٨) والقديسة صوفيا (١٠٤٣) ، وفى كنيسة باليرمو بصقلية (١١٤٣) . ويظهر الطراز البيزنطى أيضاً فى نماذج وجدت فى مباني دنيوية فى باليرمو ترجع إلى عام ١١٧٠ الأولى فى القصر الملكى (ش ٧٦) والثانية فى قصر زيزا .

(١) غطى العثمانيون هذه الصورة بطبقة جصية عام ١٤٥٣ وبدئ فى نزاعها عام ١٩٣٢ برعاية المعهد البيزنطى بأمريكا . وكشف عن ثمانى لوحات متفرقة من عهود مختلفة .

(شكل ٧٤) زخارف من الفسيفساء تغطي
الجدار الأيسر من كنيسة سان فيتال رافينا.



(شكل ٧٥) زخارف من الفسيفساء وجدت
على جدران سانتا صوفيا.

(شكل ٧٦) زخارف من الفسيفساء وجدت
في القصر الملكي في باليرمو.



ولا يمكن أن ننتهى من الكلام عن الفسيفساء بدون ذكر فسيفساء كنيسة سان ماركو في البندقية التي تم تنفيذ زخارفها في قترات متفرقة .

التصوير الجدارى :

يرتبط فن التصوير الجدارى ارتباطاً وثيقاً بفن الفسيفساء سواء كان ذلك فى الموضوع أم الأسلوب أم الألوان . وغالباً كانت زخارف الفسيفساء ترسم وتلون فى أول الأمر قبل أن يثبت عليها قطع الفسيفساء ، وربما قام بالعملتين الأشخاص أنفسهم . وكان التصوير يرسم بالألوان على الجدران المغطاة بالجص أو على لوحة . ولم يستخدمه الرومان كثيراً وفضلوا عليه الفسيفساء . وأحسن ما عثر عليه فى الإمبراطورية الرومانية الشرقية . كان فى مصر وسنراه فى الفن القبطى كما وجد فى غزة ، وكان أول ظهور للتصوير الجدارى المسيحى فى مخابئ المسيحيين الأوائل المشيدة تحت سطح الأرض فى الفترة الوثنية ، كما أن الموضوعات كانت بطبيعة الحال تقتصر على القصص والرموز المسيحية كالراعى الصالح (ش ٧٧) . إلخ وعلى الشخصيات المقدسة كالمسيح والعذراء .

الأيقونة أو اللوحة المصورة :

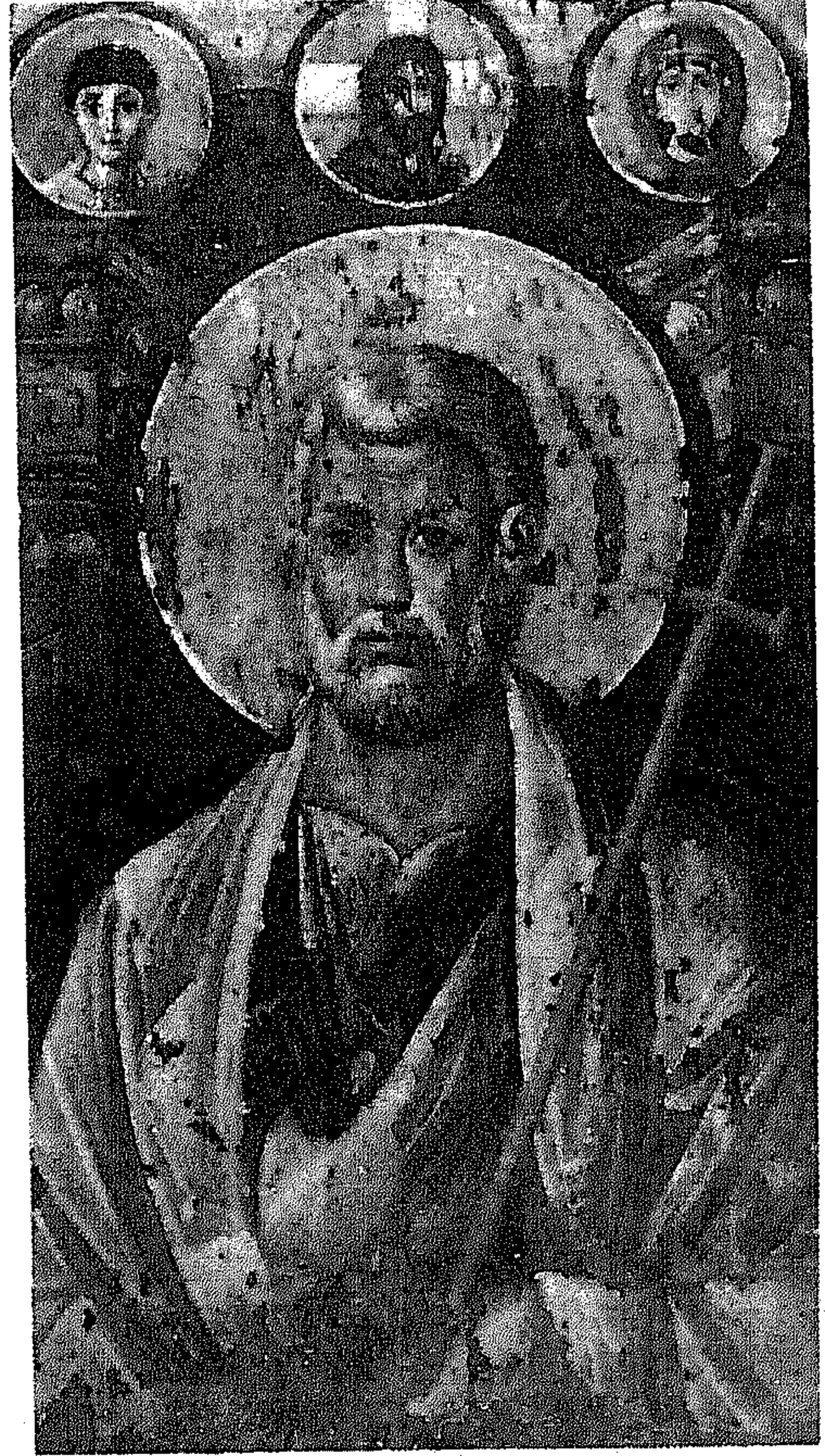
يعتبر هذا الفن أكثر فنون التصوير التى يظهر بها الطراز البيزنطى . وقد تعددت مراكز تصوير الأيقونات فى العالم الرومانى البيزنطى وتميز كل منها بطراز خاص وكان أسلوبها مستمداً من مصر من مدرسة تصوير الفيوم . ولقد ظهر بطبيعة الحال هذا النوع من الفنون فى العاصمة بالرغم من عدم العثور على أمثلة منه بها . وأجود الأمثلة الأولى كانت من إنتاج مصر (ش ٧٨) إلا أن هذا الفن ازدهر بعد ذلك فى القسطنطينية فى القرن ١٢ (ش ٧٩) كما أن هذا الفن ازدهر بصفة خاصة فى روسيا فى القرن الخامس عشر .

كان هذا النوع من التصوير يرسم بالتمبرا^(١) أو مواد مشابهة على أرضية مجهزة

(١) التمبرا وما شابهها تطلق على الأعمال التى نفذت بألوان ممتزجة بنسب معينة من صفار البيض (مع بياض البيض أو يلدونه) وكانت فى العصور الوسطى (هى الخامة) الأكثر استعمالاً على الألواح الخشبية .



(شكل ٧٧) تصوير جدارى عثر عليه فى مخابىء
المسيحيين فى روما . القرن الثالث أو الرابع .



(شكل ٧٨) أيقونة تصور القديس بطرس ومن خلفه صور
المسيح والعذراء والقديس أسطفان القرن السابع ، حالياً
دير سان كاترين بسينا



(شكل ٧٩) أيقونة عرفت باسم « عذراء فلاديمير » رسمت فى
القسطنطينية فى حوالى ١١٣٠ حالياً بمتحف ترشيا كوف بموسكو

على القماش الذى كان يلصق بدوره على لوحة خشبية . وفكرة الرسم على القماش مستمدة من اللقائف التى تحيط بالمومياء فى صور القيوم . وكان هذا النوع من التصوير يرسم فى أول الأمر على مساحات كبيرة فى الكنيسة ، ثم بدئ فى عمل أيقونات صغيرة توضع فى المنزل فى فترة تحريم التصوير ، وربما تم رسم كثير من الأيقونات الموجودة فى المتاحف فى تلك الفترة . وأشهر الأيقونات البيزنطية وجدت بمتحفى بنا كى والبيزنطى بأثينا . ومتحفى بوشكن وترتياكوف بموسكو . كما أن أكبر مجموعة من هذه الأيقونات توجد فى دير سان كاترين بسيناء .

تصوير المخطوطات :

من المرجح أن الموضوعات الدينية التى وجدت فى صور فسيفساء الكنائس البيزنطية كان أهم مصادرها صور الكتب الدينية التى كتبت فى أوائل العهود المسيحية . وهذه المخطوطات المصورة الأولى أهمية كبيرة فى دراسة تطور فن التصوير البيزنطى وذلك لأنها كانت من الفنون التى حفظت لدينا أكثر من فن التصوير الجدارى أو الرسم على الألواح .

وكانت المخطوطات الأولى فى العالم الإغريقى الرومانى تنقسم إلى نوعين : اللقافة المطوية ومصدرها مصر ومنها انتقلت إلى العالم الكلاسيكى ، والكتاب المجلد الذى حل تدريجياً محل النوع الأول من القرن الأول حتى القرن الرابع . وكانت صور المخطوطات الأولى سواء فى المخطوطات المسيحية أو اليهودية أو الوثنية يغلب على أسلوبها طراز التصوير الهيلينستى الرومانى الذى عرف فى الإسكندرية وفى بومبي .

ويظهر فى صور مخطوطات العصر البيزنطى المسيحية والمدنية أسلوبان مختلفان متعارضان تداخلا واندمجا فى آخر الأمر : الأول أسلوب تصويرى عرف فى مصر وفى العالم الكلاسيكى، ونجده فى أقدم أنجيل مسيحى مصور من أوائل القرن السادس فى المكتبة الأهلية بفيينا (ش ٨٠) ، وفى مخطوط « ديوسكريدس » الدنيوى الذى يبحث فى « خواص الطبيعة » ومؤرخ عام ٥٢٤، أيضاً بالمكتبة نفسها . والثانى أسلوب متأثر بالتقاليد الشرقية الآسيوية السورية التى تهتم بالزخارف الفنية والأسلوب الواقعى ،



(شكل ٨٠) أقدم كتاب يصور قصصاً مسيحية ، حالياً بالمكتبة الأهلية بفينا . القرن السادس .



(شكل ٨١) مخطوط « روسانيس » وبه صورة للمسيح أمام الحاكم بلات . مكتبة روسانو بـإيطاليا . القرن السادس .

(شكل ٨٢) مخطوط « كوزموس أنديكو بليوستوس » يصور القديس بولس في طريقه إلى دمشق . متحف الفاتيكان بروما ، القرن التاسع

(شكل ٨٣) مخطوط « جوشيا » يصوره مع الجاسوسين بمتحف الفاتيكان بروما . القرن العاشر .



ونجده في مخطوط « روسانيس » الذي يرجع إلى القرن السادس وموجود بمكتبة روسانو (ش ٨١) . ولقد تداخلت هذه التأثيرات المختلفة في صور المخطوط الواحد في بعض الأحيان مما يدل على اشتراك أكثر من فنان في تصويرها .

تقل المخطوطات المصورة في فترة تحريم التصوير التي انتهت عام ٨٤٢ . وتظهر من العصر الذهبي الثاني للفن البيزنطي مخطوطات تتميز بالدقة ، كما نلاحظ في صورها الجمع بين التأثيرات السابقة . فن الكتب الدنيوية المشهورة التي يظهر فيها تأثيرات سورية آسيوية ، مخطوط يصف رحلات شخص يدعى كوزماس أنديكو بليوستوس يرجع إلى القرن التاسع وموجود حالياً بمتحف الفاتيكان (ش ٨٢) . كما نجد بمخطوط جوشيا الذي يرجع إلى القرن العاشر والموجود بمتحف الفاتيكان (ش ٨٣) التأثير بفنون الماضي الكلاسيكية التي شجع على الرجوع إليها الإمبراطور قسطنطين .

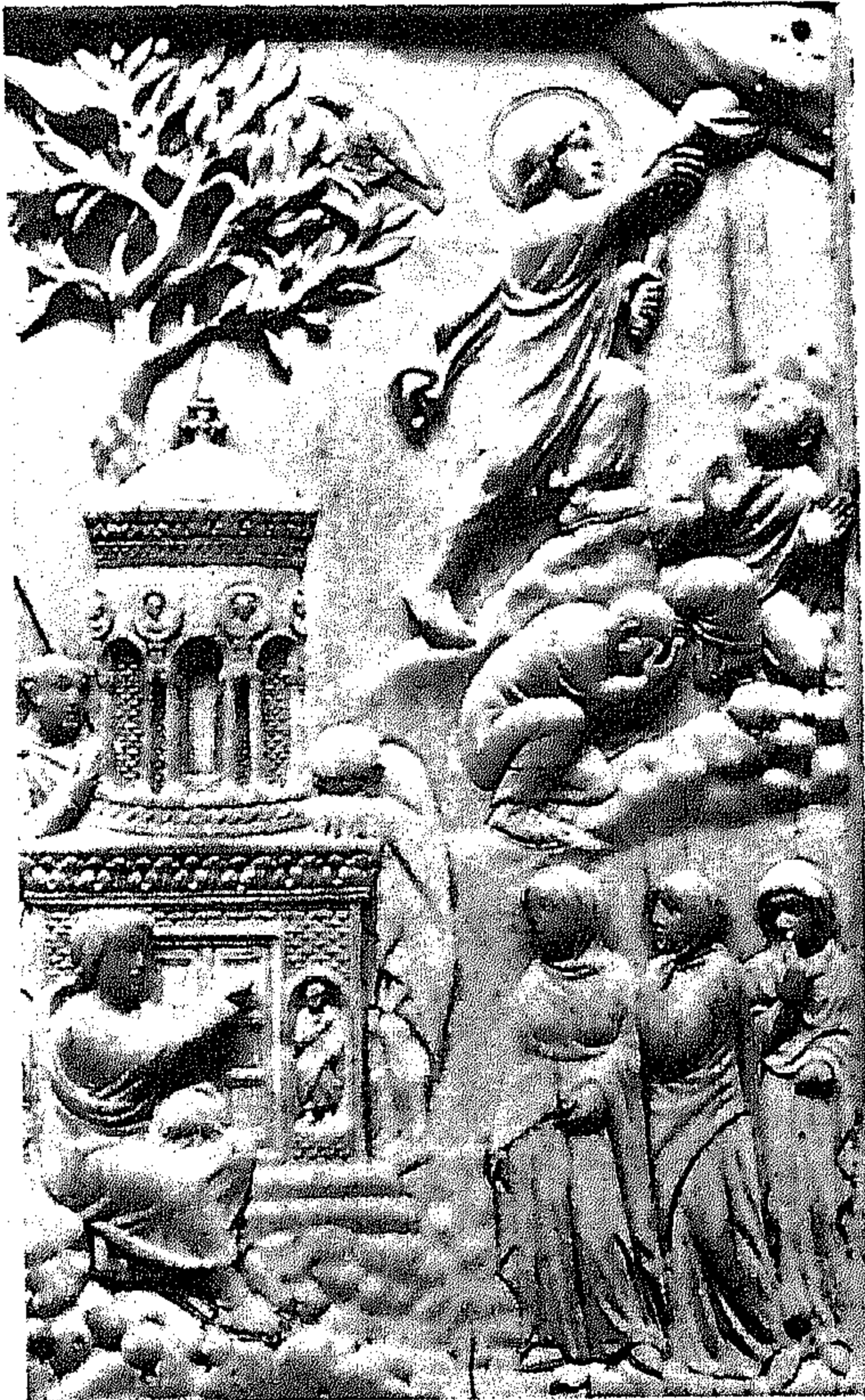
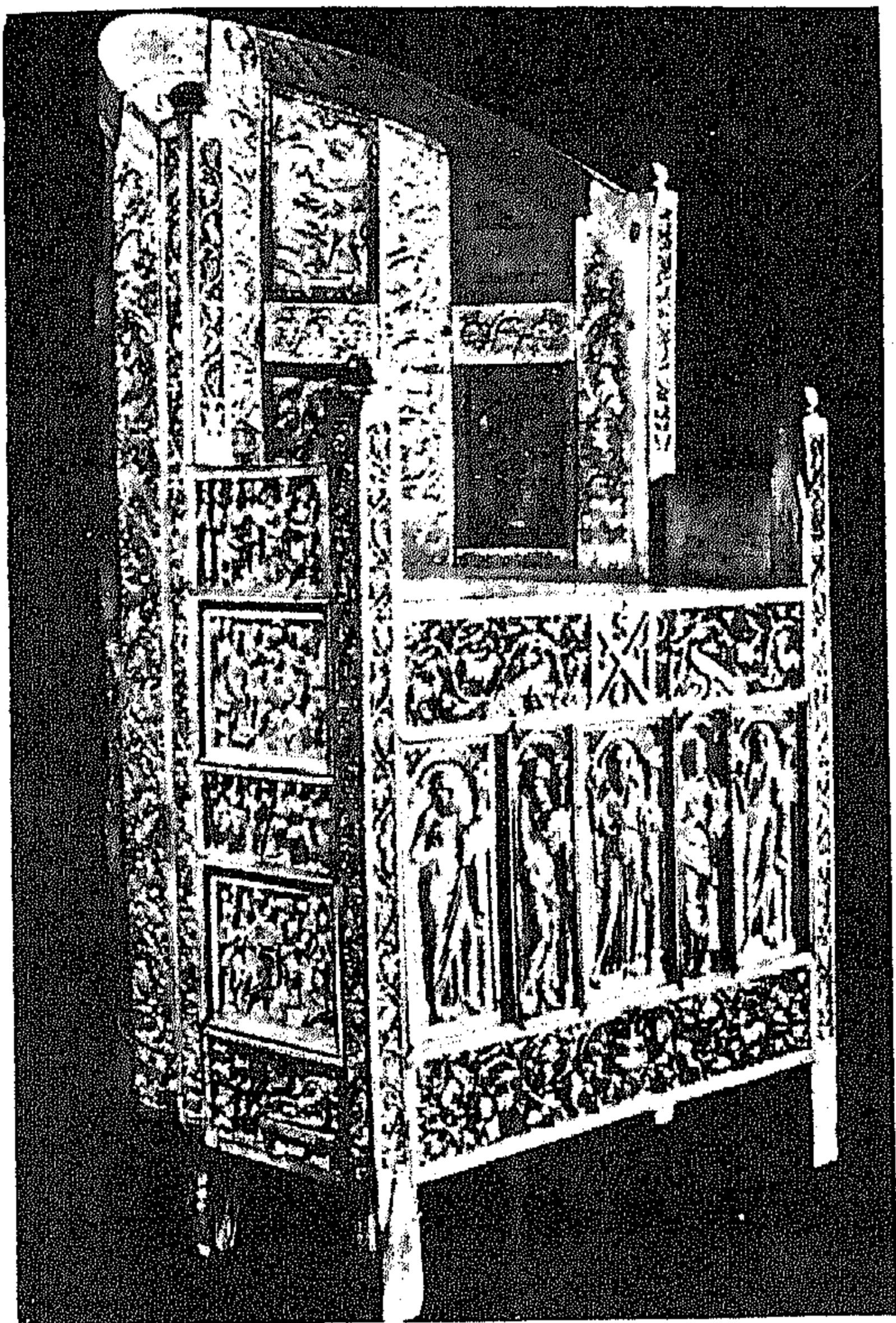
الفنون الصغيرة :

العاج :

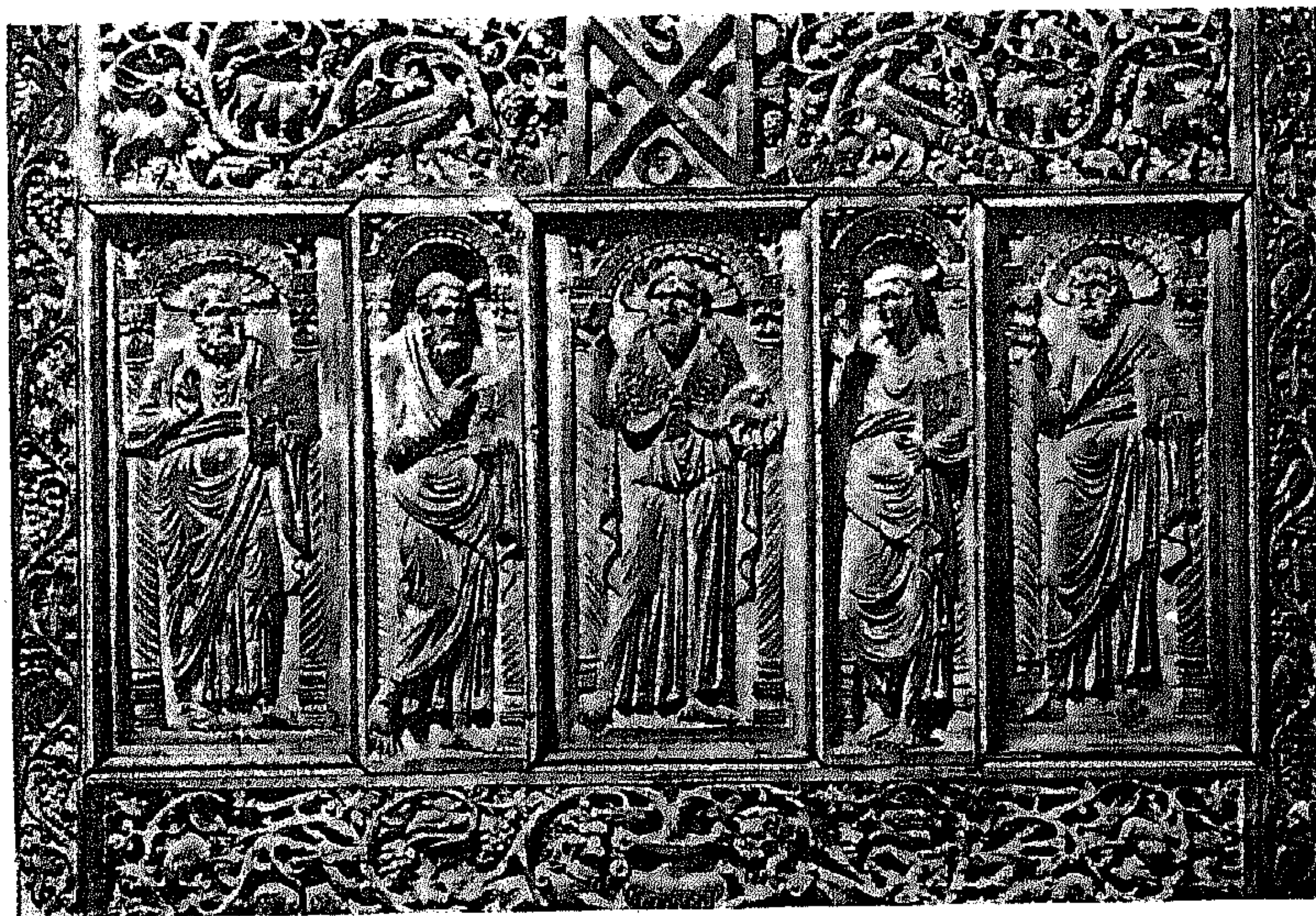
ازدهرت صناعة المشغولات العاجية في بعض مراكز الإمبراطورية (القسطنطينية ، الإسكندرية ، أنطاكية) واستخدم بكثرة في صناعة الصناديق والعلب والأثاث ، وفي عمل لوحات دينية توضع في الكنائس تتكون من جزئين أو ثلاثة أجزاء أطلق عليها الغريون Triptych، Diphthch . ومن أشهر النماذج التي تدل على الدقة التي وصل إليها فن نحت العاج البيزنطي ، لوحة تصور الصعود ترجع إلى القرن الخامس موجودة بمتحف مدينة ميونخ (ش ٨٤) .

إلا أن أحسن الأمثلة التي تدل على مهارة الصانع ، هو كرسي أسقف رافينا الذي يرجع تاريخ صنعه إلى الفترة ٥٤٥ - ٥٥٦ (ش ٨٥) . وتعتبر هذه القطعة من أدق أمثلة النحت القليل البروز في العصر البيزنطي . ويظهر في اللوحات (ش ١٨٥) التي يتكون منها الكرسي زخارف آدمية وحيوانية ونباتية . ولقد ثار جدل حول المركز الذي

(شكل ٨٤) لوحة من العاج تصور موضع الصعود ،
القرن الخامس . المتحف الأهلي ميونخ .



(شكل ٨٥، ٨٥) كرسى الأسقف رافينا ماكسيميناس أوائل القرن السادس . المتحف الأهلي برافينا .
وتلاحظ النقوش الموجودة على اللوحات الأمامية من الكرسى



ينسب إليه صناعة الكرسي فنسب أولاً إلى الإسكندرية ثم إلى أنطاكية ويعتقد بعض الباحثين أن الألواح التي يتكون منها الكرسي قد نقشت قبل عمله بنصف قرن .

المعادن :

سيطرت الموضوعات الدينية بطبيعة الحال على الزخارف المنقوشة على المعادن في العصر البيزنطي (ش ٨٦) وتميزت زخارف الكؤوس والأواني والشمعدانات والصلبان بوزن خفيف على السطح . وأقبل البيزنطيون على زخرفة المعادن بطبقة من الألوان المزججة التي عرفت بصناعة المينا . وكانت الألوان المستخدمة قبل القرن التاسع دأكنة قليلة ، إلا أن هذه الألوان تغيرت بعد القرن العاشر (ش ٨٧) . وكان هذا الفن معروفاً في الشرق الأوسط عندما تكونت الدولة البيزنطية ووجدت نماذج بديعة منه في مصر وإيران . واستمد البيزنطيون طريقة هذه الصناعة من الساسانيين .

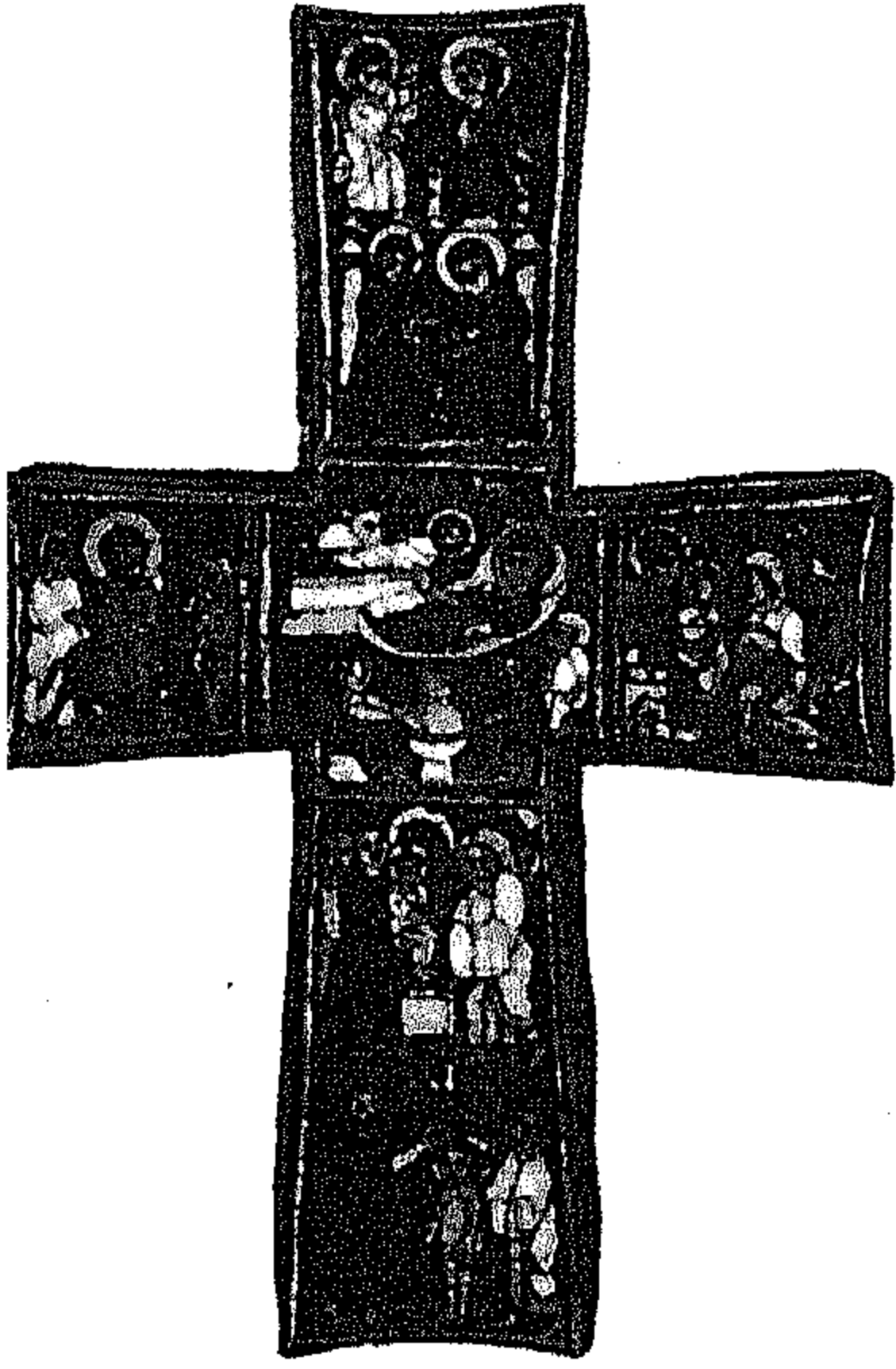
المنسوجات :

كانت منسوجات العصور البيزنطية الأولى تتكون من الكتان المزخرف بالخيط الصوفية ويرجع الفضل في اكتشاف سر إنتاج الحرير الذي كانت تحتفظ به الصين إلى البيزنطيين الذين عرفوه في عام ٥٥٢^(١) ، وكان الحرير الذي يستخدم في الإمبراطورية الرومانية وبلاد الإغريق وفارس يستورد قبل ذلك من الصين . وبعد معرفة سر إنتاج الحرير أقام الإمبراطور جستنيان مصنعاً للمنسوجات الحريرية في عام ٥٥٤ في العاصمة القسطنطينية . وانفردت مصانع العاصمة باستخدام اللون القرمزي الإمبراطوري فلم يظهر هذا اللون في المراكز الأخرى (سوريا - مصر) . وقد استمر هذان المركزان يزودان الإمبراطورية البيزنطية بالمنسوجات بعد فتح العرب لها .

ولقد لعبت فارس دوراً كبيراً في مد المناسج البيزنطية بزخارف ساسانية وذلك عن

(١) ذكر المؤرخون أن أسرار صناعة الحرير نقلها راهبان إلى الإمبراطور جستنيان .

(شكل ٨٦) طبق من الفضة مزخرف بقصة « داود والأسد »
القرن السادس . بمتحف المتروبوليتان - نيويورك .

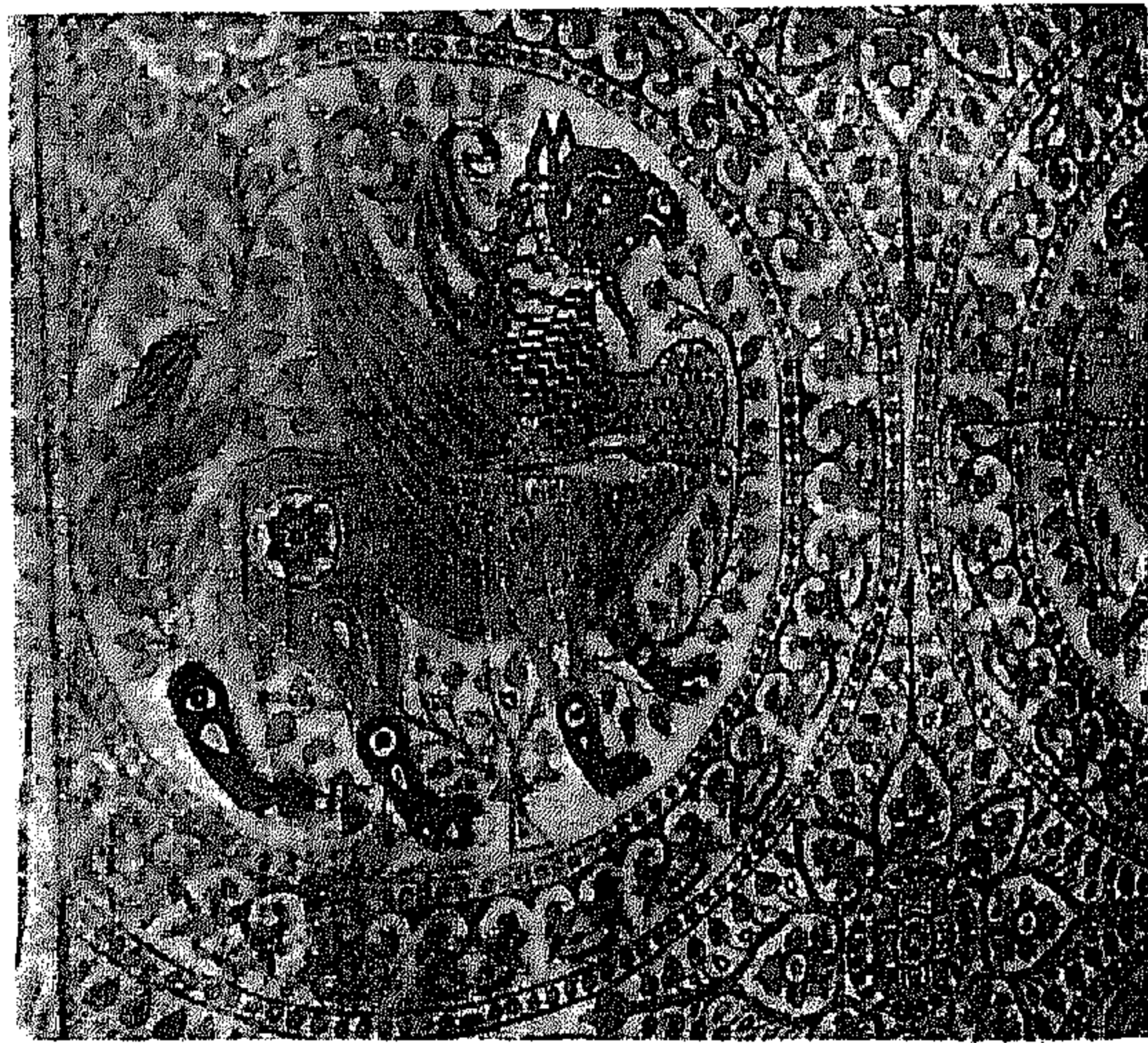
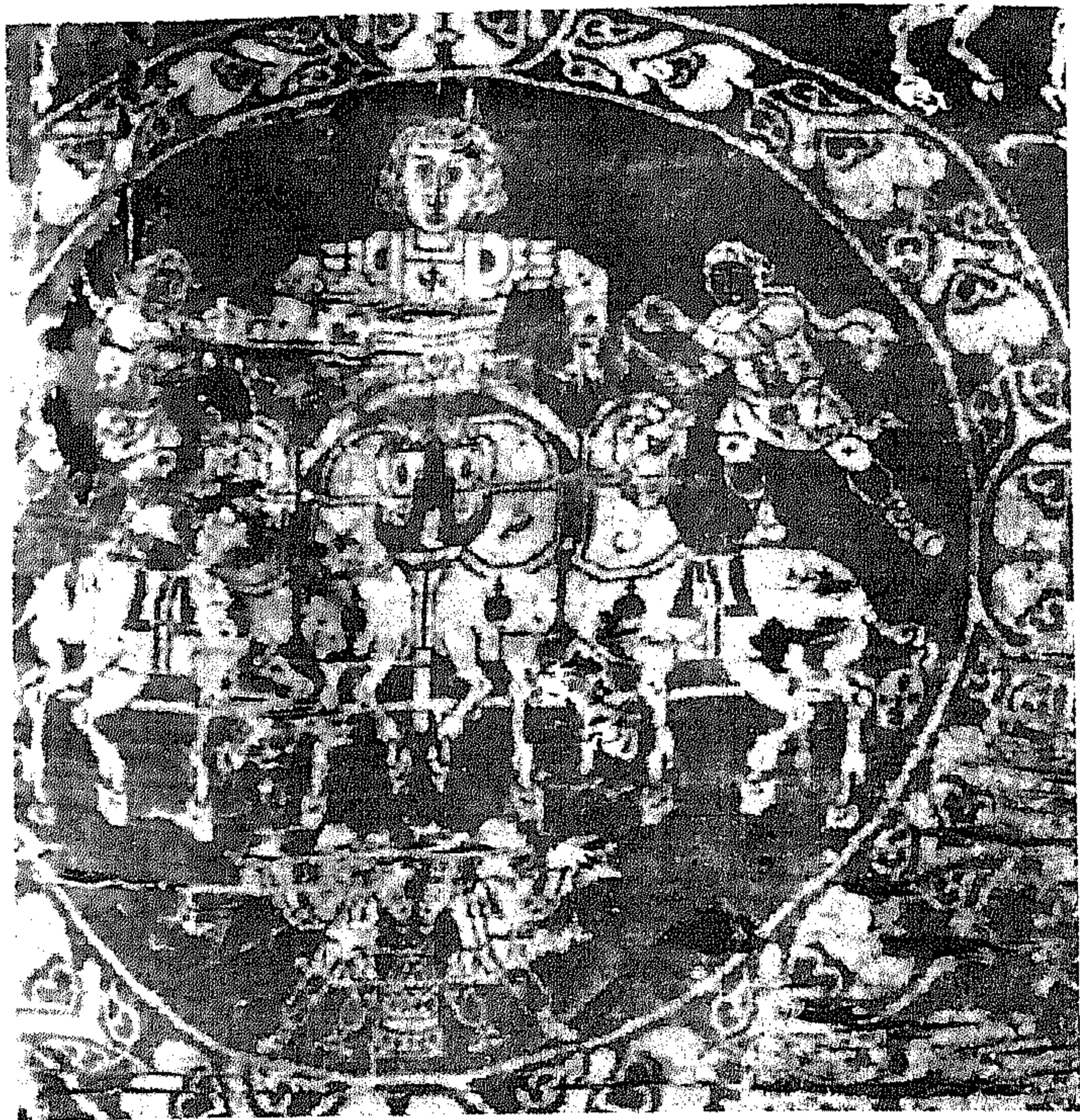


(شكل ٨٧) صليب مزخرف بالملينا ، يصور
مناظر دينية ، القرن ٨ - ٩ متحف الفاتيكا .

(شكل ٨٨) قطعة نسيج مزخرفة بموضوع ديني مكرر في دوائر بكنيسة بروما . القرن السابع أو الثامن .

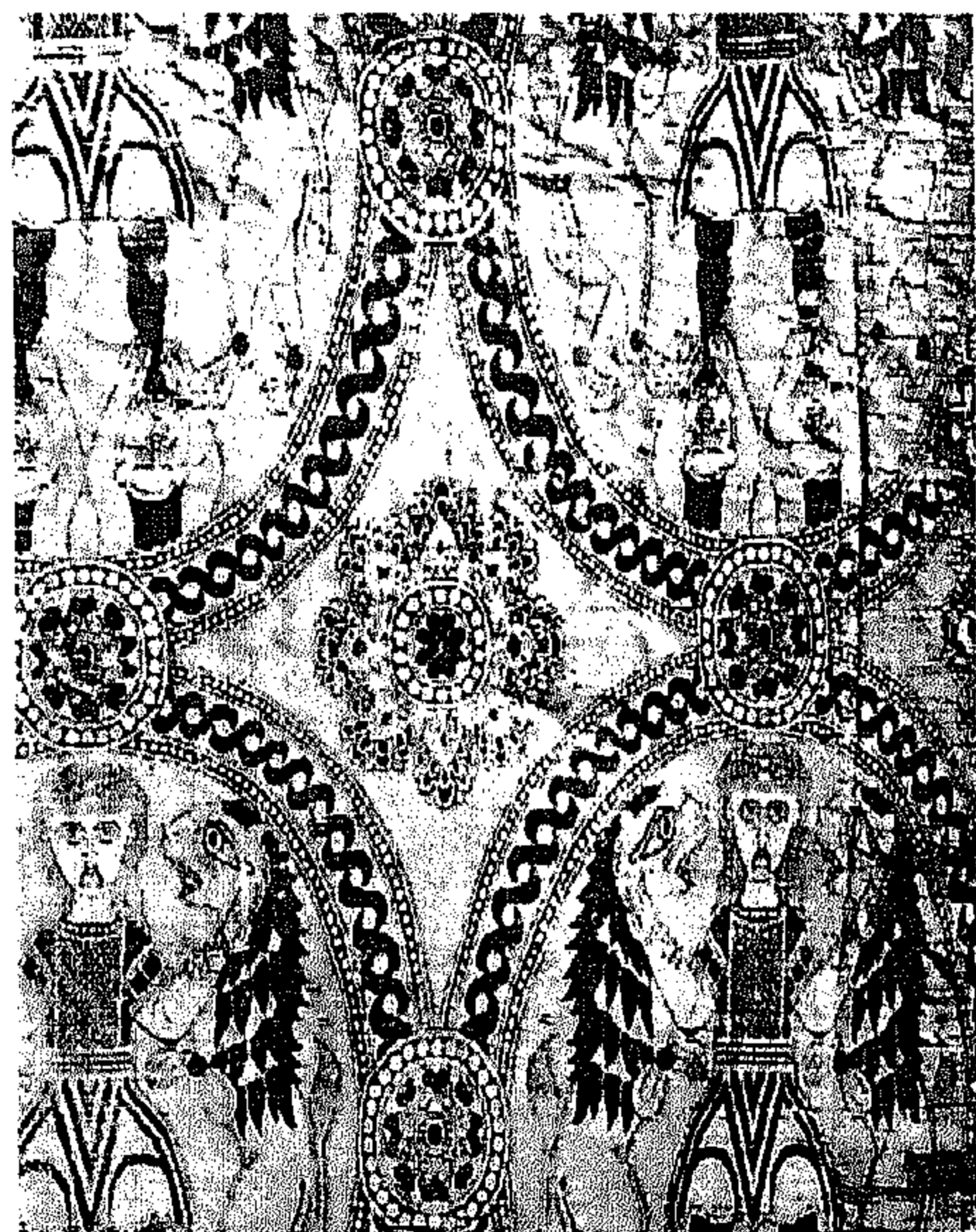


(شكل ٨٩) قطعة نسيج مزخرفة بوحدة رجل في عربة يجرها أربعة جياد . القرن الثامن أو التاسع . متحف كلوني بباريس



(شكل ٩٠) قطعة نسيج حريرية مزخرفة بوحدة رجل بين أسدين كتدراثة سانس .

(شكل ٩١) قطعة نسيج حريرية مزخرفة بوحدة حيوان السمرج ، متحف فيكتوريا والبرت



طريق المنسوجات الحريرية التي كانت تصدر إلى بيزنطية كذلك ظهرت في زخارف المنسوجات البيزنطية موضوعات مسيحية وفارسية . وتظهر الموضوعات المسيحية (الوحي - الصعود - ولادة المسيح) في قطعة حريرية بمتحف كنيسة الفاتيكان بروما (ش ٨٨) وتظهر الوحدات مكررة داخل جامات مستديرة ألوانها أخضر وبني وذهبي وأبيض على خلفية ذهبية .

وبالرغم من أن هذه القطعة نسبت أحياناً إلى مناهج الإسكندرية ، إلا أن موضوعها الذي تميز به الفن البيزنطي يرجع نسبتها إلى المناسج الإمبراطورية في القسطنطينية . ويظهر التأثير الشرقي في زخارف العرش الذي تجلس عليه العذراء . وتنسب فكرة وضع الصورة في إطار أحياناً إلى الفن الهيلنستي وأحياناً إلى الفن الفارسي الساساني .

وقد انتشرت الزخارف الموضوعة في دوائر في منسوجات العصر البيزنطي ، كما ظهرت داخل هذه الدوائر عناصر زخرفية متعددة تسربت من الشرق (فارس - سوريا - مصر) إلى القسطنطينية ، ويتضح ذلك في القطعة الحريرية الموجودة في متحف كلوني ياريس (٣) والتي ترجع إلى القرن ٨ - ٩ (ش ٨٩) .

كما نجد في القطعة الموجودة في كتدرائية سانس المزخرفة بوحدة رجل بين أسدين (ش ٩٠) أن الفنان المسيحي قد حول الوحدة البابلية القديمة إلى موضوع ديني يصور النبي دانيال والأسود . ونلاحظ أن القطعة المزخرفة بوحدة مستمدة من حيوان « السمرج » الخرافي الموجودة في متحف فيكتوريا والبرت (ش ٩١) هي وحدة ساسانية وجدت في زخارف زي الملك خسرو المنقوشة على صخور تاكي بستان بإيران (ش ١٦٢) .

(١) توجد قطعة أخرى مماثلة في كتدرائية آخن بألمانيا .

الفصل الثاني

مصر

الفن القبطى

تمهيد تاريخى :

صارت مصر ولاية رومانية بعد انتصار اكتافىوس على أنطونيو عام ٣٠ ق م . وعند ظهور المسيحية فى عهد الإمبراطور نيرون ، بدأ المصريون فى اعتناق الدين الجديد خفية ، وانتشرت المسيحية فى الإسكندرية فى القرن الثانى الميلادى ، إلا أن المدينة أصابها تدمير عندما أمر الإمبراطور تراجان بكبح ثورة اليهود . ولقد نهبت المدينة وخربت مرة ثانية فى عهد الإمبراطور كركالا (٢١١ - ٢١٧ م) الذى أراد الانتقام من المؤمنين بالدين الجديد ، وعذب المسيحيون مرة ثانية فى عهد الإمبراطور دسيوس .

استولت زينوبيا ملكة تدمر على العاصمة الإسكندرية فى عام ٢٦٩ ، إلا أن ماركوس أوريليوس (٢٧٠ - ٢٧٥) تمكن من طردها عام ٢٧٣ وانتقم من المدينة التى لم تقاومها . وزاد الاضطهاد والتعذيب فى فترة حكم الإمبراطور دقلديانوس ، مما جعل الأقباط يبدأون تقويمهم المسيحى من سنة ٢٨٤ م وهو العام الذى اعتلى فيه الإمبراطور عرش الإمبراطورية .

وبعد الاعتراف بالكنيسة المسيحية فى الفترة ٣١٢ - ٣١٣ م ، احتلت الإسكندرية مركزاً مرموقاً فى مجلس الكنائس . كما مارس المصريون الدين جهاراً بعد أن اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية . وقد اعتبر الدين المسيحى دين الدولة الرسمى فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول ، وصارت مصر بعد وفاته وتقسيم الإمبراطورية بين أولاده تابعة للإمبراطورية الرومانية الشرقية .

وأغلقت المراكز الوثنية التى مازالت باقية فى عهد جستنيان ، وبعد أن انفصلت الكنيسة الغربية عن كنيسة القسطنطينية فى القرن الخامس الميلادى كان لمصر رأى

فى تعيين البطارقة، فلما رفضت تعيين ثيود وسيوس بطريقاً لها أمرت الإمبراطورة تيودورا بحرق جزء من الإسكندرية عقاباً لأهلها. وصارت مصر القديمة بعد ذلك أهم مراكز لمصر المسيحية .

وكان من نتيجة الحروب القائمة بين الدولة البيزنطية والدولة الساسانية الفارسية أن استولى الساسانيون على مصر فى عام ٦١٩م إلا أن هرقل تمكن من طردهم منها بعد فترة وجيزة ، وتحلل فترة حكمه صراع دينى بينه وبين رجال الكنيسة القبطية مما دفع المصريين إلى الترحيب بعمر وبن العاص عندما فتح مصر فى عام ٦٤١م .

عندما انتشرت المسيحية فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، ظهرت طرز فنية مسيحية محلية مبدلة بعض الشئ عن الفن البيزنطى الذى كان يسود الشرق الأوسط . ومن أهم هذه الطرز المسيحية أسلوب قى نشأ فى مصر وتأثر بالتقاليد الشرقية والمحلية وانعزل عن الحضارة الهيلينستية التى كان يمثلها الحاكم المستعمر ، ويعرف هذا الطراز بالفن القبطى .

وبمرور الزمن ، بدأ الفن البيزنطى فى مصر يأخذ سمات جديدة نتيجة لتأثره بالعناصر المحلية . وقد تطور الفن القبطى وابتعد عن نفوذ فن الحاكم المستعمر ، وكون لنفسه طرازاً مسيحياً محلياً نابعاً من صميم الشعب القبطى .

والفن القبطى هو الفن الأول فى الشرق الأوسط الذى كان من إنتاج الشعب ولم توجهه الدولة . ولقد أنتجه مسيحيو مصر منذ الفترة التى اعترف فيها بالكنيسة عام ٣١٣م ، واستمر لفترة بعد الفتح العربى .

كان الفن القبطى بطبيعة الحال يدين فى مراحله الأولى للفن الرومانى الهيلينستى الذى انتشر فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى أعقاب الفن المقدونى الهيلينستى . وكان أهم مراكز هذا الفن مدينة الإسكندرية التى كانت تحتوى على جالية كبيرة إغريقية ، كما كانت على صلة بالمراكز الهيلينستية الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط .

أما الفن المسيحى المحلى فكانت تظهر آثاره فى المراكز الدينية الموجودة فى مصر الوسطى والعليا . وهناك أمثلة عديدة لذلك فى أهناسيا وفى أديرة سقارة وباويت

وفي كنائس دندرة وفي مناسك سوهاج .

وكلمة قبط التي أطلقت على مسيحي مصر ، هي كلمة عربية اشتقت من اسم « مصر » باللغة الإغريقية « ايجيبتوس » . وصارت كلمة « جبت » أو قبط منذ الفتح العربي اسما مميزا لمسيحي مصر بدلا من القطر .

وكانت اللغة القبطية المتداولة بين مسيحي مصر تتكون حروفها من خليط من الحروف الإغريقية وبعض أحرف اللغة الديموطيقية ^(١) . واستمر استخدام هذه اللغة في مصر لفترة بعد الفتح العربي .

وينقسم الفن القبطي تبعا للعناصر الزخرفية التي كونه إلى ثلاثة أقسام : طراز روماني متأثر بالفن الهيلينستي وموضوعاته الوثنية المستمدة من الأساطير الإغريقية الرومانية ، ويتميز بالحركة وتقليد الطبيعة . وتنحصر آثاره في القرنين الرابع والخامس .

ثم طراز مسيحي يعرف بالمرحلة الانتقالية ، وذلك لاستمرار ظهور عناصر من الموضوعات الوثنية السابقة جنبا إلى جنب الرموز المسيحية . وتنحصر آثاره في القرنين الخامس والسادس .

أما الطراز القبطي الذي يعبر عن الفن المسيحي القبطي الشعبي ، فنلاحظ خلو زخارفه من تأثير الأسلوب الهيلينستي الذي يقلد الطبيعة ، كما تسود فيه عناصر الرموز والشخصيات المسيحية ويرجع آثاره إلى القرنين السادس والسابع .

ومن المعروف أن نشاط الفن القبطي في الكنائس والأديرة لم يتوقف بعد الفتح الإسلامي لمصر .

وتسبق هذه المراحل فترة تعرف باسم أهناس الأول عثر فيها على منحوتات وثنية ذات أصول إغريقية رومانية وترجع آثارها إلى أواخر القرن الثالث أحيانا وتعرف بالفترة قبل الفن القبطي .

ولقد عثر على هذه الآثار العالم إدوارد نافيل في نهاية القرن التاسع عشر في مدينة

(١) كتابة وجدت في أواخر العهد المصرية القديمة

أهناسيا ، كما وجد بالمدينة آثار كنيسة ربما كانت معاصرة للأعمال الوثنية .
ومن الجدير بالذكر وجود عناصر أخرى في أعمال الفن القبطي ، فمن الفن
المصرى القديم استمر ظهور الآلهة المصرية مثل إيزيس ، حورس ، ومفتاح الحياة
ومناظر الصيد في النيل . . إلخ .
كما نلاحظ أن الفن القبطي قد تأثر في مراحله المبكرة بالفن التدمرى السورى
الذى انتقل إلى الإسكندرية مع غزو الملكة زينوبيا للعاصمة . كما تظهر في الفن
القبطي عناصر كثيرة من الفن الساسانى انتقلت إليه من فترة احتلال الساسان لمصر
بعد طرد الرومان من القطر المصرى .

العمارة :

يميل كثير من الباحثين إلى الاعتقاد بوجود كنائس في الإسكندرية في أواخر
القرن الأول الميلادى ، حيث تذكر بعض المصادر أن القديس مرقس دفن في
كنيسة بالإسكندرية بعد إعدامه في عام ٩٨ م . إلا أن هذه الكنائس الأولى التى
أقيمت في فترة التسامح الدينى في العصر الرومانى إزيلت عن آخرها في عهد
الإمبراطور دقلديانوس .

وعندما ظهر نظام الرهبنة في مصر في نهاية القرن الرابع وشيد عدد من الأديرة في
جهات متعددة من القطر واستقر فيها الرهبان المتصوفين .

وكان القديس بولس أول من بدأ الرهبنة في مصر وكان يقيم شعائر الدين في
أحد كهوف ساحل البحر الأحمر ، كما كان القديس أنطون أول من نظم الرهبنة في
مصر بعد أن عثر على القديس بولس في كهفه .

انتشرت الأديرة في أماكن منعزلة بالقرب من المدن ، أو في الصحارى
والواحات ، أو على ضفاف النيل ولعزلتها كانت هذه الأديرة تحاط عادة بسور
محصن ، كما يلحق بها كنيسة للعبادة .

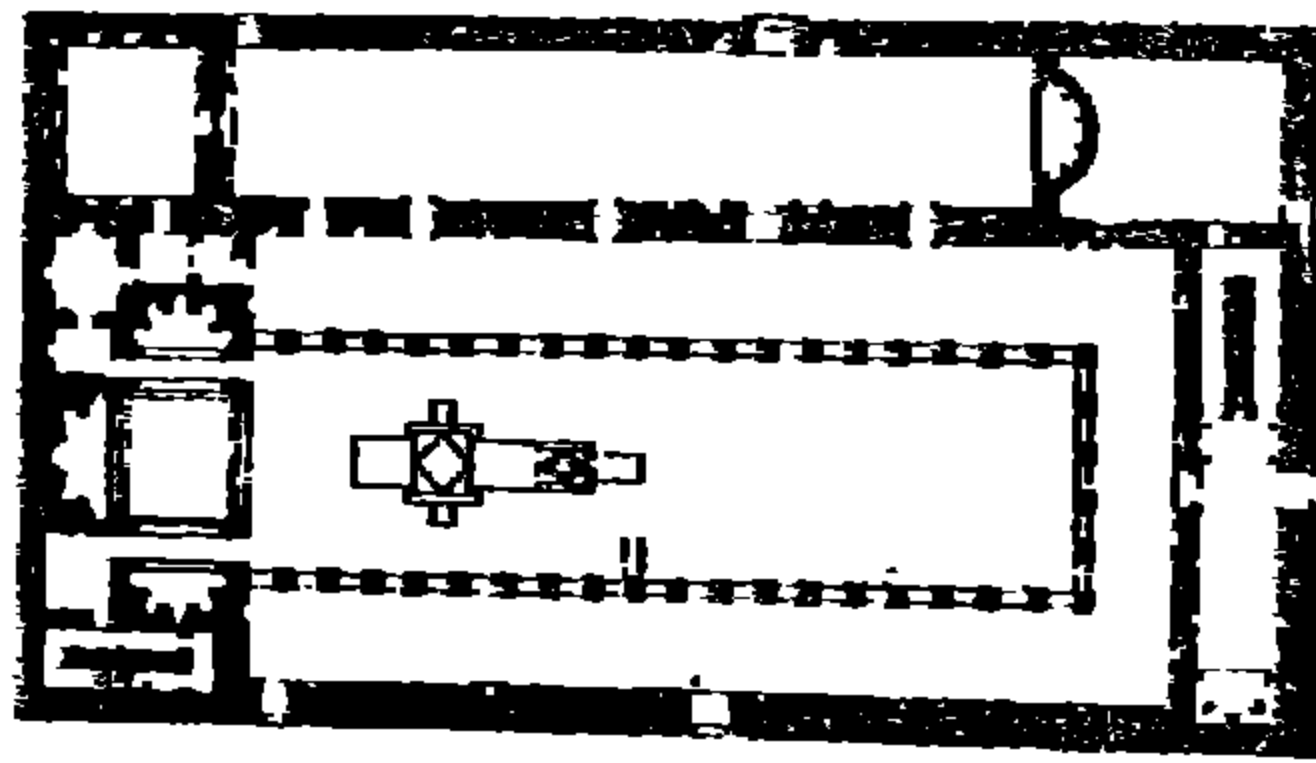
ومن الأديرة المشهورة الدير المحرق ودير أبوفانا الواقعان في الصحراء بالقرب من

مدينة أسيوط ، ثم دير الريان ودير الأنبا مقار في صحراء وادي النظرون . كما يقع دير القديس أنطون في صحراء البحر الأحمر .

وذهب بعض الرهبان إلى صحراء سينا ، وشيدوا هناك دير وكنيسة . وفي القرن السادس شيد الإمبراطور جستنيان حصناً يحيط بالدير والكنيسة يعرف حالياً باسم دير سانت كاترين (١) .

ولقد بقيت كنائس الأديرة في حالة جيدة لعناية الرهبان ولوجود أسوار منيعة تحيط بها ، بعكس بعض الكنائس التي أقيمت في المدن فلم تجد العناية الكافية فاندثرت ولم يبق منها إلا القليل .

نشطت حركة تشييد الأديرة والكنائس في أنحاء القطر بعد أن صار الدين المسيحي دين الدولة الرسمي في مصر . فشيّد في عهد الإمبراطور أركاديوس كنيسة للقديس مينا (٢) في حوالى عام ٣٥٠ م في صحراء مريوط بالقرب من الإسكندرية . كما شيّد البطريق ثيوفيلس كنيسة للقديس حنا في مكان معبد الإله سيرايوم الذى أزاله . وكان تصميم هذه الكنائس على طراز الكنائس البازيليكية . ومن أشهر كنائس الأديرة كنيسة الدير الأبيض التى شيدها الراهب شنودة على الطراز البازيليكى (رسم و) . ويرجع تاريخ إقامة الدير الأبيض والدير الأحمر المشيدان بالقرب من مدينة سوهاج إلى حوالى عام ٤٤٠ م .



(رسم و) يضم كنيسة الدير الأبيض ، سوهاج منقول عن « مونتريه دى فيارد »

(١) ذكر أن جثة القديسة كاترين كانت بالإسكندرية إلا إنها انتقلت فجأة إلى ذلك المكان .
 (٢) كان القديس مينا ضابطاً بالجيش الرومانى واستشهد في عام ٢٩٦ لإيمانه بالدين المسيحى . وعندما نقل ليدفن في الإسكندرية برك الجمل الذى يحمل النعش في مكان بصحراء مريوط فدفن هناك . ولما ظهرت بركته في شفاء الأغنام التى كانت مريضة وشربت من العين الموجدرة بالقرب من مدفته ، بنى المصريون له كنيسة في هذا الموقع .

كذلك شيدت كنائس في دير الأنبا أرميا بسقارة وفي دير أبا أبولو ببلدة باويط . ويرجع تاريخ إقامتها إلى أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس . كما وجدت كنائس ملحقة بدير الأنبا سمعان بالقرب من مدينة أسوان ودير أبوحنس بمحافظة أسيوط .

ولقد شيد الأقباط عددا من الكنائس في منطقة مصر القديمة بعد ذلك ، ويتبع تخطيط بعضها الشكل البازيليكي المستطيل بينما يتبع تخطيط البعض الآخر الشكل المربع للبيزنطى الذى تعلوه القباب والأقنية نذكر منها كنيسة القديسان « سرجيوس وباكوس » أبوسرجة ، وتقع هذه الكنيسة حاليا وسط حصن بابليون .

تنسب هذه الكنيسة إلى قديسين من بلدة الرصافة بسوريا استشهدا في عام ٢٩٦ م في عهد الإمبراطور مكسيميانوس لاعتناقهما الدين المسيحى ، وتشتهر بقصة التجاء العذراء بالمغارة القريبة منها بعد هربها إلى مصر خوفا على ابنها من « هيرودوس » .

يتبع تصميم هذه الكنيسة الطراز البازيليكي ذى الثلاثة أروقة ويفصل الأروقة صفين من الأعمدة ذات تيجان كورنثية . ويوجد بالواجهة التى تقع فى الجهة الغربية ثلاثة أبواب .

ولقد جددت هذه الكنيسة فى عهد هارون الرشيد بعد أن أصابها النيران التى اندلعت فى الفسطاط فى أواخر العصر الأموى ، كما جددت مرة ثانية فى عهد العزيز بالله الفاطمى .

ويرجع تاريخ الكنيسة المعلقة إلى القرن الخامس . ولقد أقيمت هذه الكنيسة فوق برج من برجى إحدى بوابات قصر بابلون الرومانى^(١) . وكان هذا الحصن مشيدا فى عهد الإمبراطور أغسطس وأعيد بناؤه فى عهد الإمبراطور تراجان ، ووسع فى عصر الإمبراطور أركادىوس وعرف باسم قصر الشمعة أو قصر بايلون .

(١) يعتقد بعض الباحثين أنه ليس معقولا أن تشيد الكنائس داخل الحصن الرومانى فى فترة حكم الرومان ، وأن تاريخ تشيد هذه الكنائس يرجع إلى العصر الإسلامى .

يتبع تخطيط هذه الكنيسة التصميم البازيلكى ، إلا أن بها أربعة أروقة تفصلها ثلاثة صفوف من البواكى تحملها أعمدة كورنثية .
ولقد جددت الكنيسة فى العصر الفاطمى فى عهود الخلفاء المعز لدين الله والظاهر لإعزاز الله .

ويطلق أحيانا اسم الدامشيرية على كنيسة العذراء نسبة إلى أحد سكان بلدة دمشق الذى قام بترميمها فى القرن السابع عشر .
أما كنيسة القديسة بربارة الموجودة فى نفس الموقع فترجع إلى حوالى عام ٦٨٤ .
ولقد أقيمت هذه الكنيسة فى أول الأمر تكريما للقديس حنا ، إلا أن اسمها تغير بعد أن نقلت إليها رفات القديسة بربارة .

وتحتوى هذه الكنائس القبطية على مجموعات رائعة من الأعمال الفنية الحجرية والخشبية ، كما حفلت بعدد من المباخر والأوانى المعدنية المتقنة الصنع . كذلك وجد بها مجموعة من الستائر والمفارش والسجاد تدل على أصالة هذا النوع من الفنون فى مصر منذ العهود القديمة .

النحت على الحجر

كانت المنحوتات الأولى التى ترجع إلى القرنين الثانى والثالث متأثرة إما بالفن الرومانى مثل تمثال الكاهن الذى عثر عليه فى كنيسة القديس مينا بمريوط . أو بالفن التدمرى الذى يهتم بنقش شواهد القبور بصورة للمتوفى . ولقد عثر على أمثلة لذلك فى مدينتى قفط وكوم الرجيب فى الوجه القبلى .
كما استمر ظهور بعض الموضوعات المصرية مثل النقش شديد البروز الذى عثر عليه فى باويط ، يصور الإله المصرى « حورس » فى هيئة فارس بالزى الرومانى يصوب رمحه فى جسد الإله الشرير « ست » .
ومن الملاحظ أن الفنان القبطى بدأ يضعف اهتمامه بالنحت الكامل منذ القرن الرابع . واتجه إلى النحت البارز الذى كان شديد البروز فى أول الأمر ثم تحول إلى

أسلوب مبسط يتميز بالتسطيح .

ومن الموضوعات المسيحية المبكرة المنقوشة على جدران المباني الدينية ، نقش بارز وجد على جدران كنيسة القديس مينا (ش ٩٢) ، يصوره مرتدياً ثياباً رومانية ، رافعا يديه في وضع ابتهاج إلى الله . ويظهر في هذا العمل تأثير المثال بالفن الكلاسيكي الذي كان في آخر مراحله في الإسكندرية .

وتزخر الفترة الرومانية المتأثرة بالفن الهيلينستي بالموضوعات الوثنية المستمدة من الأساطير الإغريقية مثل قصة ليدا والبجع (١) ، أوربا والثور (٢) ، دافني وأبوللو (٣) . أو من شخصيات الآلهة الإغريقية مثل أفروديت ، زيوس ، إيروس ، هرقل وإله الخمر ديوتيسس . أو من الشخصيات التي ترمز إلى المدن والأنهر مثل الإسكندرية والنيل .

وتزخر المنحوتات التي وجدت بمدينة أهناسيا بموضوعات تصور الآلهة الإغريقية ، ويوضح ذلك جدار منقوش بصورة أفروديت خارجة من صدفة مفتوحة في الماء (ش ٩٣) ونلاحظ في هذا النقش أسلوب هيلينستي رقيق به حركة تميزت بها الآثار التي عثر عليها في أهناسيا .

كذلك عثر في مدينة أهناسيا أقدم المراكز القبطية على حنيتين كانا في الغالب في كنيسة . ويدل أسلوب نحت كل من الموضوعات الوثنية والمسيحية على أن كلاهما في الغالب من عمل فنان واحد أو ربما من إنتاج مركز واحد .

وتظهر الرموز المسيحية جنباً إلى جنب العناصر الوثنية في مجموعة من الحشوات ترجع إلى منتصف القرن الخامس . فرى في جدار عثر عليه في سوهاج (ش ٩٤)

(١) ذكر في الأساطير الإغريقية أن زيوس كبير الآلهة الإغريقية كان يردد على ليدا زوجة تينداوروس ملك إسبرطة متخفياً على هيئة بومة .

(٢) ذكر في الأساطير أن زيوس أتى إلى أوروبا الجميلة على هيئة ثور أبيض فلما ركب لها وامتطت ظهره طار بها إلى بلاد كريت .

(٣) عندما طارد أبوللو الجميلة دافني وكاد يمسك بها . استغاثت بالآلهة التي حولها إلى شجرة .



(شكل ٩٢) نحت بارز على الحجر يصور
القديس مينا عثر عليه في كنيسة القديس مينا
بالقرب من الإسكندرية حالياً بـ المتحف الإغريقي
الروماني . الإسكندرية

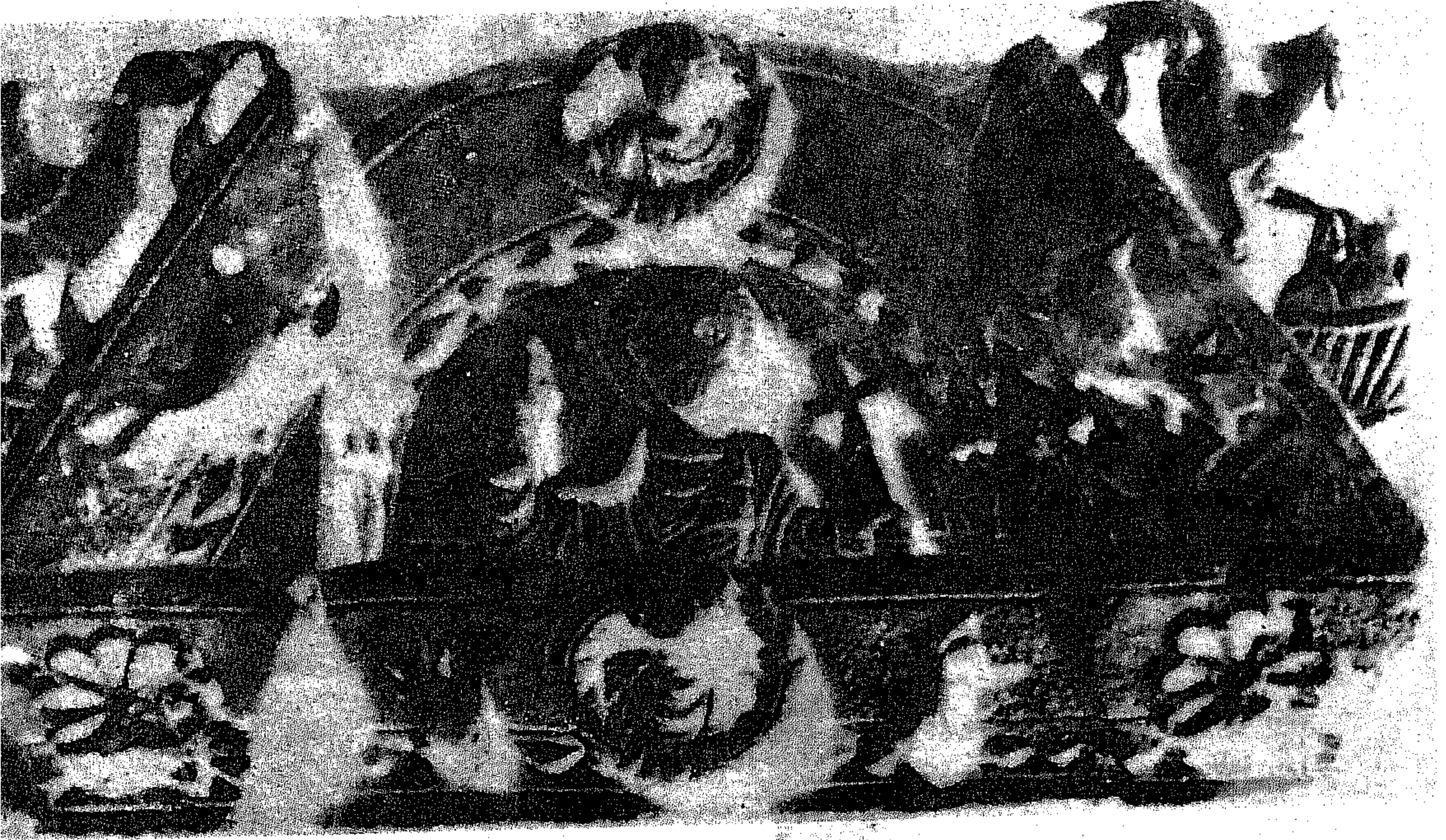


(شكل ٩٣) حشوة من الحجر الجيري من
مدينة أهناسيا بالوجه القبلي وتظهر به
زخارف بارزة تصور الآلهة أفروديت
خارجة من صدقة . القرن الخامس

نقش بارز يصور طفلان عاريان مقتبسان من الإله إيروس^(١) يحملان إكليلاً من الغار. ويحيط بالمجموعة تفريعات من نبات الأكتيس.

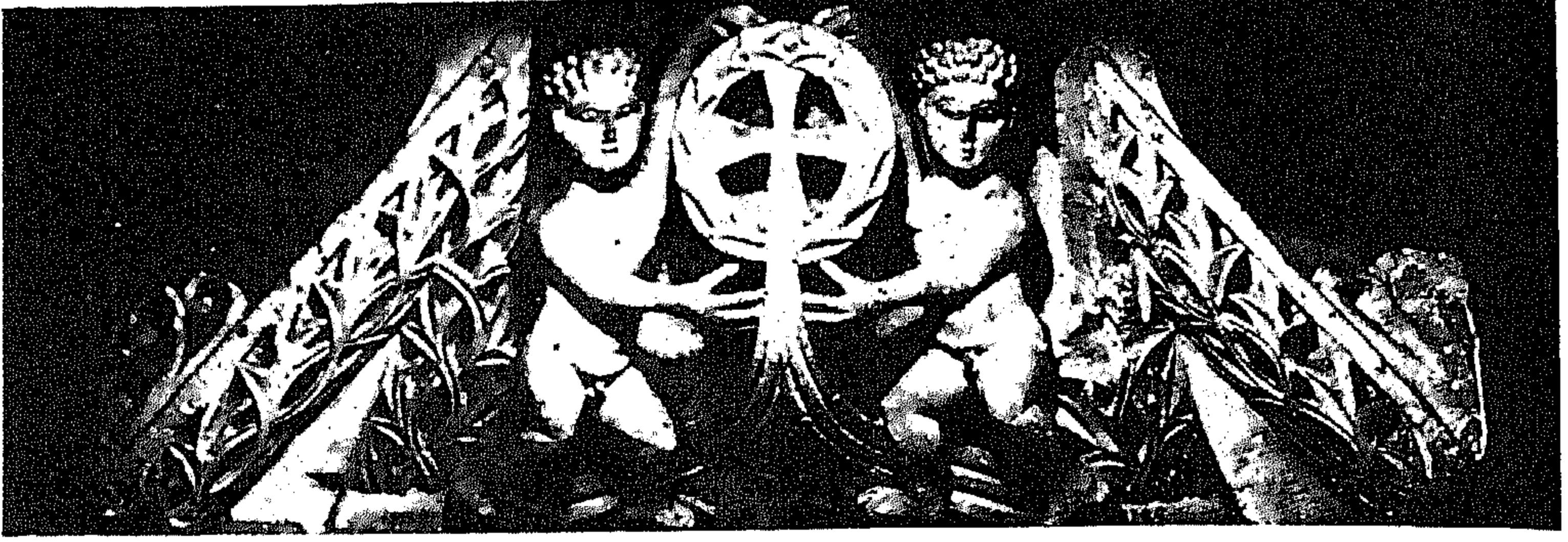
نلاحظ في زخارف هذه المجموعة أن الوحدات الآدمية جامدة قليلة الحركة وينفق الباحثون على أن الطراز الناعم يرجع إلى حوالى عام ٤٠٠ م بينما ترجع المجموعات ذات الأسلوب الجامد إلى منتصف القرن الخامس. ومن المنحوتات المسيحية المبكرة عقد يصور المسيح حاملاً الصليب يمنح البركة (ش ٩٥)، ومن المرجح أن هذا العقد يرجع إلى القرن الرابع.

وتمتاز الوحدات ذات الأصول المختلفة أحياناً في عمل فني واحد، فتظهر علامة عنخ رمز الحياة عند قدماء المصريين (ش ٩٦) جنباً إلى وحدة الصليب وتفريعات نبات الأكتيس. وعلامة عنخ من العناصر القليلة التي اقتبسها المسيحيون المصريون من الفن المصرى القديم. وللتشابه الموجود بين عنخ وبين الصليب نجد أن

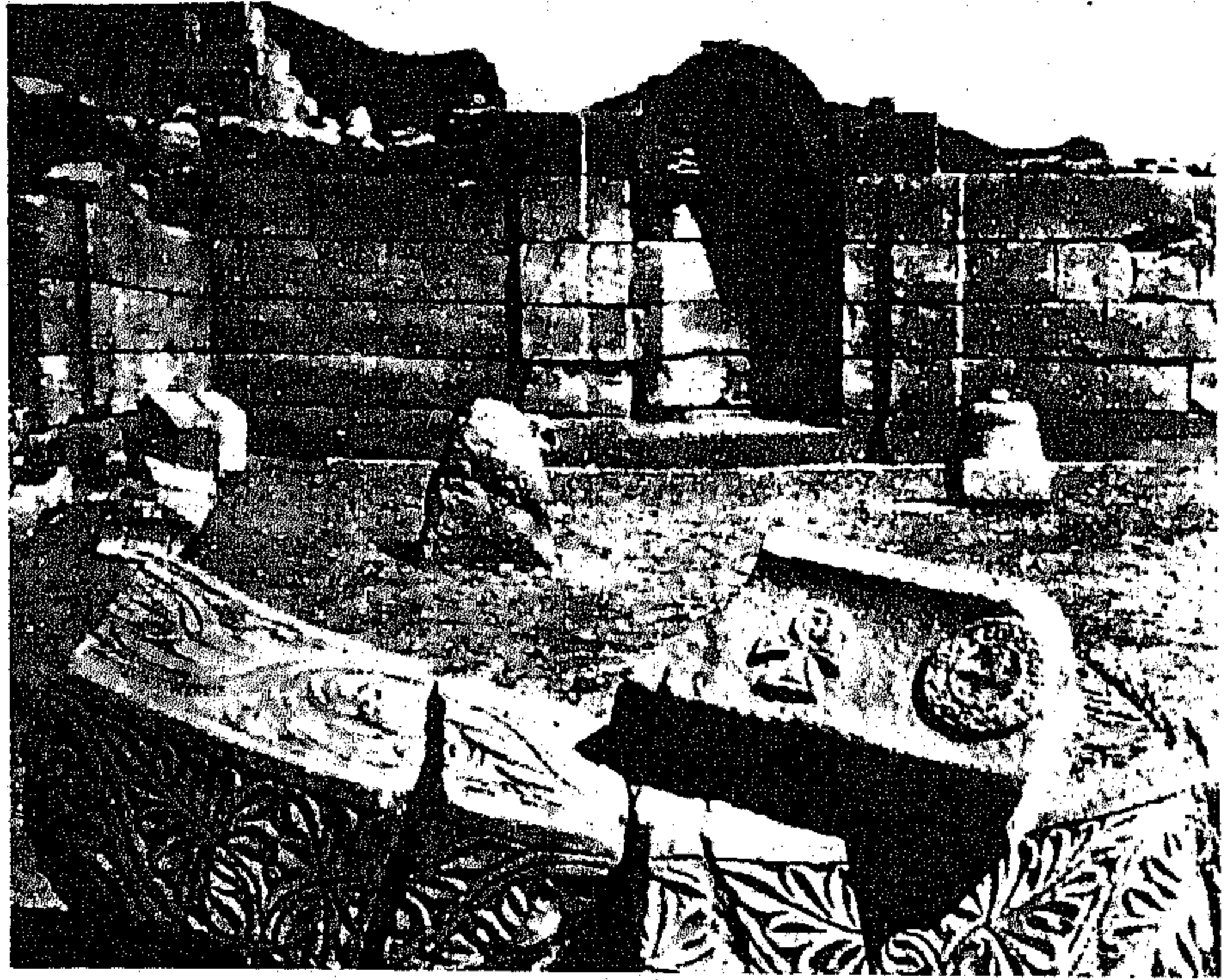


(شكل ٩٥) حنية بها نقش يصور المسيح يمنح البركة
من مجموعة مريت غالى القاهرة

(١) إيروس إله الحب عند الإغريق، عرف باسم كوبيد عند الرومان، ويظهر في الفن على هيئة طفل له جناحان.



(شكل ٩٤) حشوة من الحجر الجيري عثر عليها في مدينة سوهاج ، ويظهر بها طفلان يحملان إكليلاً من الغار يتوسطه صليب . النصف الثاني من القرن الخامس . المتحف القبطي . القاهرة



(شكل ٩٦) نحت بارز عثر عليه في كنيسة
مقامة في فناء معبد دندرة البطلمي . أواخر
القرن الخامس ويلاحظ الصليب ويجواره
علامة عنخ

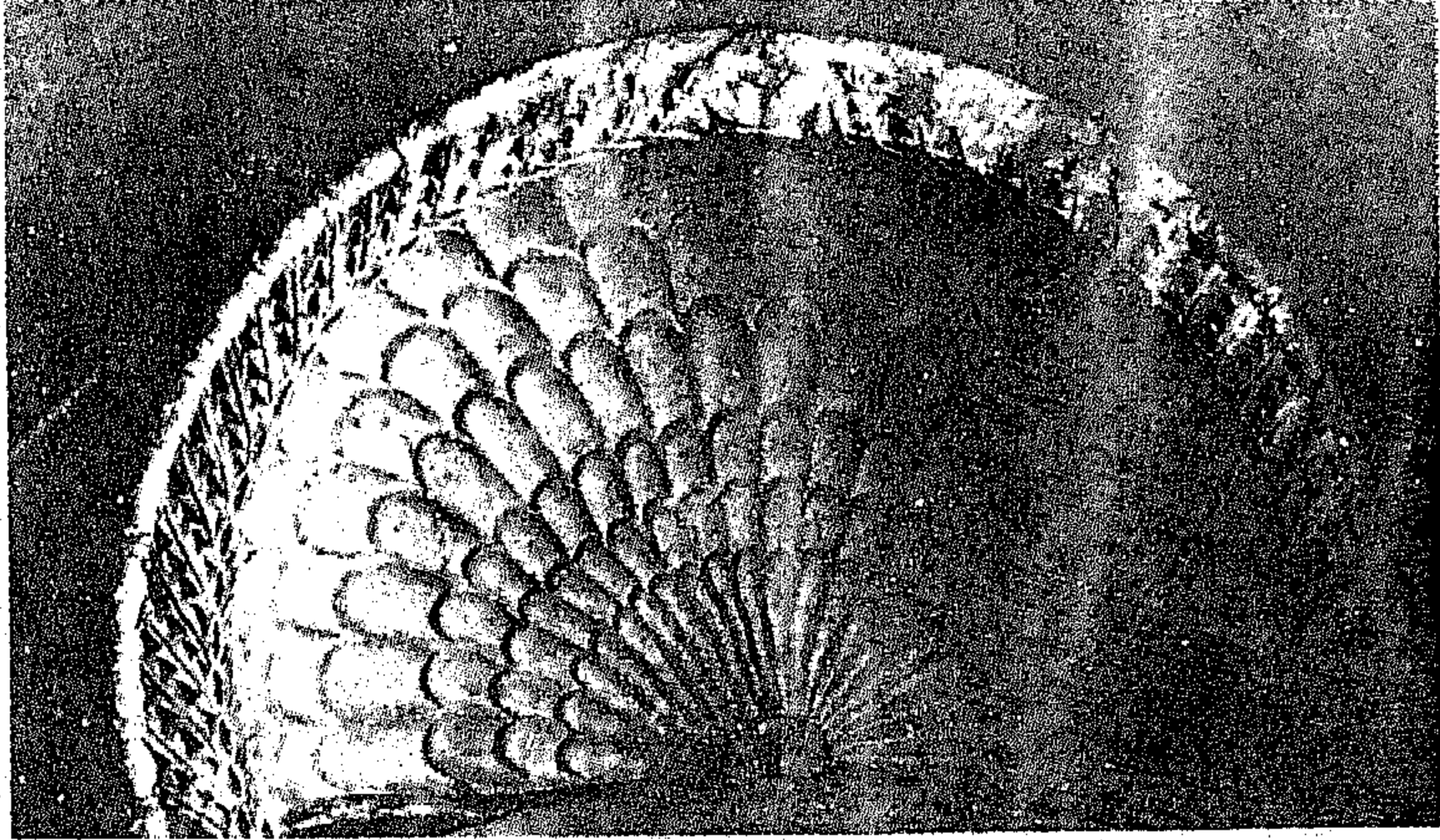


شكل (٩٧) أفريز من الحجر الجيري به زخارف مكونة من عناقيد العنب ويتوسطها الصليب عثر عليها في دير القديس
« أبا أبولو » بمدينة باويت بالوجه القبلي . النصف الثاني من القرن السادس ، بمتحف اللوفر .

الفنان القبطى جمع أحياناً بينهما وتعكس الألواح الحجرية التى عثر عليها فى باويط وسقارة وبعض مراكز أخرى أسلوب البلاط البيزنطى . ويظهر هذا الأسلوب فى لوحة ترجع إلى القرن السادس منقوشة بوحدات الصليب موضوعة فى دوائر تكونت من تفريعات نبات العنب وثماره (ش ٩٧) . وتظهر هذه الزخارف المتكررة فى نظام هندسى جميل .

وأصبح التحوير من الأشكال الطبيعية تقليدا مفضلا عند الفنان القبطى فى القرن السادس . ويوضح ذلك نقش على عقد من الحجر لتصميم مستمد من شكل الصدفة المفتوحة (ش ٩٨) ونلاحظ أن أم مركز توزيع الخطوط الهندسية للصدفة من يتوسطه صليب يشع منه النور على هيئة خطوط .

وينجح الفنان القبطى فى النهاية فى ابتكار أسلوب تجرىدى جديد لم يعد مرتبطا بالفن الهيلينستى والبيزنطى ويتوصل فى اتباعه لهذا الأسلوب الجديد ، إلى تكوين زخارف هندسية من التفريعات النباتية (ش ٩٩) .



(شكل ٩٨) صدفة من الحجر يتوسطها نحت علامة الصليب
المتحف القبطى بالقاهرة

(شكل ٩٩) لوحة من الحجر بها زخارف هندسية
محفورة من وحدات نباتية . باويت ، متحف برلين .



(شكل ١٠٠) تاج عمود كورنثي عثر عليه في باويت ، متحف اللوفر .



(شكل ١٠١) تاج عمود عثر عليه في باويت مزخرف
بوحدات الأكتيس المحورة مع الصليب ، متحف اللوفر .

وتتمتاز الكنائس والأديرة القبطية بما تحتويه من أعمدة حجرية تنتهى بتيجان مزخرفة بوحدات متعددة نباتية أو حية أو هندسية . وكانت التيجان الأولى منقولة من الطراز الكورنثي الروماني وتوجد أمثلة منها في كنيسة القديس مينا .

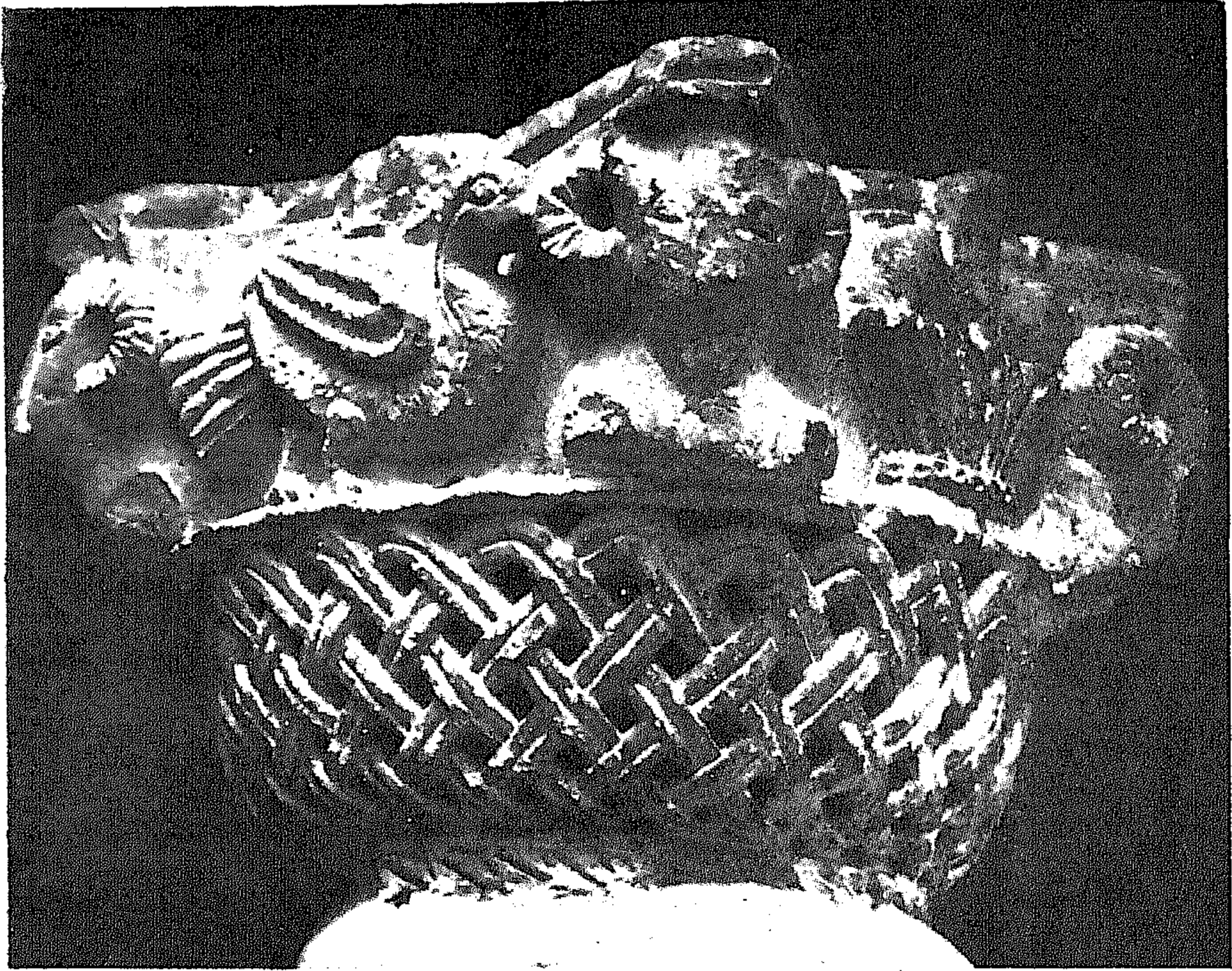
إلا أننا نلاحظ بدأ ظهور تطور واضح في أسلوب نحت التيجان الكورنثية بعد ذلك . فبالرغم من أن شكلها العام يحاكي التاج الكورنثي إلا أن المسافة بين صفوف الأوراق الأفقية قد زاد اتساعها ، كما مالت أطراف الأوراق المدببة بدلا من اتجاهها إلى أعلى (ش ١٠٠) وكادت أطراف الصف العلوى تلمس السقف .

ويزداد التطوير في تيجان أعمدة باويت التي نحتت في القرن الخامس حيث نلاحظ أن أوراق نبات الأكتس قد بسطت وظهر بها حروف مسننة (ش ١٠١) بدلا من أشكالها الطبيعية وهنا نلاحظ أن الفنان القبطي قد أظهر اهتماما بتأكيد شخصية الفن المسيحي بزخرفة تاج العمود برموز مسيحية . فسرغان ما حل الصليب محل الثمرة في تفريعات النبات الرأسية .

ولقد تنوعت أشكال تيجان الأعمدة تنوعاً كبيراً في الكنائس القبطية ، فنلاحظ أن تفريعات النبات تشابكت وأخذت شكل السلال منذ القرنين الرابع والخامس . وظهرت نماذج لهذا النوع في سقارة والأشمونين وباويت والإسكندرية (ش ١٠٢) . ولقد ظهرت التيجان المشكلة على هيئة السلال في العمارة البيزنطية في القرن الخامس .

ولقد أضاف الأقباط ابتكاراً جديداً لهذا الطراز من السلال . فنلاحظ في تاج من باويت أن تفريعات السلة قد حل محلها شبكة من تفريعات العنب (ش ١٠٣) بأوراقه وعناقيده . ويظهر بداخل السلة وحدات مقتبسة من الأسود .

ومن الملاحظ أن شكل أوراق العنب في الشرق قد طرأ عليها تغيير كبير . حيث بسط الفنان القبطي في شكل الورقة لدرجة أنها صارت في بعض الأحيان رمزية . وتحولت إلى شكل هندسي متصل وبذلك مهدت إلى زخارف الأرابسك التي تميز بها الفن الإسلامي .



(شكل ١٠٢) تاج عمود منحوت على هيئة سلة بها طيور وكباش المتحف القبطي



(شكل ١٠٣) تاج عمود عثر عليه في باويت مزخرف بوحدات نبات العنب وصليب ، بمتحف برلين

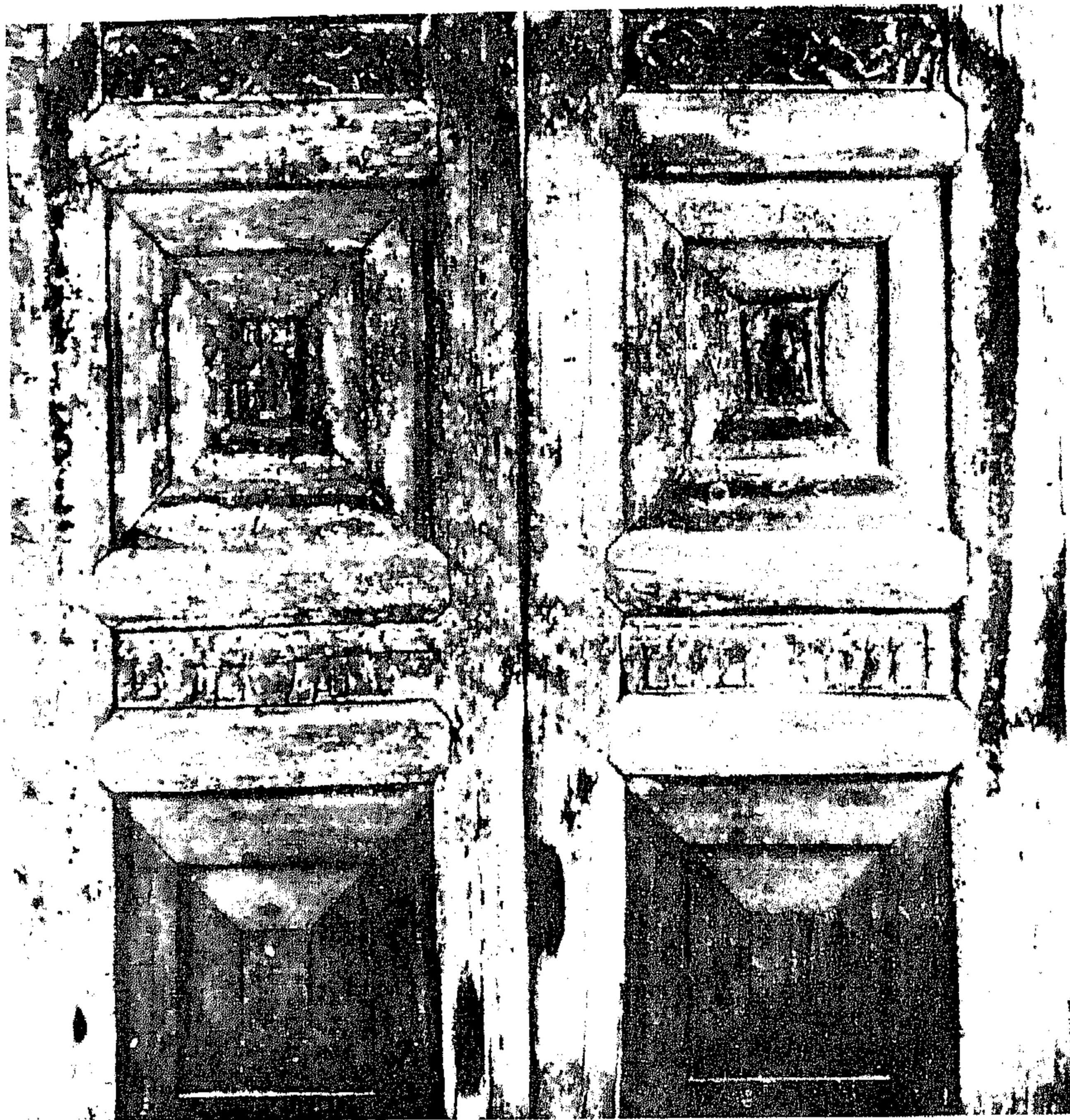
النحت على الخشب :

مر فن الحفر على الخشب في المراحل التي مرت بها النقوش الحجرية والجصية فنجد في نقوش الألواح الخشبية التي صنعت في أوائل العصر المسيحي تأثيراً من الفن الهيلينستي ، مثل الموضوعات النيلية التي تظهر بها التماسيح والسماك وزهرة اللوتس ، أو الأطفال الذين يصطادون هذه الأسماك . كما نلاحظ وجود تفريعات نبات العنب وعناقيده التي تميز بها هذا الفن .

وتتضح براعة الفنان القبطي في الحصول على التأثير الزخرفي المطلوب في حشوة في باب كنيسة ست بربرة (ش ١٠٤) الموجود حالياً بالمتحف القبطي . وبالرغم من أن بعض الباحثين حاول أن ينسب هذا الباب (ش ١٠٥) إلى القرن الرابع ، إلا أن تفريعات العنب المنقوشة وهي تخرج من سلة ، تذكرنا بمثلها الموجودة في كرسى الأسقف مكسيميليان برافينا (ش ٨٥) مما يرجح نسبته إلى أواخر القرن السادس بالرغم من اختلاف أسلوب النحت في كل منها . وتتغير هذه العناصر في آثار الفترة الانتقالية كما يتغير أسلوب النحت ، ويبدأ ظهور الصليب والملائكة في زخارف الألواح الخشبية (ش ١٠٦) . كما يستخدم الفنان تفريعات النبات في عمل إطارات حول عناصره الحية .



(شكل ١٠٤) حشوة خشبية مزخرفة بتفريعات العنب . كانت في باب كنيسة ست بربرة ، حالياً المتحف القبطي بالقاهرة



(شكل ١٠٥) باب كنيسة ست بربرة . حالياً المتحف القبطى بالقاهرة .



(شكل ١٠٦) حشوة خشبية بها نقوش لتفريعات نباتية . تكون جامات تحصر بينها عناصر حية وصليب . المتحف القبطى بالقاهرة

ويظهر الأسلوب القبطي المتبلور في ألواح كنائس . ياويت وأبو سرجة والكنيسة المعلقة .. فترين أخشابها بالموضوعات المسيحية المختلفة مثل دخول المسيح متصراً إلى القدس أو الشخصيات المقدسة . ويقل اهتمام الفنان بالمحافظة على نسب الأشخاص في هذه الفترة .

ولقد استمر ازدهار فن حفر الخشب بيد أقباط مصر بعد دخول العرب وتظهر في بعض الألواح موضوعات مسيحية مثل القديسين (ش ١٠٧) لايراعى الفنان فيها تناسب حجم الرأس مع الجسد . كما يستخدم الفنان في ذلك العصر موضوعات زخرفية ذات طابع إسلامي في زخرفة أخشابه (ش ١٠٨) ويتضح ذلك في الحشوات التي وجدت في كنيسة ست برباره التي ترجع إلى القرن العاشر . ويتشرب في العصر الإسلامي استخدام العاج في زخرفة الأخشاب المنقوشة ، وتظهر براعة الفنان القبطي في الأبواب والأحجية بالكنائس القبطية (ش ١٠٩) .

التصوير :

توقف إنتاج مدرسة تصوير الأشخاص التي ازدهرت في القرن الأول والثاني في الفيوم ، بعدما منع الإمبراطور تيودور الثاني عادة تحنيط الموتى . كما أن زخارف الأفريسكو التي كانت تظهر بها الخلفيات المعمارية واشتهرت بها الإسكندرية توقف إنتاجها في أوائل العصور المسيحية . ويظهر طراز جديد في الأديرة المسيحية منذ القرن الخامس .

ويتميز هذا الأسلوب الجديد باهتمام الفنان برسم الأشخاص في وضع المواجهة ، وهذا طراز انتشر في الشرق . كذلك اعتنى بالتكوينات المعبرة أكثر من اهتمامه بتسجيل الدقة في رسم الأشكال . وأهم نماذج هذا الأسلوب عثر عليه في ياويت وفي أم البريجات في الفيوم وفي دير الأنبا أرميا بسقارة وهي محفوظة حالياً بالمتحف القبطي بمصر . كما عثرت بعثة بولندية علي تصاوير جدارية في دير ببلاد النوبة تتميز بدقة ومهارة كبيرة .

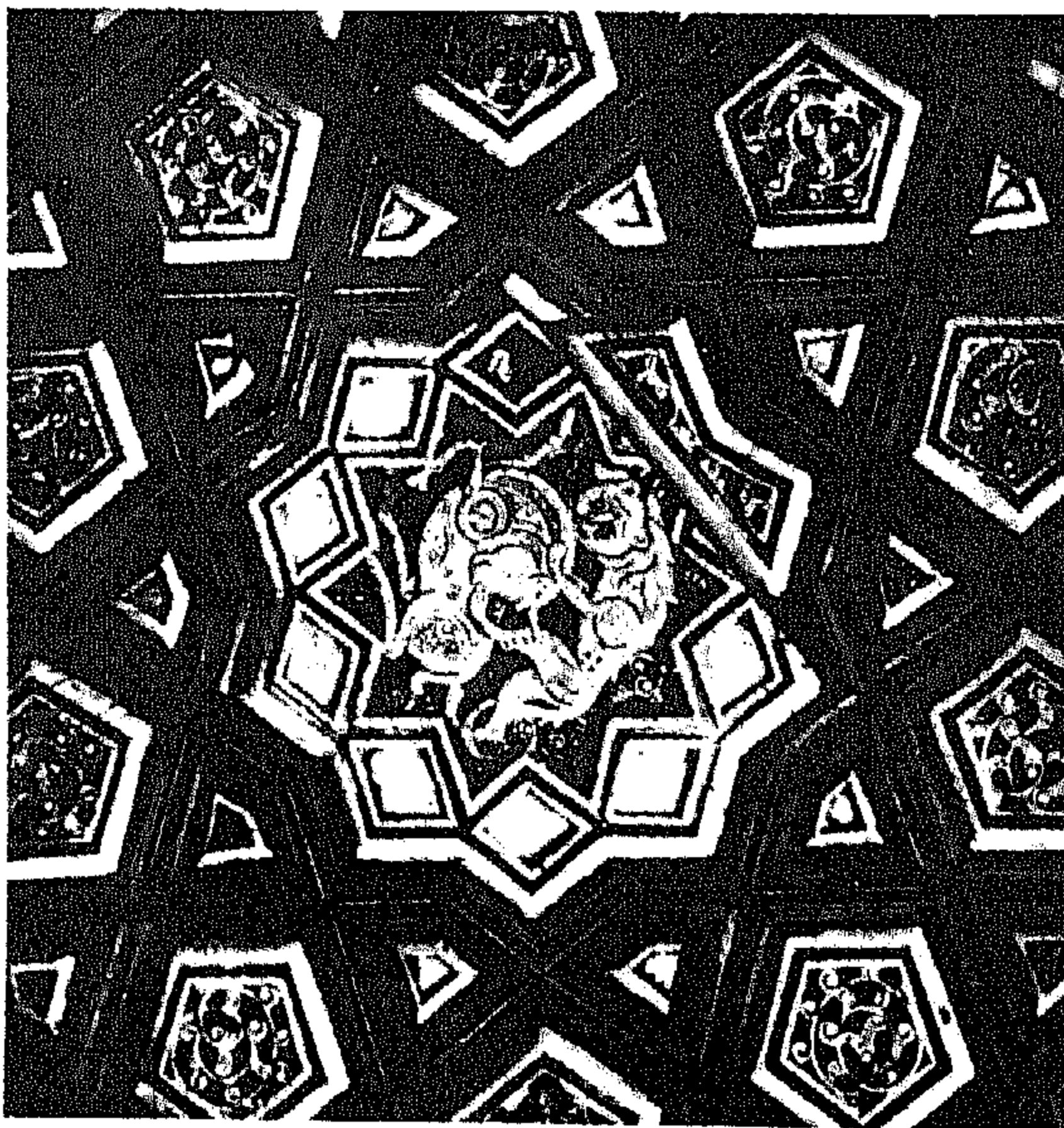
وكانت جدران هذه المباني تشيد غالباً من قوالب الطين ، تطلّى بعدها بالجص



شكل ١٠٧) لوح من الخشب منقوش عليه شكل قديس



شكل ١٠٨) باب كنيسة ست بربرة مزخرف بزخارف إسلامية
العصر القبطي



شكل ١٠٩) نحت على الخشب مطعم
بالعاج لحامل إنجيل المتحف القبطي

ثم يرسم عليها رسوم ملونة مستمدة من قصص الأنبياء وحياة المسيح . ووجدت أمثلة لذلك في دير أرميا تصور أربعة من القديسين (ش ١١٠) وفي أم البريجات تصور آدم وحواء (ش ١١١) وتتميز صور المثل الأخير بالطرافة والبساطة والأسلوب الشعبي .

كذلك غطيت المحاريب الموجودة في صدر الكنيسة بتصاوير دينية ملونة ، وأهم هذه الأمثلة عثر عليها في باويت وسقارة وهي حالياً بالمتحف القبطي . ونلاحظ في حنية من باويت (ش ١١٢) نرجع إلى القرن الخامس أو السادس أن الرسم ينقسم إلى قسمين ، القسم العلوي يتوسطه المسيح جالساً على عرشه يحمل يسراه سفر الرؤيا ويبارك يمينه ، ويحيط به الملاك ميخائيل وجبريل . وفي القسم الأسفل نرى صورة العذراء جالسة تحمل المسيح وهو طفل ، ويحيط بها الاثنا عشر رسولا وقديسان شيدت الكنيسة تكريماً لهما . ونلاحظ في أسلوب رسم الصورة أن الفنان رسم الأشخاص بخطوط قوية في وضع المواجهة وبوجوه شاحصة وأعين لوزية ، وهذا طراز انتشر في فن التصوير البيزنطي .

ويظهر هذا الطابع في التصوير على الألواح الخشبية ويتضح ذلك في لوحة خشبية تصور المسيح والقديس مينا (ش ١١٣) ، وكانت مصر من أهم مراكز تصوير الأيقونات ، واستمدت أسلوبها من مدرسة الفيوم ، ومن أحسن الأمثلة الموجودة في دير القديسة كاترين أيقونة تصور قديساً (ش ١١٤) .

واستخدم الفسيفساء في زخرفة جدران بعض الأديرة في مصر بموضوعات مصورة ، ويتضح من دراسة زخارف تغطي حنية في كنيسة العذراء بدير سان كاترين بسيينا (ش ١١٥) ، ترجع إلى ٥٤٠ م أن هناك تشابهاً في أسلوب بعض الأشكال الزخرفية الموجودة بالكنيسة وزخارف سقف كنيسة سان فيتال بمدينة رافينا . ويرجع ذلك اشتراك عمال من بيزنطة في زخرفة كل من الكنيستين في عهد الإمبراطور جستنيان .

الفنون الصغيرة :

يظهر التطور الذي مر به الفن القبطي بعناصره المختلفة بصورة واضحة في الفنون الصغيرة : العاج ، المعادن والمنسوجات .



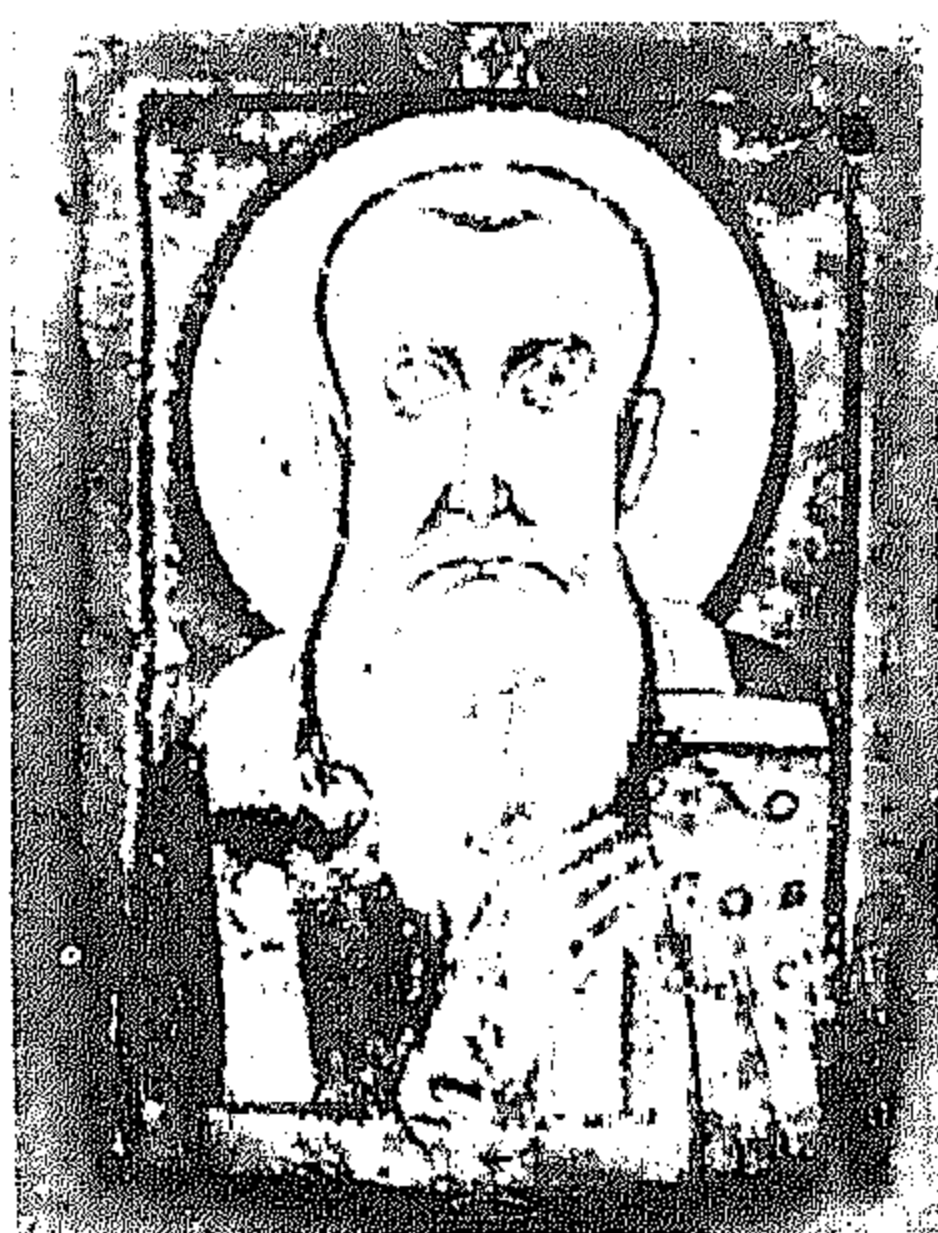
(شكل ١١٠) تصوير جدارى عثر عليه فى دير القديس إرميا تصور أربعة قديسين . المتحف القبطى



(شكل ١١١) تصوير جدارى وجد فى كنيسة فى أم البريجات



(شكل ١١٢) تصوير جداري يغطي حنية عثر عليه في باويت يصور المسيح والعذراء . القرن السادس . حاليا بالمتحف القبطي بالقاهرة



(شكل ١١٤) أيقونة تصور قديس القرن السابع . دير القديسة كثرينة



(شكل ١١٣) تصوير على الخشب للسيد المسيح مع القديس يونا



(شكل ١١٥) فسيفساء بدير القديسة
كثرينة بسيناء



(شكل ١١٦) مشط من العاج مزخرف
من الجانبين بمواضيع دينية
حالياً بالمتحف القبطى بالقاهرة

(شكل ١١٧) قطعة من العاج مزخرفة
بملاك متحف بناكى أثينا



العاج :

اشتهرت الإسكندرية كمركز لإنتاج العاج في الإمبراطورية الرومانية وكان يصنع للاستعمال الشخصي كالعلب والأمشاط . وكان الإنتاج الأول ذا طابع هيلينستي وتميزت مصر بطراز خاص يقلد الطبيعة وتصميمات مزدحمة . إلا أن الطراز المصري الشعبي يظهر في المراكز الصغيرة . وتظهر به زخارف دينية منفذة بأسلوب شعبي بسيط ويتضح ذلك في مشط عثر عليه في مدينة أنطونيو يرجع إلى القرن السادس ، ومحفوظ حالياً بالمتحف القبطي (ش ١١٦) . وفي قطعة عاجية من نفس الفترة محفوظة في متحف بناتي منقوشة بوحدة ملاك (ش ١١٧) .

المعادن :

استخدم الأقباط المعادن في عمل أدوات ترتبط بالكنيسة كالمباخر والصلبان والمسارج والشمعدانات ، إلخ ، كما استخدم أيضاً في عمل أوان للاستخدام المنزلي وكانت المسارج والشمعدانات تصنع من البرونز . وتظهر في القناديل المسيحية أشكال الصليبان كما تظهر أحياناً على الشمعدانات زخارف هيلينستية (ش ١١٨) مما يحمل المرء على التساؤل كيف استخدم الطراز الوثني في الكنائس .

المنسوجات :

تعتبر المنسوجات القبطية من أهم الفنون التي ظهر فيها تطور الفن القبطي المسيحي . وكان الأقباط يتقنون هذه الصناعة إتقاناً كبيراً ، ويصدرون منسوجاتهم إلى روما وبيزنطة في فترة الحكم الروماني . ولما كان الفن القبطي فناً شعبياً لا يخضع لرقابة الحكومة نجد أن مراكز صناعة المنسوجات لم تقتصر على المدن الكبيرة ، بل انتشرت في البلاد الصغيرة أيضاً . وكانت مراكز المنسوجات الكثائية في مدن مصر السفلى ، واشتهرت منها الإسكندرية وتينيس وديق وشطا ودمير والأشمونين ، كما انتشرت مراكز صناعة المنسوجات الصوفية في مصر العليا في أنخميم وأنطونيو وأسيوط وأهناس والبهنسا والفيوم . وكانت هذه المنسوجات تزخرف بزخارف متعددة تتفق مع الزى أو مع الستور والأغطية .



(شكل ١١٩) قطعة النسيج من القباطى بها
زخرفة لإله النيل



(شكل ١١٨) زخارف معدنية على شمعدان تصور أفروديت بين زوج من أيروس
القرن الرابع أو الخامس . بمتحف اللوفر



(شكل ١٢٠) قطعة نسيج مزخرفة بموضوعات
وثنية . القرن الرابع ، الخامس . متحف اللوفر

وتنحصر المنسوجات التي عثر عليها من الفترة المسيحية في مصر في بعض ستائر وأغطية وملابس . وكانت عادة الأقباط في حالات الموت تكفين موتاهم بأفخر أزيائهم . ويزخرف الزي القبطي بأشرطة رأسية وأفقية . وكانت الزخارف إما منسوجة في القماش أو تنسج في جامات تضاف فوق النسيج ، كما كانت تطرز في بعض الحالات . ويحصل النسيج على هذه الزخارف بواسطة خيوط صوفية ملونة تضاف إلى النسيج الكتاني (شكل أ) .

وأفخر قطع النسيج القبطية هي التي عثر عليها في مدينة الشيخ عبادة « أنطونيو » التي كانت مركزا هاما في فترة الحكم الروماني وتسكنها جالية من كبار الرومان . وتنقسم المنسوجات القبطية الواقعة في الفترة من القرن الثالث إلى القرن الثامن إلى ثلاثة أقسام مثلما كان متبعاً في تطور الفن القبطي . فزخارف المرحلة الكلاسيكية تستمر لفترة تظهر بعدها عناصر زخرفية مستمدة من الدين المسيحي الذي صار دين الدولة الرسمي .

ونلاحظ أن هذه العناصر الأخيرة انحصرت استخدامها بصفة خاصة في زخرفة ملابس رجال الدين ، بينما استمر استخدام العناصر الأولى شائعا في زخارف الملابس العادية بالإضافة إلى الزخارف الدينية . كما نجد أن زخارف المرحلة الأولى عبارة عن تقليد الطبيعة تقليدا تاماً ، كما تطابق الألوان المنسوجة الألوان الطبيعية . وفي الغالب تنسج هذه الزخارف بطريقة القباطي .

ومن أحسن نماذج زخارف الفترة الأولى التي ترجع إلى القرن الثالث ، زخرفة في جامة مستديرة لإله النيل (ش ١١٩) الذي رمز له برجل ملتجيا جسده عار . ويتوج الرأس إكليل من أوراق الشجر ، كما يوجد قرن الرخاء أمام الكتف الأيسر . ويتضح الأسلوب الهيلينستي في هذه القطعة في محاكاة الشكل الطبيعي بدقة . ومن القطع المزخرفة بموضوعات وثنية ذات عناصر إغريقية رومانية وترجع إلى القرن الرابع ، جامة مربعة مزخرفة . بإطار من أوراق الأكتس (ش ١٢٠) . ويتوسط الجامة زوج من الإلهة إيروس تقطف ثمار العنب من النبات المتفرع من

سلة : والسلال والزهرات التي تخرج منها العناصر النباتية ظهرت في الفن الهيلينستي .

وتعرف مجموعة المرحلة التالية الانتقالية باسم الطراز المسيحي وذلك لاستمرار ظهور عناصر من الموضوعات الوثنية بجانب الرموز المسيحية كالصليب والسمك ، وقد يظهر في زخارف تلك الفترة شخصيات وثنية مثل الإله فينوس (لوحة ملونة رقم ٣) التي نراها بين الموضوعات النيلية التي يظهر بها السمك وزهرة اللوتس . إلا أننا نلاحظ أن العناصر الآدمية والحيوانية الموجودة في تلك الزخارف ينقصها طابع الحركة والحيوية التي تميزت به آثار الفترة الهيلينستية . وتنحصر آثار تلك الفترة في القرنين الخامس والسادس .

ولقد ابتكر الأقباط تصميمات زخرفية تصلح لنوع من النسيج القباطي استخدم ستورا تعلق على الجدران ، وكانت هذه التصميمات إما أن تغطي السطح كله أو توضع في نهاية الستارة على هيئة عقود ، تحصر بينها شخصيات آدمية (ش ١٢١) وتصور هذه الشخصيات نساء أو رجال متعبدين . ولقد عثر على هذه القطعة في جبانة الشيخ عبادة .

أما الطراز القبطي الذي تنحصر آثاره في القرنين السادس والسابع فتخلو زخارفه من تأثير الأسلوب الهيلينستي كما تختفي منه العناصر الوثنية ، كما يظهر به أيضا زخارف

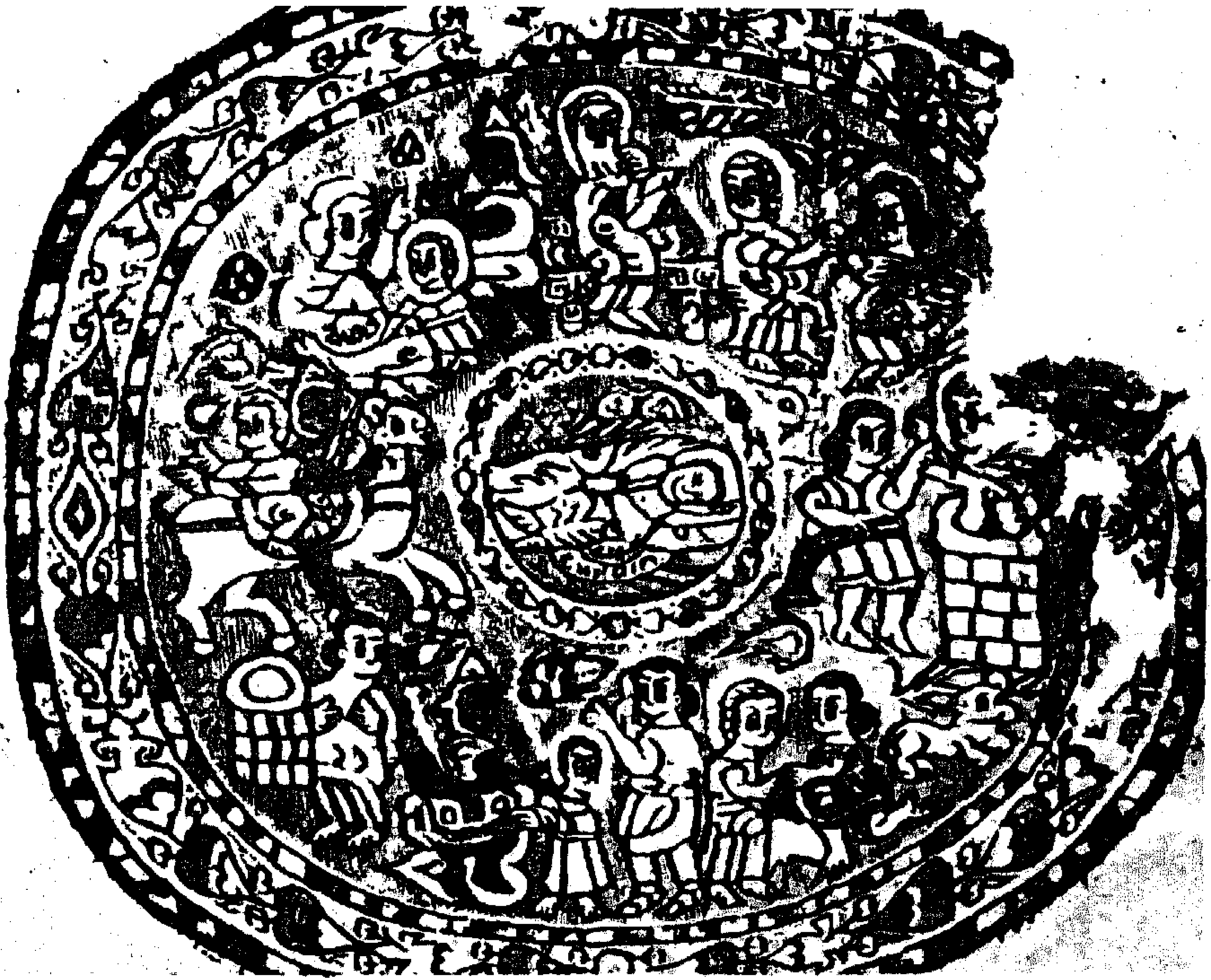


(شكل ١٢١) قطعة نسيج مزخرفة بعقود تحصر بينها شخصيات آدمية كتبت أسمائهم بحروف لاتينية.

مقتبسة من الموضوعات الدينية ، مثل قصة النبي يوسف مع إخوته (ش ١٢٢) وقصة إسماعيل الذي فداه الله بكبش ويتضح في زخارف تلك الفترة شخصية وطابع الفن القبطي الذي ابتعد عن تقليد الطبيعة .

ويتضح الأسلوب المحور الذي تميز به الفن القبطي في زخارف المنسوجات التي ترجع إلى الفترة المتأخرة . وتتميز الشخصيات الموجودة برؤوس كبيرة وأعين واسعة وتحوير كبير في الشكل العام يخرجها عن الشكل الطبيعي .

فترى الطفل إيروس ممسكا حيوانا له أربع أرجل غير متماثلة (ش ١٢٣) يظهر ساجحا في مناظر نيلية . ومن كثرة المبالغة في التعبير عن الأشكال الحية أرجح أن هذه القطعة ترجع إلى ما بعد الفتح الإسلامي .

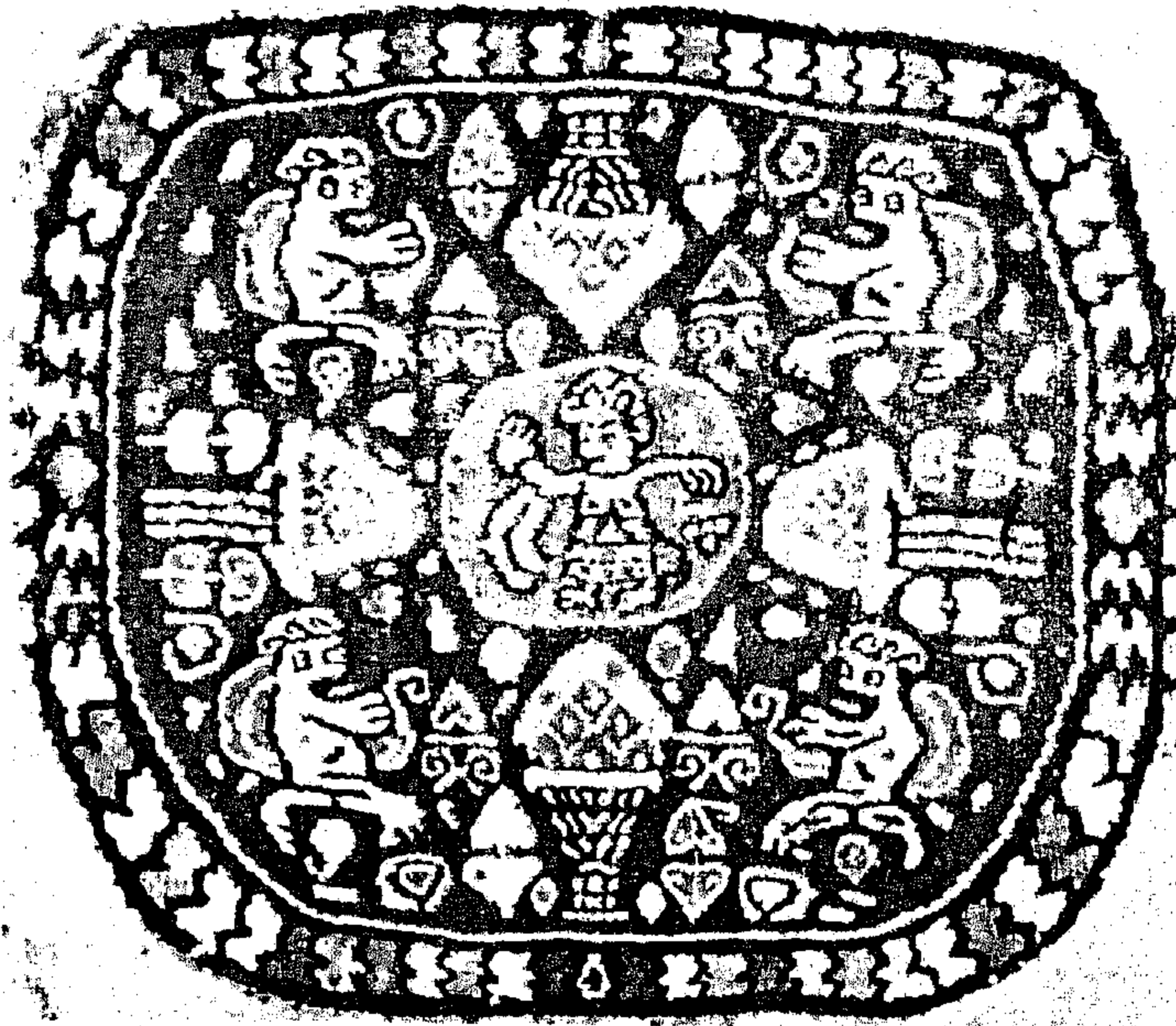


(شكل ١٢٢) قطعة نسيج مزخرفة بموضوع ديني (قصة النبي يوسف) بمتحف الارميناج بلنجراد .



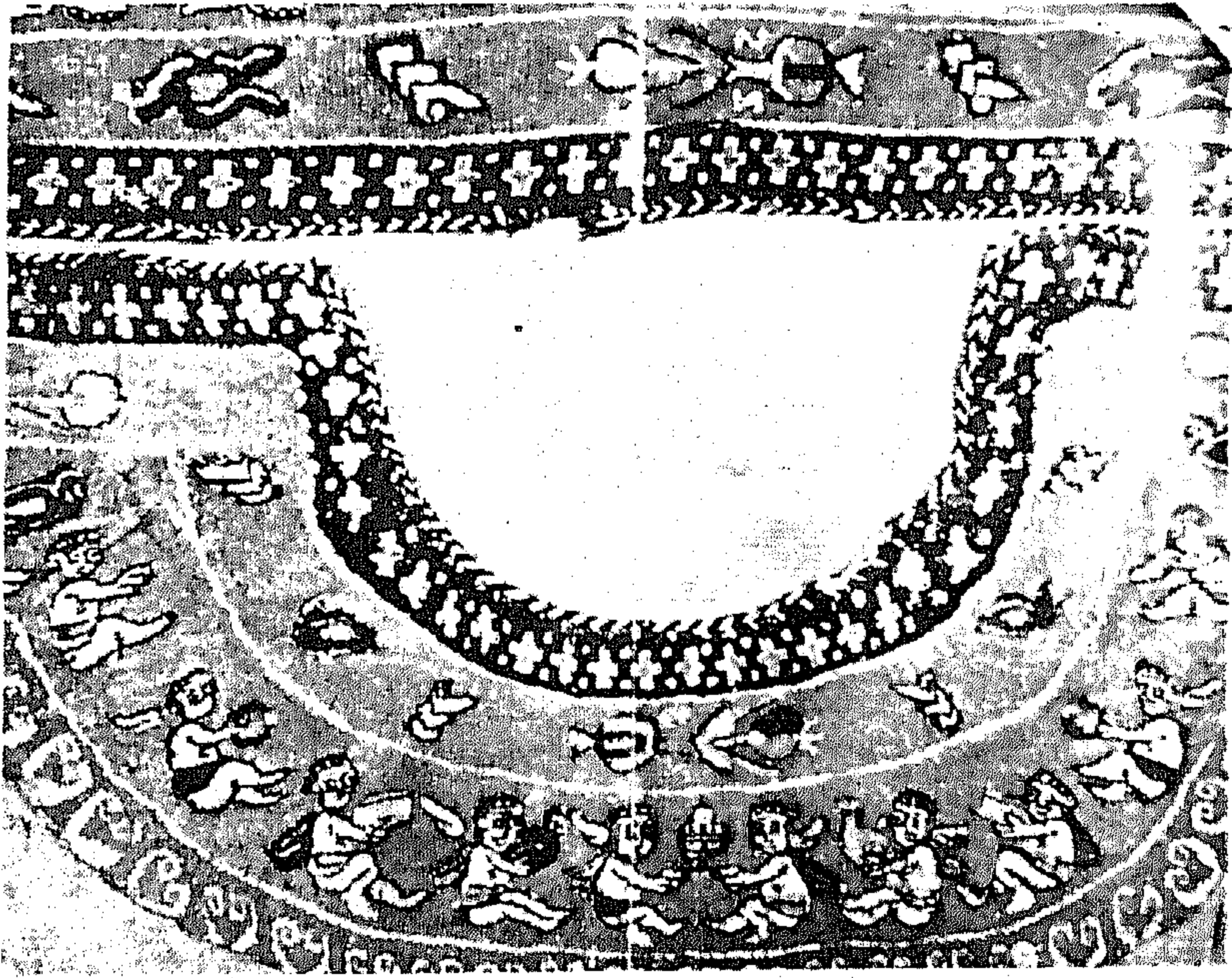
(شكل ١٢٣) قطعة نسيج مزخرف بزخارف حية محورة القرن السابع .

ويزداد تحوير شكل الطفل إيروس في زخارف جامه مستديرة يمكن إرجاعها إلى الفترة المتأخرة (شكل ١٢٤)، حيث نرى وحدات متكررة تصور إيروس مع عناصر نباتية وسلال تحوى فاكهة.



(شكل ١٢٤) قطعة نسيج مزخرف بوحدات إيروس [القرن السابع]

ولقد كانت هذه الشخصية الإغريقية محبة لدى النساخ القبطي، وأكثر من استخدامها بعد أن تجاهل معناها الأسطوري، ويتضح ذلك في إطار يزين ثوباً من الكتان (شكل ١٢٥) يظهر فيه مجموعة من هؤلاء الأطفال يسبحون في الماء، ويلاحظ الأسلوب القبطي الشعبي في العيون المتسعة.



(شكل ١٢٥) صدرية ثوب مزخرف بوحدات ابروس [القرن السابع]

ولقد تأثر النساخون الأقباط بالزخارف التي انتشرت في الفن الساساني، فشجرة الحياة التي ظهرت في المنسوجات القبطية هي تأثيرات ساسانية (شكل ١٢٦)، وفي بعض النماذج تخرج هذه التفريعات النباتية، من أوانٍ أو سلال (شكل ١٢٧)، فنرى في هذه القطعة الموجودة في «فينا» أن نبات العنب يحصر في فروعه طيوراً وأرانب. ومن التأثيرات الساسانية رسوم أشكال آدمية في مربع بوضع المواجهة (شكل ١٢٨)، كما أن زخارف الرؤوس الأدمية التي تظهر



(شكل ١٢٦) قطعة نسيج مزخرفة بشجرة يحيط بها شخصيات حية



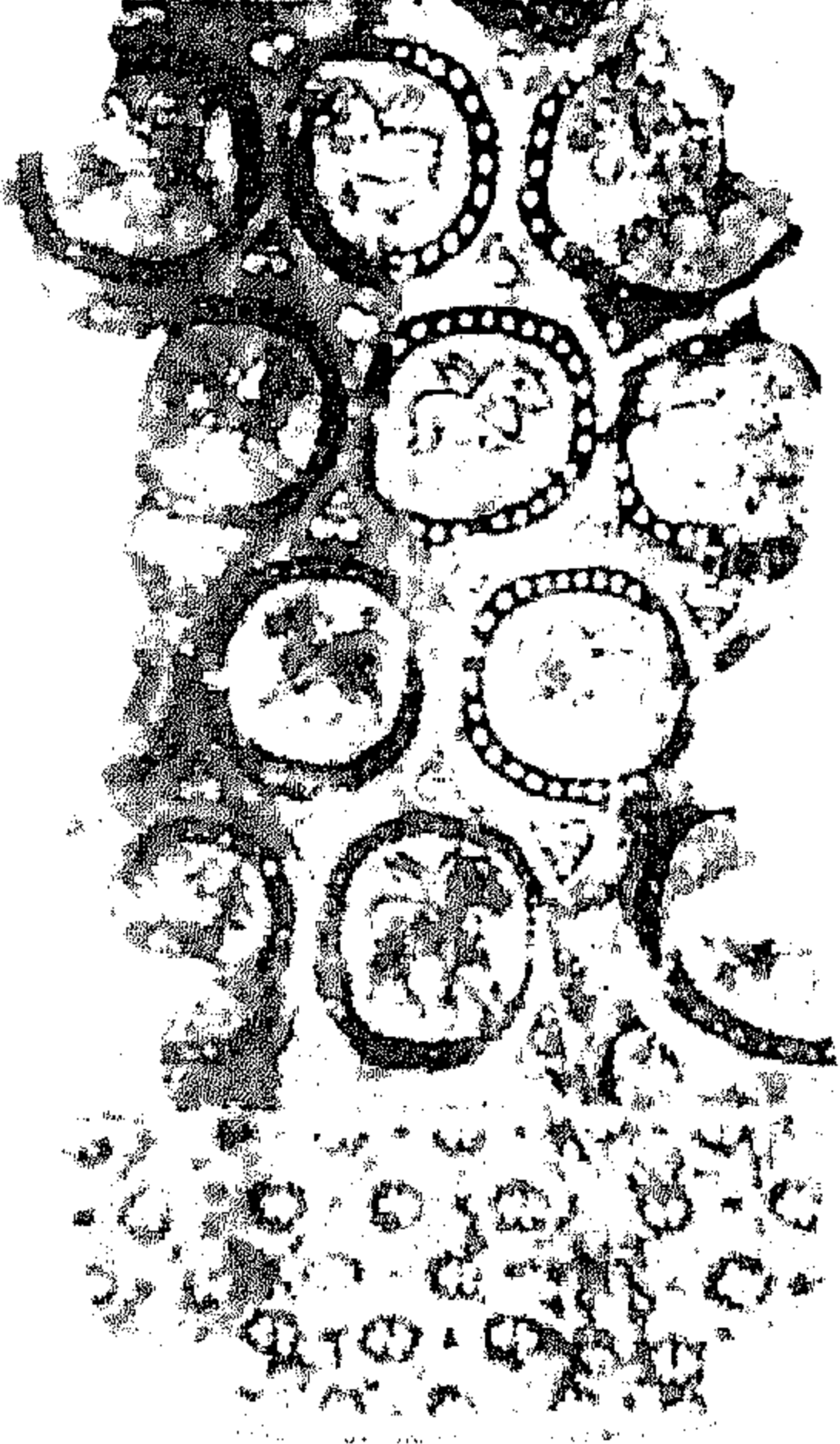
(شكل ١٢٧) قطعة نسيج مزخرفة بتفريعات نبات العنب يخرج من سلة [القرن السادس]

بدون رقاب عُرفت في الفن الساساني، وكذلك زخارف الخيول المجنحة التي وجدت في منسوجات مقابر مدينة الشيخ عباده، هي وحدات انتشرت في الفن الساساني، فنرى في زخارف ستارة، يمكن نسبتها إلى القرن السادس (شكل ١٢٩)، مجموعة من الجياد المجنحة داخل جامات مستديرة، تحيط بها زخارف بيضاء مستديرة، عُرفت باسم حبات اللؤلؤ، ذاعت في الفن الساساني.

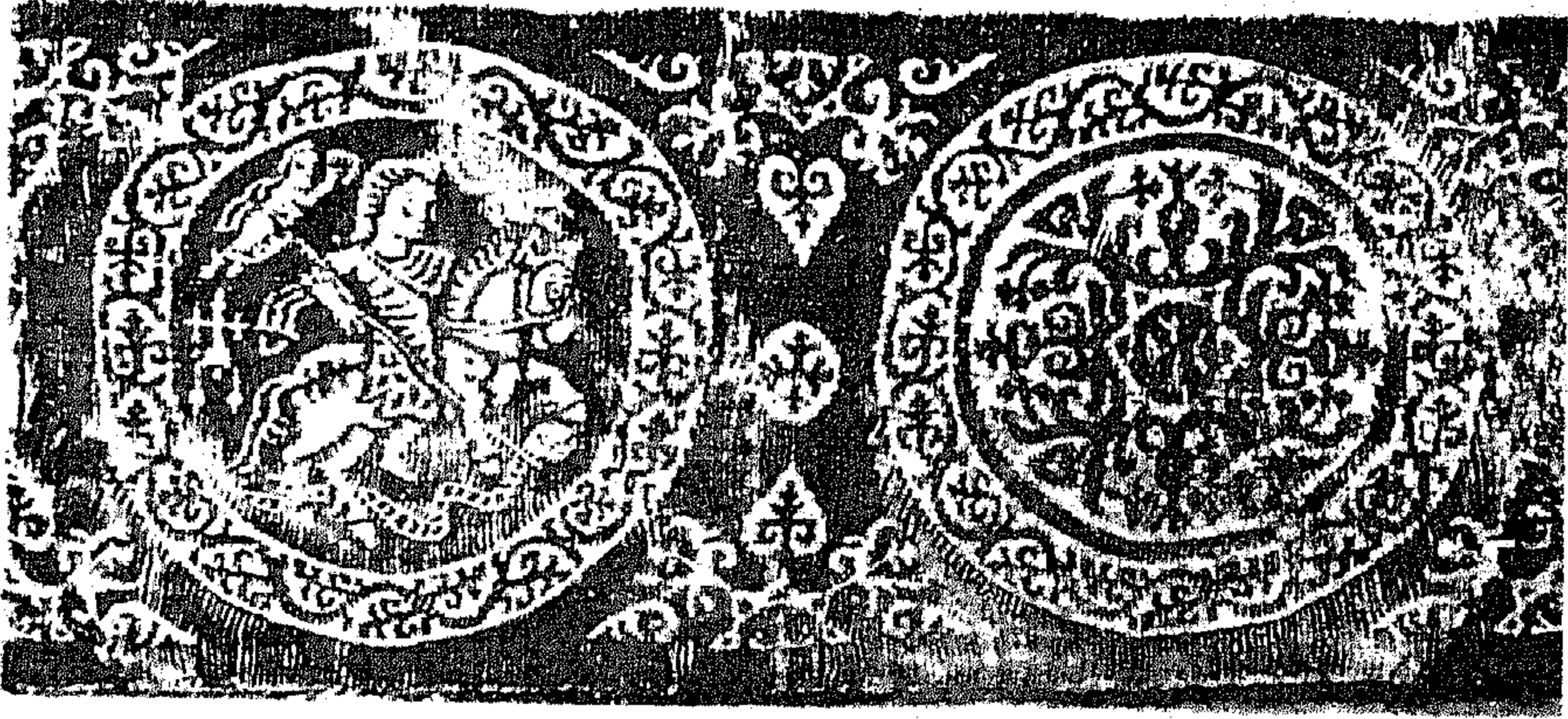


(شكل ١٢٨) قطعة نسيج مزخرفة بوحدة آدمية يتوسطها مربع
وحولها زخارف لرؤوس آدمية بدون أعناق [القرن السادس]

ومن الملاحظ أن الوحدات الزخرفية التي نقلها النساجون الأقباط عن الفنون الهيلينية الرومانية السابقة قد تغير مفهومها عندهم، فالفارس الذي شوهد بكثرة في منسوجات الفترات الأولى والثانية. وقد تحول إلى شخصية دينية في جامعة بمتحف برلين (شكل ١٣٠)، فنراه فارساً ممسكاً بحربة يصوبها على ثعبان، وبذلك تكون الوحدة تصور القديس «مار جرجس» منتصباً على إله الشر.



(شكل ١٢٩) قطعة نسيج مزخرفة بوحدة الحصان
المجنح



(شكل ١٣٠) قطعة نسيج مزخرفة بفارس ممسكا
حربه

وتظهر في زخارف الفتحة المتأخرة الرموز المسيحية، فيظهر الصليب داخل إحدى الجوامات التي تزخرف شريطاً به وحدات حية وآدمية (شكل ١٣١). ويظهر الصليب في تصميم مبتكر في مثال يوجد الآن بمتحف بروكلين



(شكل ١٣١) شريط من النسيج مزخرف بجامات تحصر وحدات حيه وصليب

(شكل ١٣٢)، فنرى الصليب وكأنه معلق بسلسلة يزخرف النسيج. وفكرة تعليق الرمز الدينى فى سلسلة تتدلى من عنق لابسها، عُرفت عند قدماء المصريين،



(شكل ١٣٢) ثوب مزخرف
بأشرطة أفقية ورأسية وسلسلة
يتدلى منها الصليب

فنرى فى تمثال أحد الكهنة (شكل ١٣٣)، علامة عنخ رمز الحياة عند قدماء المصريين تتدلى من عنقه.

ومن الملاحظ كثرة ظهور الشخصيات الأدمية المتعلبة فى زخارف الفترة الأخيرة، وبتحوير كبير، ويتضح ذلك فى زخرفة شريط (شكل ١٣٤)، منفذاً بطريقة القباطى، فنرى سيدة فى وضع التعبد رافعة يدها اليمنى، وتحمل طفلاً بيدها اليسرى، وتحيط برأسها هالة.



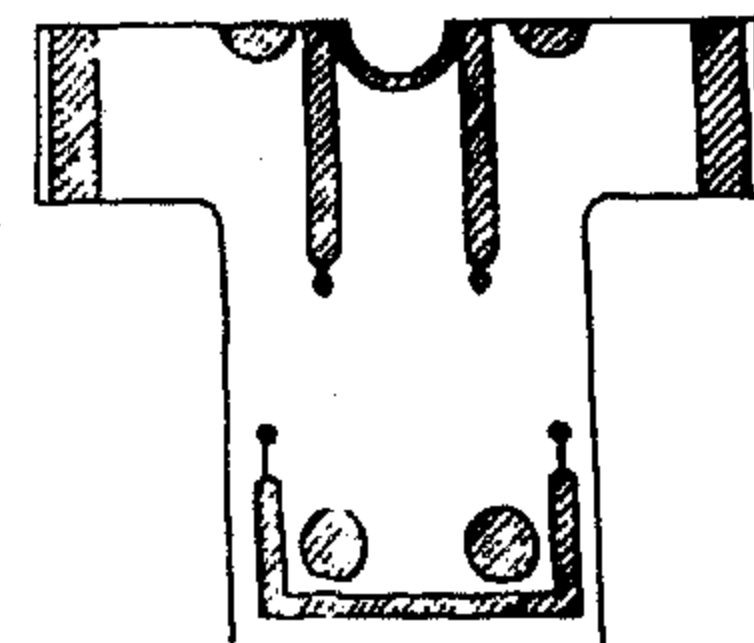
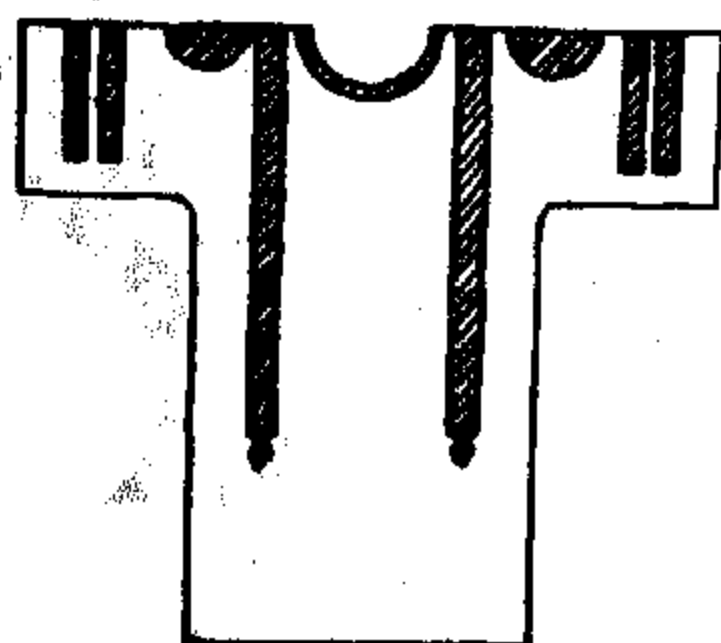
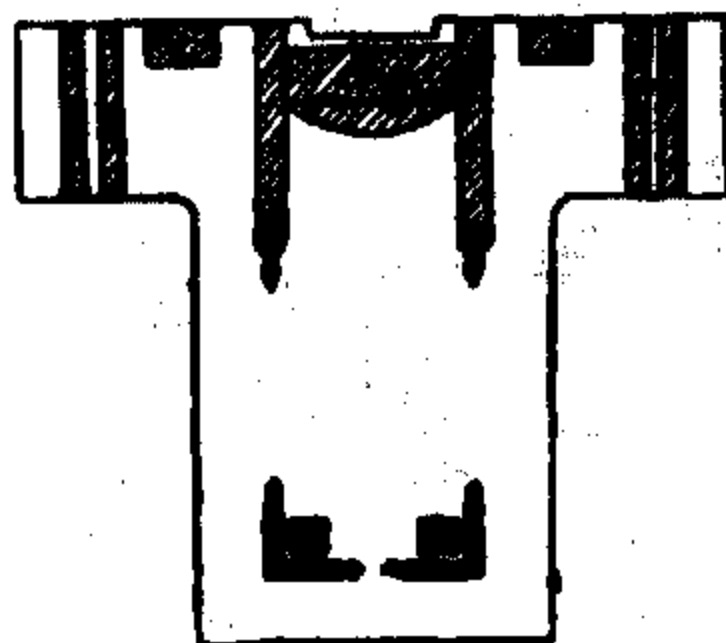
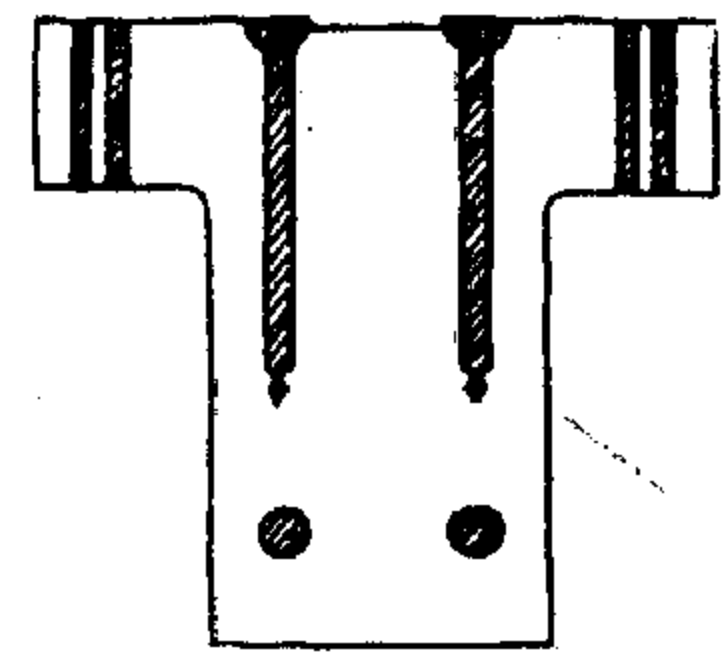
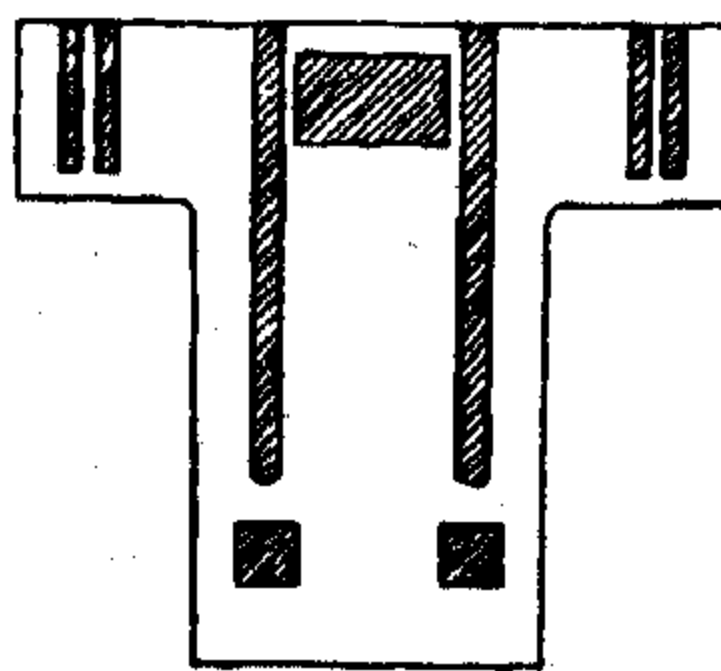
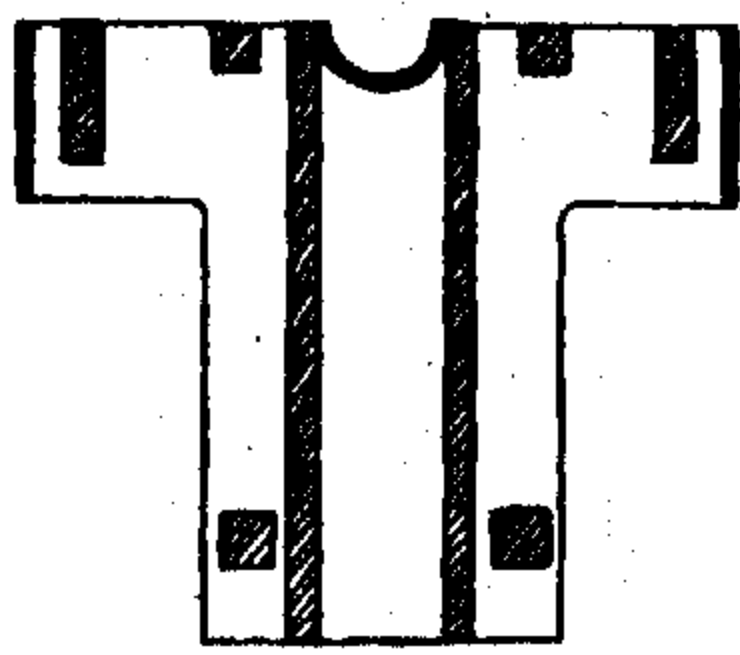
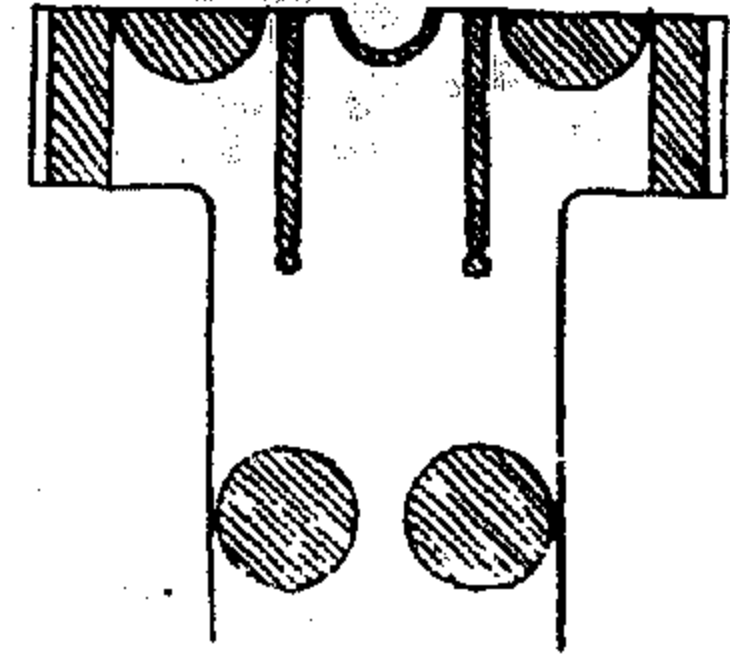
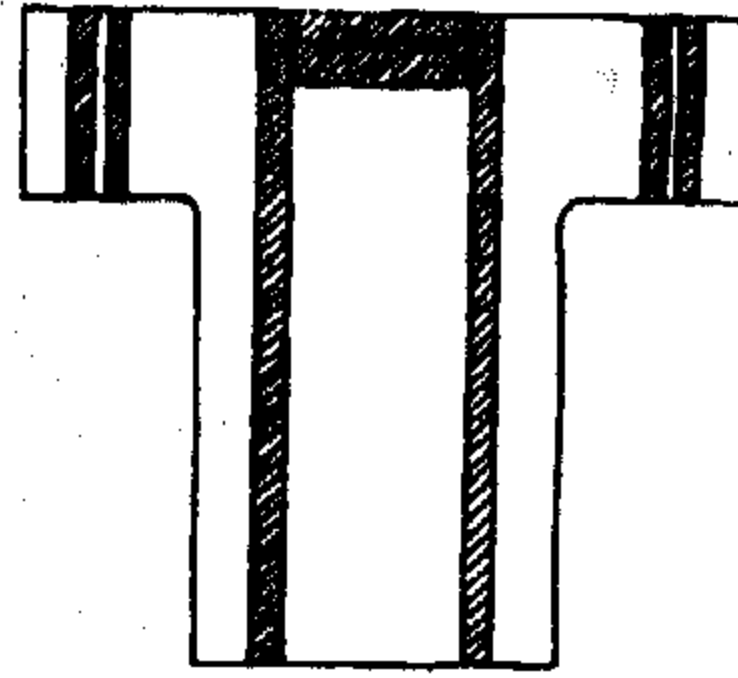
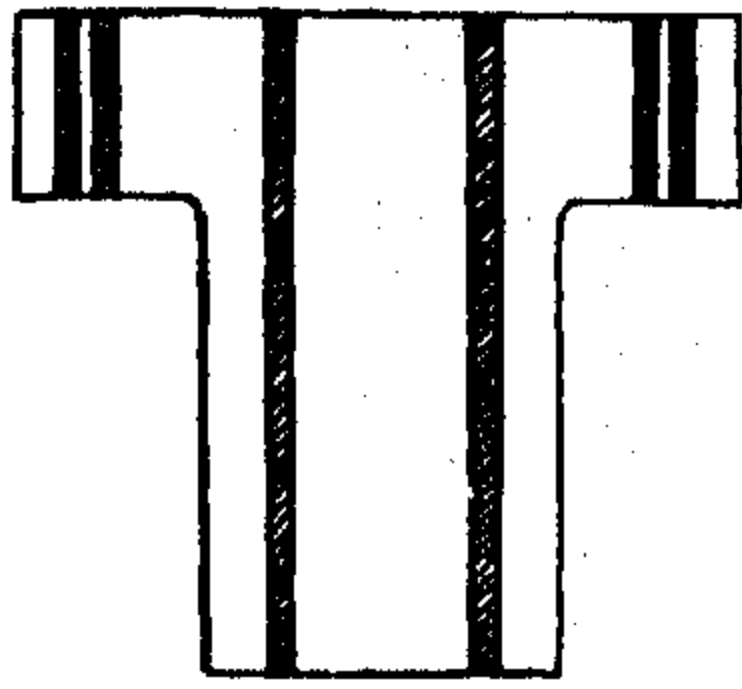
(شكل ١٣٣) تمثال من
الحجر لكاهن يرتدي سلسلة
يتدلى منها علامة عنخ

(شكل ١٣٤) شريط مزخرف
بوحدة سيدة متعبدة



وبالرغم من أن الفن القبطي أصبح له شخصية وطابع شعبي منذ القرن السادس الميلادي، فإن زخارف المنسوجات القبطية لم تتخل من العناصر المصرية القديمة، مثل المناظر النيلية، وعلامة عنخ (شكل ١٣٥)، ولقد استمر أسلوب زخرفة المنسوجات القبطية قائماً فترة بعد الفتح الإسلامي.

(شكل ١٣٥) قطعة نسيج مزخرفة بوحدة عنخ المصرية القديمة



الفصل الثالث

سوريا وفلسطين

الفن المسيحي

تمهيد تاريخي :

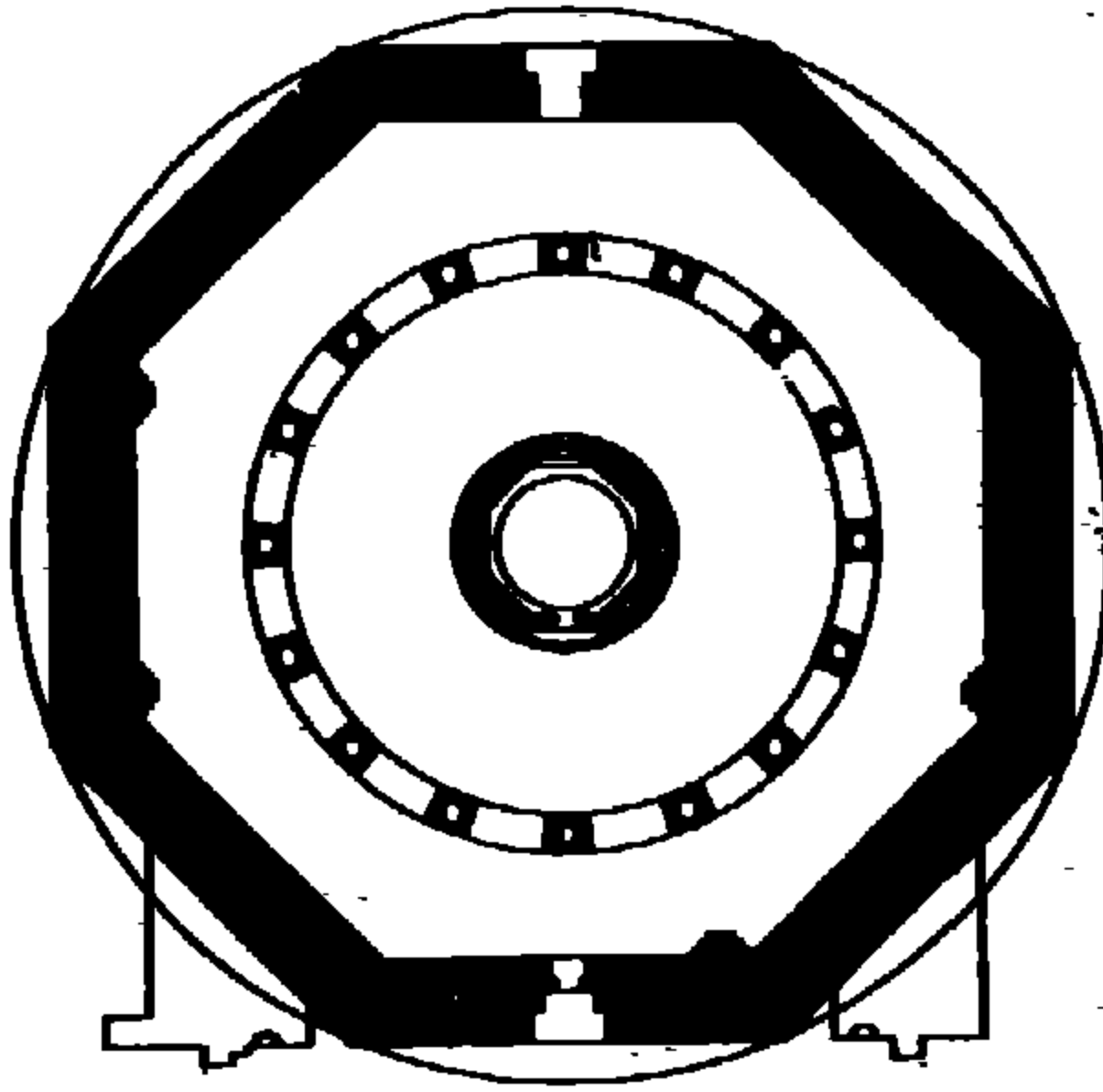
عندما ظهرت المسيحية في فلسطين في القرن الأول الميلادي في فترة حكم الرومان لمنطقة الشرق الأوسط ، كان لسوريا ومصر دور رئيسي في نشأة الحضارة والفنون المسيحية ، فكلية المسيحيين أو « أتباع المسيح » ظهرت في أول الأمر في مدينة أنطاكية في حوالي عام ٤٠ م ، كما أن أسس العقيدة المسيحية تأسست في المجالس المتخصصة في الإسكندرية .

ولم تقتصر مساهمة سوريا وفلسطين على تكوين المسيحية الأولى وإرساء قواعدها ، بل نجد أنها ساعدت أيضاً على نقل التأثيرات الفنية الموجودة في الشرق إلى الفن الروماني ، فبالرغم من أن مدينة تدمر دمرت في عام ٢٧٣ م في عهد الإمبراطور أورليان ، فإن تأثيرها الفني استمر ظهوره بعد ذلك التاريخ . كما ساهمت مدينة بعلبك التي كانت مركزاً للقوافل التجارية في نقل هذه التأثيرات . وكانت التصاوير الجدارية التي وجدت في مدينة دورا أوربا والتي ترجع إلى منتصف القرن الثالث هي النماذج الأولى التي اقتبس منها الفن المسيحي الشرقي .

ولقد بدأ انتشار المسيحية في أول الأمر بين التجار السوريين الذين يسكنون في المدن التي نشأت في العصر الهيلينستي . ولقد قاسى المسيحيون كثيراً في عهد الأباطرة المتزمطين ، إلا أنه من الجائز أن الحال تغير بعد انهزام زنوبيا ملكة تدمر عام ٢٧٢ وصار للمسيحيين في سوريا سلطة مطلقة .

العمارة :

باستثناء المبنى المسيحي الذي عثر عليه في دورا أوربا والذي يتوسطه فناء ، والمغطى جدرانه من الداخل بتصاوير جدارية ذات موضوعات دينية ، لم يعثر في سوريا على أثر للفن المسيحي قبل عصر قسطنطين . والظاهر أن هذه المنازل التي كان المسيحيون يجتمعون فيها اقتصر وجودها فقط على المدن الصغيرة ، وربما كانت المواد التي شيدت منها بدائية لذلك لم يعثر لها على أثر . ولقد استمدت الكنائس لأولى التي شيدت بشمال سوريا في القرن الرابع تصميمها من هذه المنازل ، حيث عثر على كنيسة في بلدة كركبزي يتوسطها فناء .



(رسم ز)
فيضاء من العصر الروماني المسيحي
لمدينة القدس (القرن السادس الميلادي)

نشطت حركة العمارة الدينية في سوريا وفلسطين في القرن الرابع بعد اعتناق قسطنطين للمسيحية ، وازداد حماس الإمبراطور بالعناية بالأماكن المقدسة ، فشيد كنيسة بازيليكية فوق الموقع الذي دفن فيه المسيح ، كما شيد فوق جبل الزيتون مبنى دينياً على هيئة دائرة داخل منح حول الصخرة الذي قيل إن المسيح قد صعد من فوقها إلى السماء (رسم ز) . كذلك شيد فوق مكان ولادة المسيح مبنى مثنياً ألحق به كنيسة بازيليكية (ش ١٢٧) كما أقام كنيسة بازيليكية في بعلبك . ولم يعثر حتى الآن على الكنيسة المثلثة التي قيل إنه شيدها في أنطاكية العاصمة السورية . وكان قسطنطين الثاني ٣٦١م يفضل الإقامة في هذه المدينة .

وفي خلال المائة عام التي تلت وفاة قسطنطين شيد عدد كبير من الكنائس

البازيليكية في شمال سوريا . ويظهر بواجهة هذه الكنائس السورية منذ القرن الخامس برجان على جانبي المدخل . ومن أحسن عمائر القرن الخامس قلعة السمان التي شيدت إحياء للقديس سيمون الذي توفي في عام ٤٥٩م في قرية حكم الإمبراطور « زينو » .

ويتضح من دراسة هذه العمارة (ش ١٢٨) أنها تتكون من مبنى مثنى يمتد منه أربعة أضلاع مشيدة على شكل بازيليكا . ويتكون من الجميع شكل الصليب . وتتميز قلعة السمان بفن عمارة متقدم في عمل العقود كما تعتبر من العمائر العظيمة التي شيدت في الشرق قبل كنيسة القديسة صوفيا بالقسطنطينية

والظاهر أن مدينة القدس كان مشيدا بها كنيسة عرفت باسم الروح المقدسة ، ويتضح ذلك من فسيفساء وجدت في مدينة مادابا بالأردن (ش ١٢٩) .

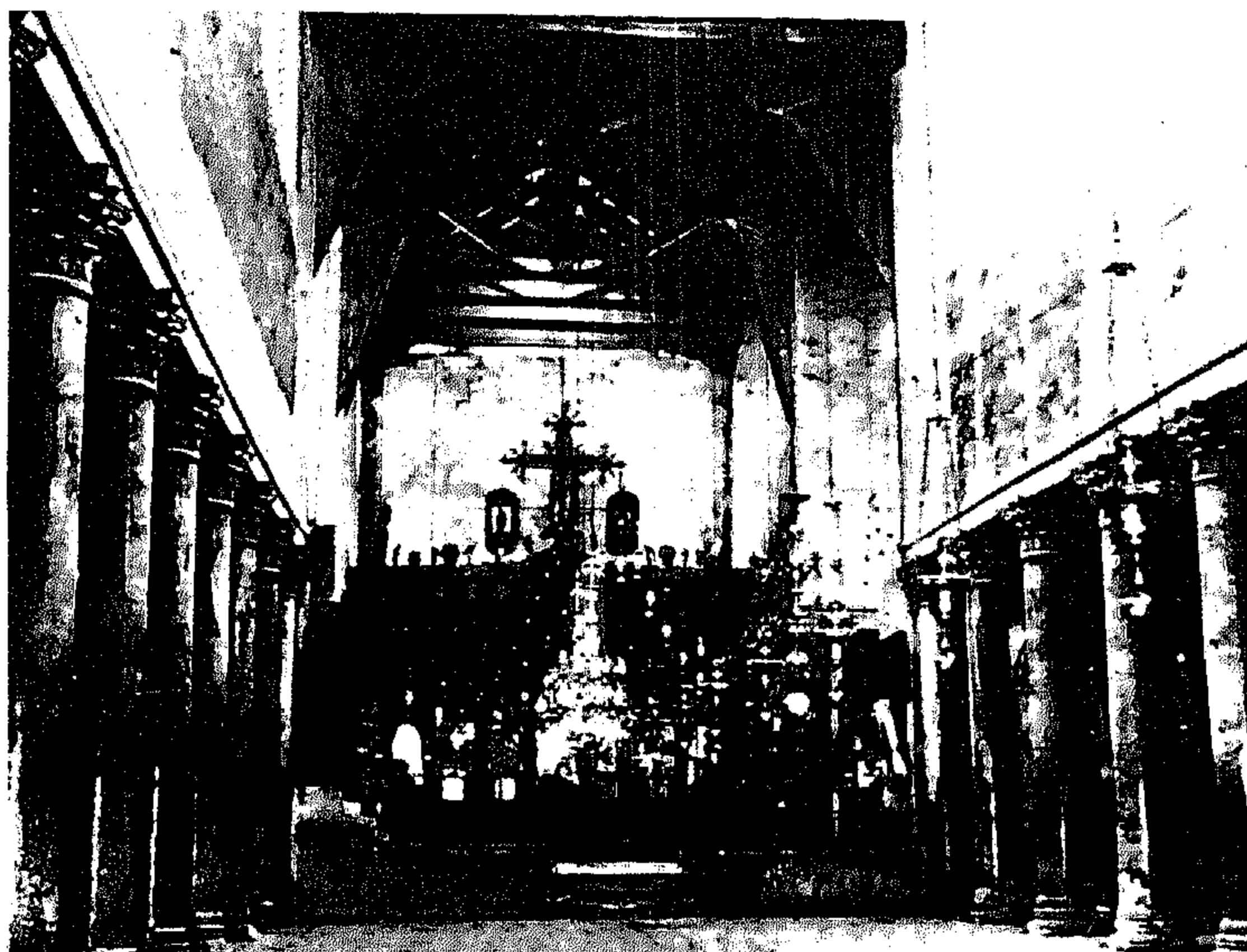
ويلاحظ أن الكنائس التي شيدت في سوريا بعد ذلك في القرن السادس كانت تقليداً للنماذج الحجرية الأولى . ويستثنى من ذلك المباني التي شيدت في قصرين وردان في حوالي عام ٥٦٤م ، حيث استخدم فيها الطوب بدلا من الحجر . ويذكرنا التصميم والطرارز والفخامة التي تتميز بها الزخارف بالمباني الإمبراطورية في بيزنطة .

كانت المباني التي شيدت في فلسطين في القرنين السادس والسابع مستوحاة من نماذج بيزنطية . ويتضح ذلك في كنيسة القديس سرجيوس التي شيدت في غزة في القرن السادس ، وفي كنيسة مدينة رصافة التي كان تصميمها مستمداً من الطراز البازيليكي وتعلوها قبة .

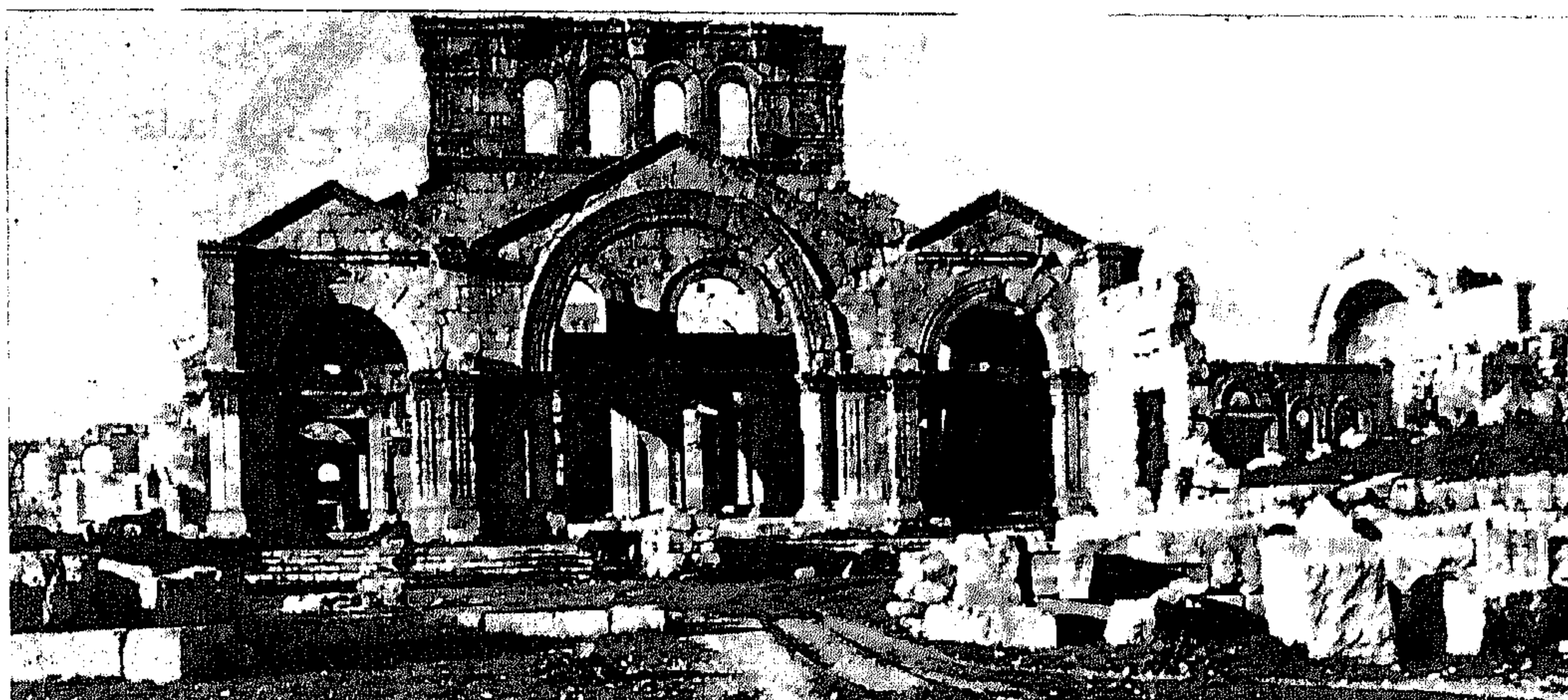
النحت على الحجر :

تظهر مهارة النحاتين السوريين بصفة خاصة في النقوش النباتية التي تزخرف المباني المسيحية . وتوجد هذه الزخارف المنسقة في إطارات رأسية أو أفقية تحيط بالأبواب . ونرى أمثلة منها في زخارف العقود في قلعة السمان . ويظهر تأثير الفن الروماني في تيجان أعمدة الكنائس ، ونلاحظ ذلك في تيجان أعمدة قلعة السمان المنقولة عن الطراز الكورنثي الروماني .

(شكل ١٢٧) كنيسة بازيلكة بيت المقدس .



(شكل ١٢٨) مبنى قلعة السمان بسوريا ويظهر من الصورة زواق البازيليك الجنوبية ، حوالى عام ٤٧٠ م .



(شكل ١٢٩) فسيفساء عثر عليها في مدينة ما دابا بالأردن .

(شكل ١٣٠) تصوير جدارى وجد في مدينة دورا أوروبا .

التصوير :

كان التصوير الجدارى حتى أوائل القرن الرابع الميلادى هو الوسيلة الوحيدة التى استخدمت فى زخرفة جدران المنازل والقصور ، ثم بدأ بعد ذلك استخدام الفسيفساء فى زخرفة الجدران . وترجع أهمية تصاوير مدينة دورا أوريا بالنسبة للفن المسيحى إلى أن ألوانها وطرزها وتصميماتها تأثر به العصر البيزنطى . وتشمل الصور التى وجدت فى منزل الجالية المسيحية على موضوعات من العهد القديم والإنجيل (ش ١٣٠) وتعتبر هذه أول محاولة يرسم فيها المسيح فى الفن المسيحى ، ويظهر المسيح مرسوماً فى وضع المواجهة . ويتضح من صور دورا أن الموضوعات الدينية وجدت فى الشرق قبل الغرب .

ولقد استخدمت الفسيفساء التصويرية على نطاق واسع فى سوريا وأحسن مجموعة عثر عليها فى أنطاكية كانت تغطى الأرضيات . وتتكون الزخارف من أزهار موزعة على الأرضية أو من وحدات لغزلان مجنحة أو أسود تحمل أكاليل ، ويتضح فى زخارف فسيفساء أنطاكية التأثير الساسانى الذى ظهر فى عصر جستنيان .

المخطوطات :

كانت المخطوطات الدينية التى صورت للإمبراطورية البيزنطية فى الغالب من إنتاج المراكز السورية . ومن أوائل هذه المخطوطات ، مخطوطان يرجعان إلى القرن الخامس ، الأول ينسب إلى مدينة سيون ومحفوظ بالمكتبة الأهلية ، والثانى ويعرف باسم إنجيل كوتون ويوجد حالياً بالمتحف البريطانى ، وتشغل الصور فى هاتين المخطوطتين الربع الأسفل من الصفحة . ويتميز الأشخاص المرسومة برأس كبير وجسم صغير غير متناسب . كما نلاحظ فى الأوجه نظرات شاخصة تذكرنا بالأسلوب السورى الذى ظهر فى تصاوير دورا فى عام الفترة (٢٣٠ - ٢٤٥) مما يدل على أنه استمر بعد ذلك لمدة قرنين .

ويتضح الطابع الهيلينستى الذى كان سائداً فى سوريا ، فى المخطوطات المليئة بالحركة والانفعالات . ويوضح ذلك صورة تمثل الصعود (ش ١٣١) وجدت

في مخطوطة مؤرخة عام ٥٨٦ عرفت باسم مخطوط رابولا^(١) . وتتميز هذه المخطوطة بأنها مكتوبة باللغة السورية وليست الإغريقية . ولقد نشر الأسلوب الواقعي الرهبان السوريون واتضح ملامحه في العاصمة أنطاكية على حين حافظت الإسكندرية على تقاليد الكلاسيكية .

ونلاحظ في رسم هذه المخطوطة أن الفنان قد تمكن من ربط الموضوع العلوي السماوي بالصورة السفلية الأرضية بواسطة الحوارين الذين ينظرون إلى أعلى ويشاورون .
الفنون الصغيرة :

العاج :

كانت صناعة العاج متقدمة في سوريا وفلسطين وفينيقيا منذ قديم الزمان وأحسن مثل لذلك عرش ملك دمشق الذي عثر عليه في أرسلان تاش . واشتهرت مدينتا أنطاكية والإسكندرية كأهم مراكز للأشغال العاجية في الإمبراطورية الرومانية المسيحية في القرن الخامس . واستخدمت الموضوعات الدينية في زخرفة العاج منذ أن أصبح الدين المسيحي دين الدولة الرسمي .

ومن أحسن الأمثلة المسيحية السورية قطعة منقوشة بموضوعين (ش ١٣٢) ، ولادة المسيح في أسفل والتقديس في أعلى ، ونلاحظ في تنفيذ هذه القطعة عدم اهتمام الفنان بالنسب الصحيحة للحجم حيث رسم الرأس بحجم كبير . وبما يميز هذا الطراز وضع المواجهة كما ترسم الأشخاص الأكثر أهمية بحجم أكبر . ولقد ظهرت هذه المميزات الشرقية في فن سوريا الهيلينستي التي ضعفت فيها السيطرة الإغريقية .

المعادن :

ظهرت على المعادن التي استخدمت في الكنيسة زخارف دينية ويتضح ذلك في قنينة من الفضة ترجع إلى القرن السادس (ش ١٣٣) ويلاحظ أن الزخارف

(١) تنسب هذه المخطوطة إلى راهب يدعى رابولا من بلاد النهرين . ويعتقد أنها كانت تخص كنيسة الصعود في القلنس .



(شكل ١٣٢) قطعة من العاج منقوشة بمناظر دينية .
سوريا . القرن السادس . المتحف البريطاني



(شكل ١٣٤) قطعة نسيج مزخرفة بمناظر صيد محفوظة
بكنيسة القديس سرفاتيوس بألمانيا



(شكل ١٣١) مخطوط رابولا . صورة توضح الصعود .
مكتبة لورنتين بفلورنس



(شكل ١٣٣) قنينة من الفضة منقوشة بموضوع ديني حاليا
في كاتدرائية مونزا بإيطاليا

المنقوشة تصور صعود النبي إلى الصلاة تحمله الملائكة . ويذكرنا أسلوب توزيع عناصر الموضوع برسوم مخطوط القديس رابولا (ش ١٣١) . وكان هذا النوع من الأواني يجلبه الحجاج المسيحيون من القدس ويضعون فيه الزيت المقدسة .

المنسوجات :

كانت صناعة النسيج من الصناعات المتقدمة في سوريا . ويظهر من القطع القليلة التي عثر عليها في تدمر وفي حلبية على نهر الفرات أنها كانت مصنوعة من الكتان ومزخرفة بالصوف أو بالحريز . وكانت زخارفها من النوع المنتشر في المنطقة كالموضوعات الدينية المحصورة في دوائر أو موضوعات الصيد (ش ١٣٤) . ولقد ظهر تأثير زخارف المنسوجات التدمرية في المنسوجات القبطية .

الفصل الرابع

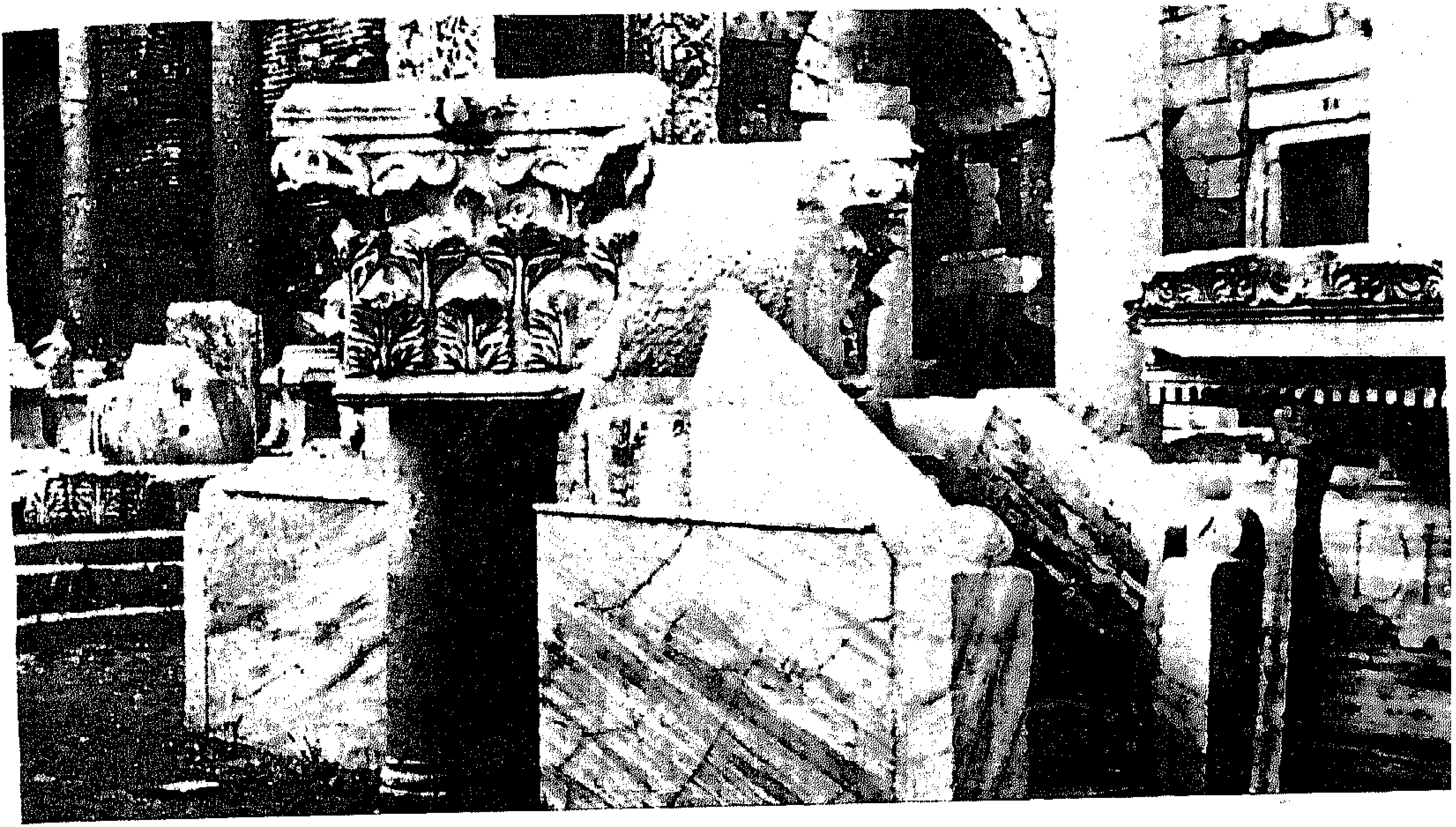
شمال أفريقيا

انتشرت المسيحية بطبيعة الحال في شمال أفريقيا في القرن الرابع بعد اعتراف الأباطرة الرومان بالدين المسيحي . واستمر الانتشار في الفترة التي احتلت فيها جيوش الفندال أجزاء من شمال أفريقيا ، ورجعت تبعية شمال أفريقيا للدولة البيزنطية بعد أن تمكن الإمبراطور جستنيان من طرد الفندال من شمال أفريقيا في عام ٥٣٤ .

العمارة :

تدل مخلفات العصر المسيحي أن الحكام البيزنطيين قاموا بتحويل مبنى البازيليكا الرومانية إلى كنائس ، كما شيدوا كنائس جديدة في بعض المراكز الإفريقية . ويتضح ذلك في المدن الطرابلسية وفي قرطاج . ويتضح من الآثار الباقية في مدينة لبد أن الإمبراطور جستنيان قد حول البازيليكا الملحقه بميدان سويروس إلى كنيسة مسيحية (ش ١٣٥) . وأضاف إليها الأجزاء اللازمة للكنيسة . كما شيدت كنيسة في مدينة صبراتة زخرفت أرضيتها بالفسيفساء الجميلة . ومن مخلفات العصر البيزنطي في قورينه (شحات) ، كنيسة كبيرة توجد خارج أسوار المدينة تزخرف أرضيات بها فسيفساء متنوعة الموضوعات . كما يوجد بالمدينة أيضاً تحصينات وأبراج .

وتشهد آثار مدن تونس والجزائر على وجود آثار من العصر البيزنطي ، حيث عثر على كنائس في المراكز المهمة أجملها ما يوجد في تبسه وتيمقاد وقرطاج . ويتضح من تيجان أعمدة هذه الكنائس أن المعمارين قد أدخلوا عليها الأساليب البيزنطية ويتضح ذلك في تاج عمود عثر عليه في قرطاج (ش ١٣٦) .



(شكل ١٣٥) بازليكاً مدينة لبدە . بعد أن تحولت إلى كنيسة . ليبيا .



(شكل ١٣٦) تاج عمود مزخرف بأسلوب بيزنطى
عثر عليه فى قرطاج



(شكل ١٣٧) فسيفساء عثر عليها فى قرطاج مقر رسيده

التصوير :

كان للفن المسيحي في أفريقيا فضل كبير في إنتاج أكبر مجموعة من الفسيفساء الحائطية ، ولقد وجدت هذه الفسيفساء في الكنائس والمباني الدنيوية، ومن أحسن هذه المجموعات ما عثر عليه في تونس .

ونلاحظ في زخارف فسيفساء العصر البيزنطي ، أن الدين المسيحي قد منع استخدام المواضيع الوثنية التي كانت منتشرة في العصر الإغريقي الروماني ، وشجع على انتشار موضوعات مستمدة من الكتب المقدسة أو من تاريخ الأمم .

ومن أجمل هذه الأمثلة المسيحية لوحة عثر عليها في قرطاج (ش ١٣٧) تصور السيدة في وضع نصفي يحيط برأسها هالة ويزخرف رأسها تاج . ونلاحظ في هذه الصورة السيدة قد رفعت يدها اليمنى مع مد أصابع الوسطى والسبابة على غرار مانراه .
سور الرهبان المسيحيين الذين يمنحون البركة .

الباب الثالث

إيران

تمهيد تاريخي :

كان إخضاع الإسكندر الأكبر للإمبراطورية الفارسية التي أسسها كورش في الشرق ، فاجعة كبيرة أصابت إيران التي حمل حكامها الأكمنيين لمدة قرنين لقب ملك الملوك . وانتقل اللقب والإمبراطورية إلى البطل المقدوني بعد هزمته لدارا الثالث . وبعد أن جلس الإسكندر على عرش دارا في مدينة سوسا العاصمة الفارسية في عام ٣٢٤ ق . م . ، شجع على إدماج الثقافة والعادات الفارسية بالروح الهيلينية ، فتزوج من ابنة دارا وشجع قواده على التزاوج المتبادل ، وتقرب إلى الفرس بتعيين أمراءهم في خدمته كما اعترف بالديانة الفارسية .

وبعد موت الإسكندر وقعت إيران من نصيب الدولة السلوقية التي تأسست في سوريا وبلاد النهرين ، وكانت هذه بداية لمرحلة من الاضطرابات سادت البلاد لفترة . فبعد أن زال نفوذ السلوقيين صار حكم إيران في يد شعب أصله من بدو السيث ، إلا أن إيران سرعان ما تمكنت من العثور على زعماء جدد تمكنوا من التحرر من سيطرة الغرب الهيليني ، فاستعادت البلاد مرة ثانية استقلالها بفضل زعامة الملوك الفرثيين الذين يحكمون في ولاية « فارثيا » الفارسية التي تقع جنوب غرب بحر قزوين . ويرجع أصل الحكام الجدد إلى الجنس الهندو أوروبي الذي هاجر إلى إيران في أواخر القرن الحادي عشر ق . م . لذلك نجد أنهم يزعمون نسبهم إلى ملوك الفرس الأكمنيين . ولقد ظهر الفرثيون في القرن الثالث قبل الميلاد في شمال إيران ، وانهزم مؤسس الأسرة « أرشاق » الحروب التي كانت قائمة باستمرار بين السلوقيين والبطالسة وأعلن استقلاله . وعظم نفوذ الفرثيين بالتدريج إلى أن تمكن أرشاق من طرد السلوقيين من إيران في عام ٢٥٠ ق . م . وأسس أسرة حاكمة عاصمتها أكياتانا .

وبعد استيلاء الرومان على ممتلكات العهد الهيليني الشرقية بدأت سلسلة من المناوشات بينهم وبين القرثيين . وقد سببت هذه الحروب المتتالية انحلال الدولة مما ساعد أردشير الساساني على الإطاحة بحكم الدولة القرثية وتكوين الدولة الساسانية في عام ٢٣٨ م . واستمر حكم الساسان لإيران حتى الفتح الإسلامي الذي بدأ في عام ٦٤٢ م .

الفصل الأول

الدولة الفرتية — الفن الفرتي

تمهيد تاريخي :

كون الملك أرشاق أسرة حاكمة في إيران في عام ٢٥٠ ق . م . وكان أسماء أغلب ملوك الأسرة أفرهاط أو أرتبان أو متريدات ، وكانوا في حروب مستمرة مع السلوقيين ، وتمكنوا في عصر متريدات الأول (١٧٠ - ١٣٨ ق . م .) من فتح بلاد النهرين في عام ١٣٩ ق . م . وطردوا أنطيوخس السابع من بابل وميديا . وبذلك تمت لهم السيطرة على بلاد النهرين . واتخذ الفرتيون سلوقية عاصمة لهم في الشتاء ، واتسعت المدينة في عهدهم من الجانب الأيسر لنهر دجلة وعرف هذا الجزء بعد ذلك باسم « طيسفون » ، وصار ملوكهم يحكمون إيران والعراق . واستمرت حروبهم ضد السلوقيين . ولما استولى الرومان على سوريا بعد اتساع الإمبراطورية الرومانية بدأت سلسلة من المناوشات بين الرومان والفرتيين . إلا أن الجيش الفرتي القوي تمكن من الانتصار على الرومان في معركة حران ٥٣ ق . م . في عهد يوليوس قيصر . وفي القرن الأول الميلادي كان الجزء الغربي من منطقة الشرق الأوسط جزءاً من الإمبراطورية الرومانية . أما العراق وإيران فكانتا تحت حكم الأسرة الفرتية .

استمرت الحروب بينهما سجلاً من عام ١٦١ م حتى ٢١٧ م ، وتمكنت الإمبراطورية الرومانية من الاستيلاء على ممتلكات الفرتيين في الغرب ووصلوا إلى طيسفون . وقد أدت هذه الحروب إلى ضعف الدولة ، كما قامت منازعات مستمرة بين الأمراء الفرتيين مما شجع أردشير الساساني على الثورة على أرتبان الخامس والقضاء عليه عام ٢٢٦ م وكون الدولة الساسانية .

نشأت في عهد الفرتيين مدن في الصحراء السورية والعراقية استخدمت كمراكز للقوافل التجارية العربية أشهرها البتراء والحضر . وكانت مدينة الحضر العربية الواقعة

في الصحراء العراقية بين دجلة والفرات من أشهر المدن العراقية في زمن الفرثيين ، وذلك لوقوعها بين القوتين المتحاربتين الفرس من الشرق والرومان من الغرب . وكان يحكم هذه المدينة والمنطقة المحيطة بها سلالة عربية منذ القرن الأول للميلاد واستمر سلطانهم حتى منتصف القرن الثالث واشتهر من ملوكها نصر ورئيس الكهنة وابنه سنطرق الأول . ويرجح أنه كان معاصراً للملك الفرثي أولغاش الأول (٥١ - ٧٧ م) ولقب الملك سنطرق الثاني بملك العرب وانتهى شأن هذه المدينة بعد أن غزاها الملك شاهبور الأول الساساني في عام ٢٥٠ م .

يعتبر فن الفرثيين فترة انتقال بين الفن الفارسي الأكميني الذي زال بالغزو الإغريقي المقدوني والساساني القومي الذي يظهر في إيران بعد ذلك ويستمر حتى الفتح الإسلامي . ولقد ساعد على تغلغل تقاليد الثقافة الهيلينية وفنونها انتشار الجاليات الإغريقية في إيران حين كانت في حوزة الإسكندر وخلفائه السلوقيين . ونلاحظ أن الأسلوب الهيليني قد بسط نفوذه على الآثار التي ظهرت في هذه الحقبة .

لا يظهر طابع فن الفرثيين إلا بعد أن تمكنوا من طرد السلوقيين من العراق في عهد متريدات الأولى ، حيث يأخذ الطابع الفني الفرثي في الظهور في الآثار المختلفة . إلا أنه للأسف لم يبق من الفن الفرثي آثار تذكر يمكن نسبتها إلى العائلة الحاكمة ، لأن الآثار التي عثر عليها هي من عمل الشعوب المختلفة التي خضعت لحكمهم .

العمارة :

آمن الفرثيون بعبادة النور والظلام مثل أجدادهم الإكمينيين . وشيدوا للنار هياكل حجرية عثر على نماذج منها في برسيبوليس ونورآباد بولاية فارس . ويتضح في طرازها المعماري النمط المتبع في تشييد هياكل النار الحجرية في عصر الأكمينيين .

وباستثناء هذه الهياكل الحجرية لم يعثر في إيران على آثار معمارية تذكر من العهد الفرثي ، وتنحصر معظم الآثار التي تساعد على دراسة طراز المعمار الفرثي في خارج حدود إيران في الأجزاء القريبة من الإمبراطورية ، حيث عثر على آثار ترجع إلى ذلك العهد

في مدن «الوركاء وأشور والحضر» (١) وفي مدينة كوهي خفاجا في إقليم سيستان بالعراق . وقد شيدت هذه المباني بعدما تمكن الفرثيون من طرد السلوقيين من بلاد النهرين .

يتضح من دراسة آثار مدينة الحضر ، أن الفرثيين قد ابتكروا تصميماً جديداً للمدن - فخططوا هذه المدينة على هيئة دائرة يحيط بها سوران ، وبكل سور منهما أربعة أبواب كبيرة كما حصن السور الداخلى بأبراج ، وكان الآجر واللبن هي الخامة المستخدمة في عمليات البناء . ويدل الطراز المعماري لمباني هذه المدينة على امتزاج الفنون العراقية القديمة ببعض التأثيرات الهيلينية الإغريقية الرومانية وبعض الفنون الفارسية .

ويتوسط مدينة الحضر المعبد الرئيسي الكبير الذي شيد للإله شماش (مرن) إله الشمس (ش ١٣٨) وبجانبه معابد للآله أخرى . ويظهر بمعبد مرن كبير آلهة الحضر التأثير الهيلينستي . وتدل كثرة المعابد على ثراء أهل المدينة وعلى اندماج المعتقدات الشرقية والهيلينية

وجد كذلك بالمدينة آثار قصر وقبور ملوكها . ويختلف تخطيط القصر عن العهد الأكمني ، كما اختفى استعمال الأعمدة في حمل السقف ، فاستبدل السقف الأقي بسقف مقبي ، وهذا وجد أيضاً في آثار آشور ، وتعرف هذه القاعات باسم الإيوان . ويظهر في مباني الحضر العقود والأعمدة المتصلة بالجدران . وقد استمر ظهور فن العمارة الفرثية في أسلوب العمارة الساسانية فيما بعد .

اهتم أهل الحضر بزخرفة سطح جدرانهم بزخارف من ملاط به جص ، وتشكل هذه الزخارف على جدران قصر مدينة الحضر على هيئة وجوه آدمية (ش ١٣٩) ، أو تشكل على هيئة زخارف هندسية كالتي عثر عليها في مباني كوهي خفاجا (ش ١٤٠) . وهذا الأسلوب جديد على الفن الإيراني ، كما أن عمل زخارف على هيئة رؤوس آدمية هو ابتكار ظهر في العصر الفرثي

(١) تقع مدينة الحضر حالياً داخل الجمهورية العراقية على بعد خمسين ميلاً غرب الموصل .

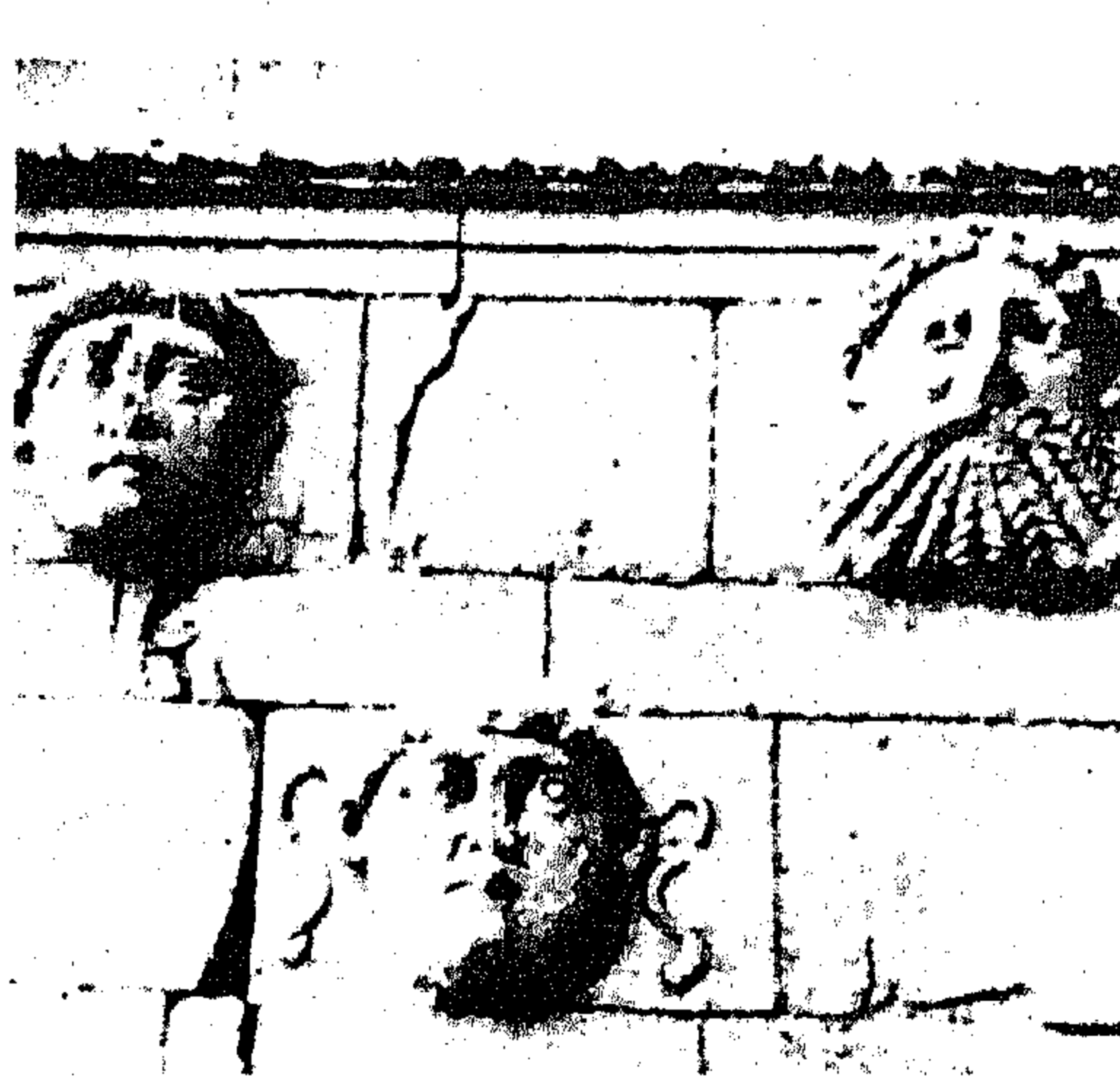


(شكل ١٣٨) معبد شاماش (مرن) كبير آلهة
الحضر. القرن الأول أو الثاني الميلادى

(شكل ١٤٠) زخارف جدارية بارزة على هيئة أشكال
هندسية وجدت في قصر بمدينة كوهى خافاجا. القرن الأول



(شكل ١٣٩) الجدار الخارجى لقصر مدينة الحضر وتظهر به
زخارف بارزة لوجه آدمية القرن الثاني. حالياً العراق



النحت :

لم يعثر للفنان الفرثي في إيران على إنتاج كبير في نحت تماثيل آدمية . وتعكس التماثيل التي تنسب إلى تلك الفترة صور الأجناس المختلفة التي كانت تحت حكم إيران في العصر الفرثي . ومن أحسن الأمثلة تمثال من البرونز عثر عليه في معبد في مدينة شامي بولاية بختياري (ش ١٤١) يرجع إلى القرن الثاني الميلادي ربما يمثل حاكم المدينة ، ويوضح هذا التمثال شكل الزى الفرثي . وتدل صناعة التمثال على مهارة فنية في دراسة الجسد البشري وفي إظهار ثنيات الزى .

ومن التماثيل التي عثر عليها خارج حدود الدولة ، تماثيل بالحجم الطبيعي عثر عليها في مدينة الحضر ، تمثل الحكام والآلهة ونساء ورجال الحضرة البارزين . ويظهر في تمثال الملك أوتال (ش ١٤٢) اهتمام الفنان بتسجيل تفاصيل الزى الدقيقة ، كما يصور الملك رافعاً كف يده اليمنى علامة الطاعة للإله .

النحت على الأحجار :

سجل الفنان الفرثي على الصخور الموجودة في إيران نقوشاً تصور مواضيع المثوى أمام الآلهة والانتصارات التي أحرزها ضد الأعداء ، كما سجل مناظر الصيد والتنصص هوية الملوك الفرثيين ، إلا أن هذه النقوش لم تتميز بدقة أو عناية . ويتضح ذلك من النقوش التي عثر عليها على صخرة في جهة « تانجي سرواك » (ش ١٤٣) حيث نلاحظ أن نسب الأشخاص غير دقيقة في الموضوع الديني المسجل في الصف الأعلى وفي موضوع الصيد المسجل في الصف الأسفل . مما يدل على ضعف الفنان في هذا النوع من الفن بصفة خاصة .

التصوير الجداري :

استخدم الفرثيون التماثيل الجدارية الملونة في زخرفة جدران القاعات الداخلية . وعثر في مدينة « كوهي خفاجا » على قصر مزخرف أحد جدرانه بصورة الملك وملكة



(شكل ١٤٢) تمثال أوتال أحد ملوك الحضرة ، نقش اسمه على القاعدة . القرن الثاني الميلادي . حالياً بمتحف مدينة الموصل



(شكل ١٤١) أمير فرثي ، تمثال من البرونز عثر عليه في معبد مدينة شامي . القرن الثاني الميلادي ، متحف طهران

(شكل ١٤٣) صخرة بجهة تانجي سرواك بإقليم خرزستان وبها نقوش بارزة في صفين بموضوعات تدور حول أمير المقاطعة الذي يظهر بحجم أكبر في الجهة اليسرى أواخر القرن الثاني الميلادي



يتوسطان بعض أفراد من الحاشية (ش ١٤٤). وصورة لثلاث الهة على هيئة آدميين على جدار آخر. إلا أن هذه الجدران قد تداعت للأسف حالياً. ويمكن معرفة طراز هذه التصاوير ، من الصور الجدارية التي رسمت في مباني مدينة دورا أوربا . بعد أن أخذها الفرثيون من السلوقيين حيث عثر على مشاهد مختلفة على جدران معبد شيد في القرن الأول بعد الميلاد يمكن نسبته إلى تلك الفترة . ومن أهم هذه التصاوير الموضوع الذي يصور احتفالاً دينياً ، (٤١) فنرى راهبين يرتديان زياً أبيض اللون يقومان ببعض الطقوس الدينية ويقف معهما شخص ثالث ويلاحظ في رسم الأشخاص وضع المواجهة الذي يتميز به الأسلوب الفرثي .



(شكل ١٤٤) تصوير جداري عثر عليه بمدينة كوهي خافاجا
القرن الأول ق . م .

الفصل الثاني

الدولة الساسانية — الفن الساساني

تمهيد تاريخي :

تكون نظام شبه إقطاعي في إيران بعد ضعف الدولة الحاکمة الفرثية ، وكان يحكم هذه الولايات أمراء من إيران يؤكدون نسبتهم إلى الأسرة الأكمينية . ثم تمكن « أردشير بن بابك بن ساسان »^(١) أمير مقاطعة فارس من ضم الأمراء الفرس إليه وحارب « أرتبان الخامس » وقضى عليه عام ٢٢٦ م . وأسس أردشير (٢٢٦ - ٢٤١ م) دولة فارسية ساسانية ورثت جميع ممتلكات الدولة الفرثية في إيران والعراق ، وجعل طيسفون العاصمة الشتوية للدولة الساسانية .

وقامت بين أردشير وبين الرومان مناقشات كثيرة استمرت في عهد ابنه شابور الأول (٢٤١ - ٢٧٢ م) الذي حارب الرومان في بلاد الشام ، وتمكن من تكوين إمبراطورية كبيرة بعد أن هزم الإمبراطور الروماني فاليريان في موقعة إيداسا في سنة ٢٦٠ م . ودخل أنطاكية وغنم منها غنائم كثيرة ، وقد اهتم شاهبور بتسجيل هذا الانتصار على الجبال في إيران . إلا أنه انهزم أمام أذينة ملك تدمر في عام ٢٦٥ م . وكان عهده ذهبياً ازدهرت فيه العلوم والأدب وظهر في تلك الفترة ماني صاحب المذهب الديني المانوي الإيراني .

توالى على حكم الدولة الساسانية عدد من الملوك الضعاف إلى أن تولى الحكم شاهبور الثاني (٣١٠ - ٣٧٩ م) ، فحارب الإمبراطور قسطنطين وانتصر عليه وكانت المسيحية قد صارت دين الدولة الرسمي في تلك الفترة ولقد صار سلطان الدولة الساسانية قوياً في منطقة الشرق الأوسط بعدما امتدت أطراف الإمبراطورية مرة ثانية في حكم شاهبور الثاني .

(١) أخذ ملوك الساسان اسمهم من جدهم ساسان الذي كان يشغل وظيفة رئيس معبد الآلهة أناهيتا في إحدى الولايات الإيرانية في عهد ملوك أسرة الفرثيين .

قويت شوكة القبائل العربية التي وجدت في الشام في تلك الفترة وأشهرهم الغساسنة الذين انتشروا في وادي حوران جنوبي دمشق . وازدادت قوة الغساسنة وانتشر الدين المسيحي بينهم وساعدوا الدولة البيزنطية في حروبها مع الساسانيين . واشتهرت في الحيرة دولة المناذرة اللخمية ، وتقع مدينة الحيرة في العراق على نهر الفرات بالقرب من الكوفة . وكان ملوك الحيرة في صف الساسانيين يحاربون الغساسنة والبيزنطيين .

جدد الملك كسرى الأول (أنوشروان) (٥٣١ - ٥٧٩ م) بناء مدينة طيسفون (طاق كسرى) سنة ٥٤٠ م ، وفتح أنطاكية ، كما وسع الملك كسرى الثاني (أبرويز) (٥٩٠ - ٦٢٨ م) ممتلكات الدولة ، ففتح مصر واستولى على جزء من آسيا الصغرى وحاصر القسطنطينية مركز حكم الإمبراطورية البيزنطية . ولقد أرسل له النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم رسولا يطلب منه الدخول في الدين الجديد . إلا أن كسرى الذي غررت به الانتصارات رفض ولم يستمر في الحكم طويلا ، حيث قتله الملك البيزنطي هرقل الذي تمكن من محاصرة طيسفون بعد أن طرد الجيش الساساني من مصر وآسيا الصغرى .

ولم يتمكن الملك يزدجرد الثالث (٦٣٢ - ٦٥١ م) من الوقوف في وجه الجيوش العربية المتقدمة التي دخلت طيسفون بعد أن استولت على سوريا والعراق . واستغرق الفتح الإسلامي الفترة من عام ٦٤٢ م التي انتصر فيها الجيش العربي في موقعة النهوند إلى عام ٦٥١ م التي قتل فيها الملك يزدجرد . وبذلك انتهى الحكم الساساني وبدأ العصر الإسلامي في بلاد الشرق الأوسط .

كان سقوط أسرة إرشاق وإحلال الساسانيين محلهم في إيران بداية لعصر جديد ازدهرت فيه مختلف الفنون الإيرانية . وليس من شك في أن حضارة الساسانيين في إيران والعراق هي امتداد للحضارات السابقة ولا سيما الفارسية . وورث الساسانيون كثيراً من التقاليد الفارسية كما استمروا في اعتناق المعتقدات الدينية المعروفة في إيران .

العمارة :

حاكى الساسانيون أسلافهم الفارسيين في كثير من الفنون المعمارية وظهر ذلك

بصفة خاصة فى تصميم المدن وفى القصور . فاقتبس مؤسس الدولة أردشير فكرة تخطيط المدينة المستديرة التى وجدها فى الحضر عندما شيد مدينة مستديرة فى فيروز آباد ، كما نقل عن أسلافه فكرة القصر المستطيل .

وشيد سقف القاعة الكبرى المعروفة بالإيوان على هيئة قبة نصف كروية ، وتظهر بقية القاعات خلف الإيوان . ويوجد بالجدران الداخلية لهذا القصر حنيات ذات عقود منحنية ، كما يلاحظ فوق العقود زخارف بارزة من مادة جصية يظهر فى تصميمها الطابع المصرى (ش ١٤٥) .

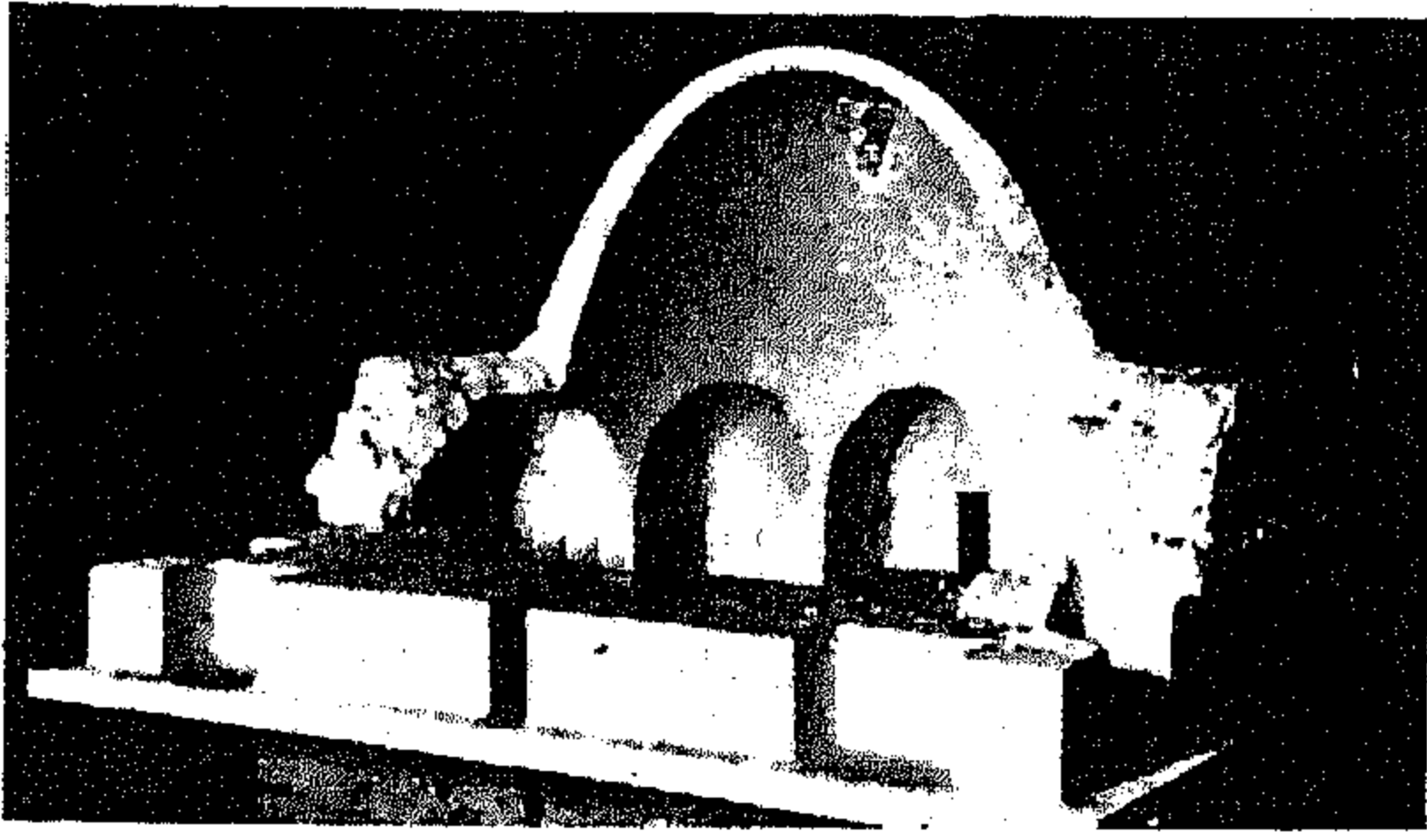
كان من عادة الملوك الساسانيين أن يقوموا بتشيد قصور جديدة لهم بمجرد اعتلائهم الحكم . فشيد شاهبور الأول ثانى ملوك الساسان قصراً له فى يشابور (١) الواقعة فى منتصف الطريق بين فارس مسقط رأسه والعاصمة طيسفون (٢) . وتعتبر ولاية فارس المنطقة الوحيدة فى إيران التى لم يظهر فى فنونها طابع الفن الهيلينى وذلك لوجود آثار من العهد الأكمنى فى مدن هذه الولاية هما ياسر جداى وبرسيبوليس .

ولا يظهر أى اختلاف فى تصميم قصر يشابور عن القصر السابق فالإيوان هو أهم قاعة فى القصر ، وسقفه على شكل نصف كرة . كما وجد بجدران هذه القاعة (ش ١٤٦) أربع وستون حنية . ويغضى جدران القاعة والحنيات أفاريز من الملاط بها زخارف هندسية ونباتية بارزة يظهر فيها الأسلوب الهيلينى (ش ١٤٦ ب) .

ولقد زخرف الساسانيون قصورهم بزخارف بارزة عن الجدران فى أغلب الأحوال ، وتأخذ هذه الزخارف أشكالاً متعددة ، نباتية أو حيوانية أو آدمية . ومن أشهر الوحدات التى انتشرت فى الفن الساسانى ، زخارف على هيئة وجه آدمى يتوسط مربع (ش ١٤٧) وهذه إحدى الوحدات التى انتقلت إلى مصر وظهرت فى الفن القبطى (ش ١٢٥) . ويظهر فى ذلك العصر أسلوب جديد لزخرفة أرضية قاعات القصر ، حيث تغطى أرضية بعض القاعات بالزلط الملون فى أشكال زخرفية تبدو كأنها سجاد . وتظهر فى هذه الزخارف نوعان من العناصر . فى الجزء المتوسط توجد صور لسيدات من القصر وراقصات

(١) يشابور تعنى شابور الجميلة .

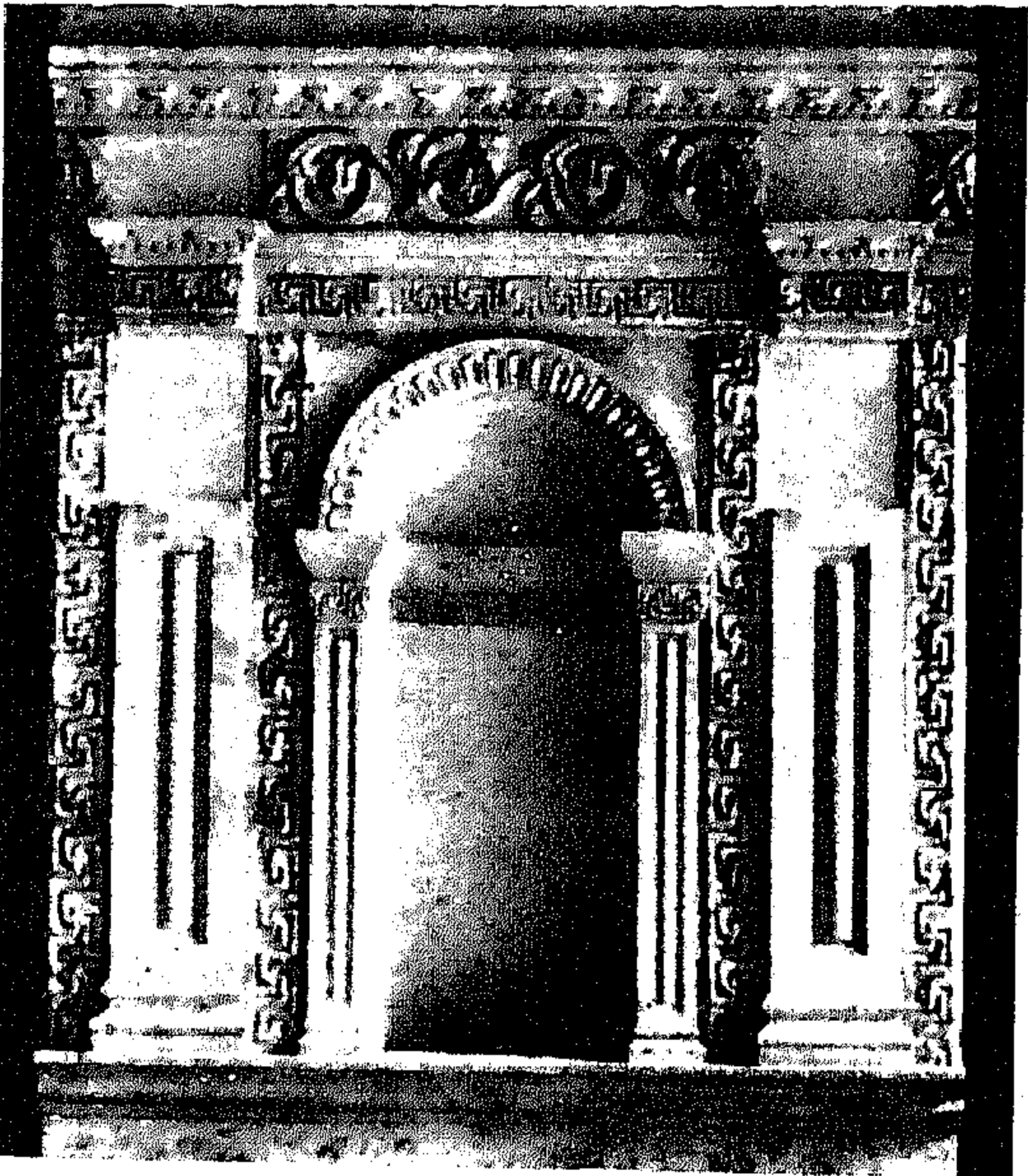
(٢) عرفت عند العرب باسم المدائن .



(١)



(شكل ١٤٥) جدار قصر مدينة فيروز آباد



(ب)

(شكل ١٤٦ أ، ب) نموذج للقاعة الكبرى في قصر الملك شهابور بمدينة
بيشاور. وتظهر به زخارف جصية نباتية، في حنية من جدار القصر.
منتصف القرن الثالث الميلادي. حالياً بمتحف اللوفر



(شكل ١٤٧) زخرفة جصية على الجدران يظهر بها
وجه آدمي داخل مربع . متحف بغداد

وموسيقىات [لوحة ملونة رقم ٤] . أما وحدات الإطار الخارجى الملاصق للجدار ،
فهي عبارة عن وحدات هندسية أورعوس لنساء ورجال (ش ١٤٨) .
وفكرة عمل زخارف برعوس آدمية لاتظهر فيها الأعناق هي أسلوب فرثى إيرانى
لم يعرف فى بلاد الإغريق أو عند الرومان . ويتشتر هذا الأسلوب ويظهر فى مصر
فى الفن القبطى (ش ١٢٥) وربما يرجع هذا التأثير إلى فترة حكم الساسانيين لمصر
فى أوائل القرن السابع الميلادى .

على أن طريقة تغطية الأرض بزخارف من الجص والزلط الملون لم تكن إيرانية ،
بل أخذها الساسانيون عن الرومان الذين استعملوها بكثرة فى أرضيات قصورهم
وحماماتهم . وفى الغالب قام بهذا العمل عمال من أنطاكية الرومانية حيث عثر فى هذه
المدينة على أرضيات مغطاة بالفسيفساء مزخرفة بمواضيع متشابهة .

وقد ظل النمط المعماري التقليدى لتشييد القصور مسيطراً على العمارة الساسانية
فى كل العصور ، فلا يختلف قصر مدينة طيسفون (طاق كسرى) (ش ١٤٩)
عن القصور السابقة . وتظهر بالواجهة زخارف مكونة من أعمدة متصلة بالجدران
وفتحات كاذبة . ويتميز هذا القصر بوجود عقود مستديرة تتوسط المبنى . ويعتبر طاق
كسرى أكبر عقد شيد من الآجر غير المسلح فى العالم حيث يبلغ ارتفاعه ٣٠ متراً .
رقد اقتبس الساسانيون من الرومان طريقتهم فى زخرفة واجهة المبنى بصفوف من الفتحات
الكاذبة وأنصاف الأعمدة .

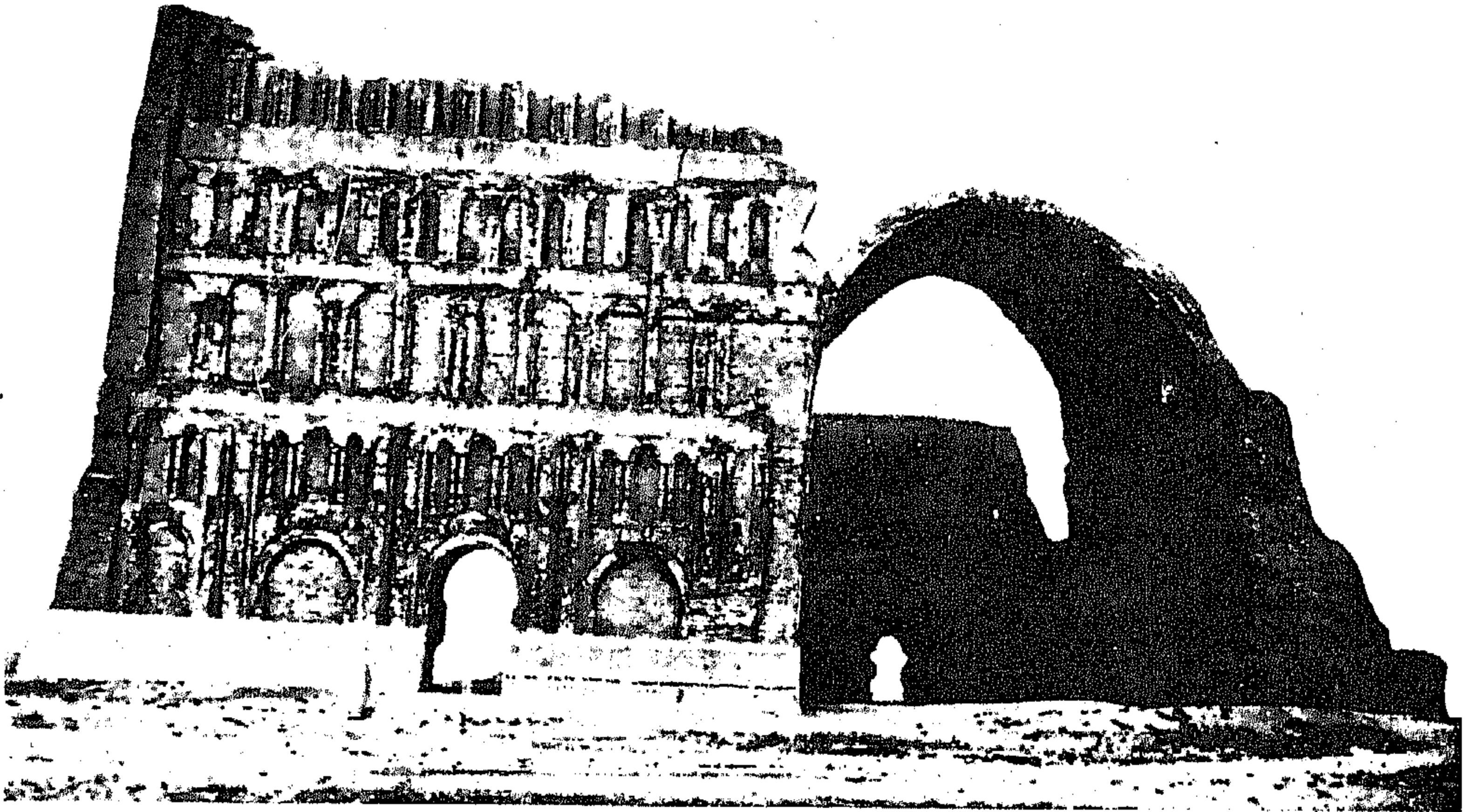
لم يظهر الساسان اهتماماً كبيراً بزخرفة الجدران بالتصاويز الجدارية ومن الحالات
النادرة التى عثر عليها ، تصاوير وجدت فى قصر بمدينة سوسا . وتشتمل هذه الصور
على صورة لفارسين مرسومين بالحجم الطبيعى يرتدى أحدهما زياً لونه وردى موشى
بخيوط من الذهب . ومن أمامها حيوانات الصيد تلوذ بالفرار . ويظهر هذا المنظر
فوق أرضية زرقاء . ويرجع تاريخ هذه الصورة إلى النصف الأول من القرن الرابع
بعد الميلاد فى فترة حكم الملك « شاهبور الثانى » . والظاهر أن هذا الملك شجع هذا

(١) يرجع بعض الباحثين أن شاهبور الأول هو الذى شيد « طاق كسرى » .

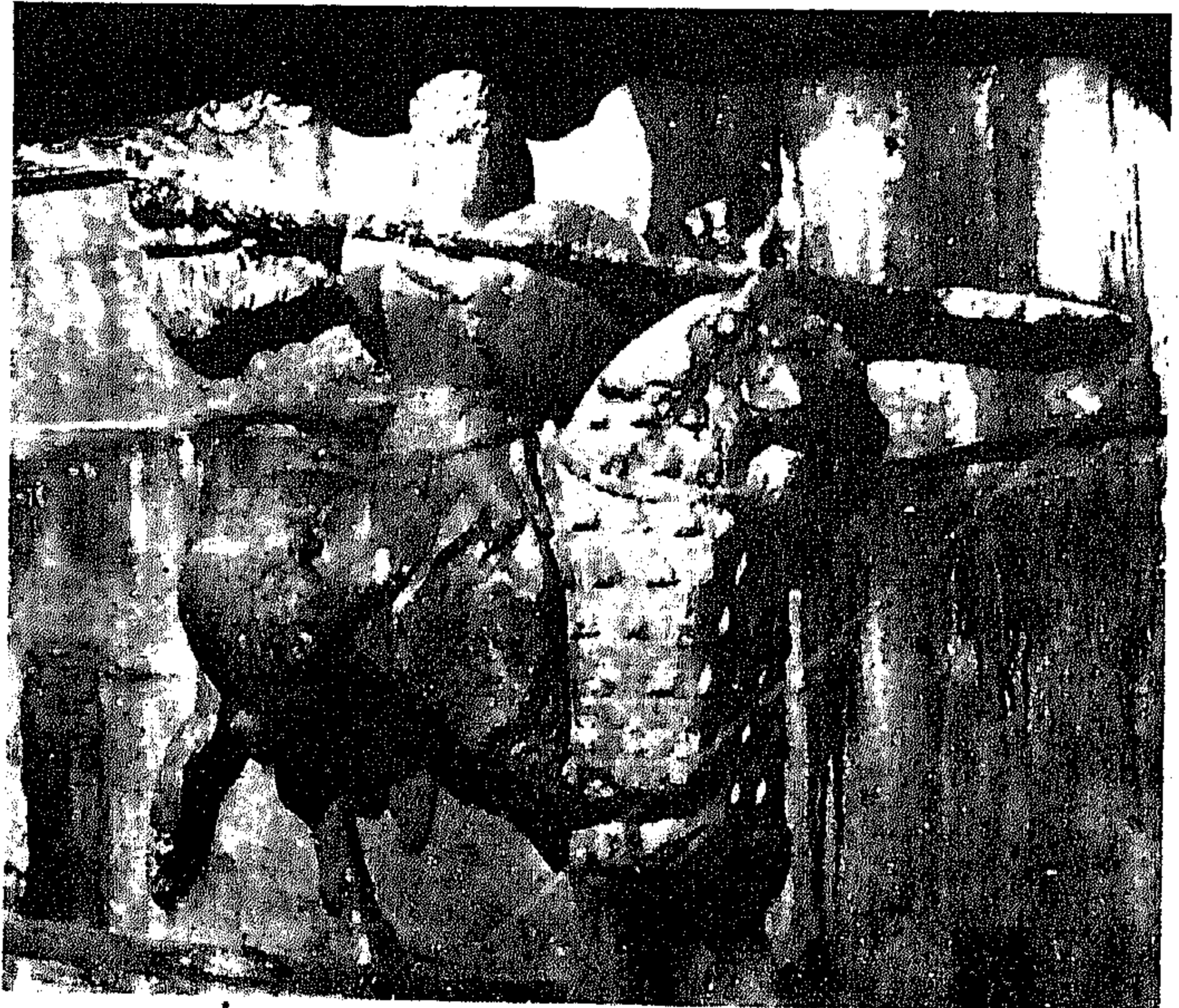
(٢) كتاب الفن الفارسى « ١ . بوب » . Survey of Persian Art .



(شكل ١٤٨) فسيفساء ، زخارف على
هيئة رؤوس آدمية قصر بيشابور



(شكل ١٤٩) طاق كسرى الموجود بقصر
مدينة تيسفون . حالياً العراق



(شكل ١٥٠) نحت بارز يصور فارساً
يتمطي جواداً «ربما يصور الملك خسرو
الثاني» عثر عليه في صخرة بجهة تاكبي
بستان . القرن الخامس . إيران

الأسلوب الزخرفي حيث عثر على قصر من عهده به تصاوير جدارية ملونة في مدينة « إيوان كاركّا » التي شيدها بعد أن دمرت مدينة « سوسا » .

النحت الكامل :

تشير الآثار التي عثر عليها في إيران من فترة الحكم الساساني إلى أن الملوك الساسانيين لم يعتنوا بقن النحت الكامل . ولقد لجأ الفنان في حالات نادرة إلى عملية متوسطة بين النحت البارز والنحت المجسم . وظهر هذا الأسلوب في جدار صخرة في جهة « تاكي بستان » نشاهد فيها نحتاً بارزاً من سطح جدار يصور الملك ممتطياً جواده (ش ١٥٠) ويرجع هذا النحت إلى القرن الخامس الميلادي .
والتمثال الوحيد الذي نحت نحتاً كاملاً ويمثل الملك شاهبور الأول (ش ١٥١) ، يعتبر مكماً للعمارة ، حيث نلاحظ أنه نحت في دعامة الكتلة الحجرية التي تحمل سقف مدخل أحد الكهوف المنحوتة في الصخرة ، ويبلغ ارتفاع التمثال سبعة أمتار . وبالرغم من أن التمثال به محاولة لتوضيح زي الملك ، إلا أن نحته لا يدل على مهارة . وكانت هذه الكهوف تنحت في صخرة بالجبل ، ليوضع فيها مخلقات جثة المتوفى بعد أن تتعرض لأشعة الشمس في أبراج أو أماكن في أعلى الجبل . وكانت العظام تجمع في توابيت بعد أن يتحلل الجسد لتوضع في هذه الكهوف أو في مبان تحت الأرض .

النحت البارز :

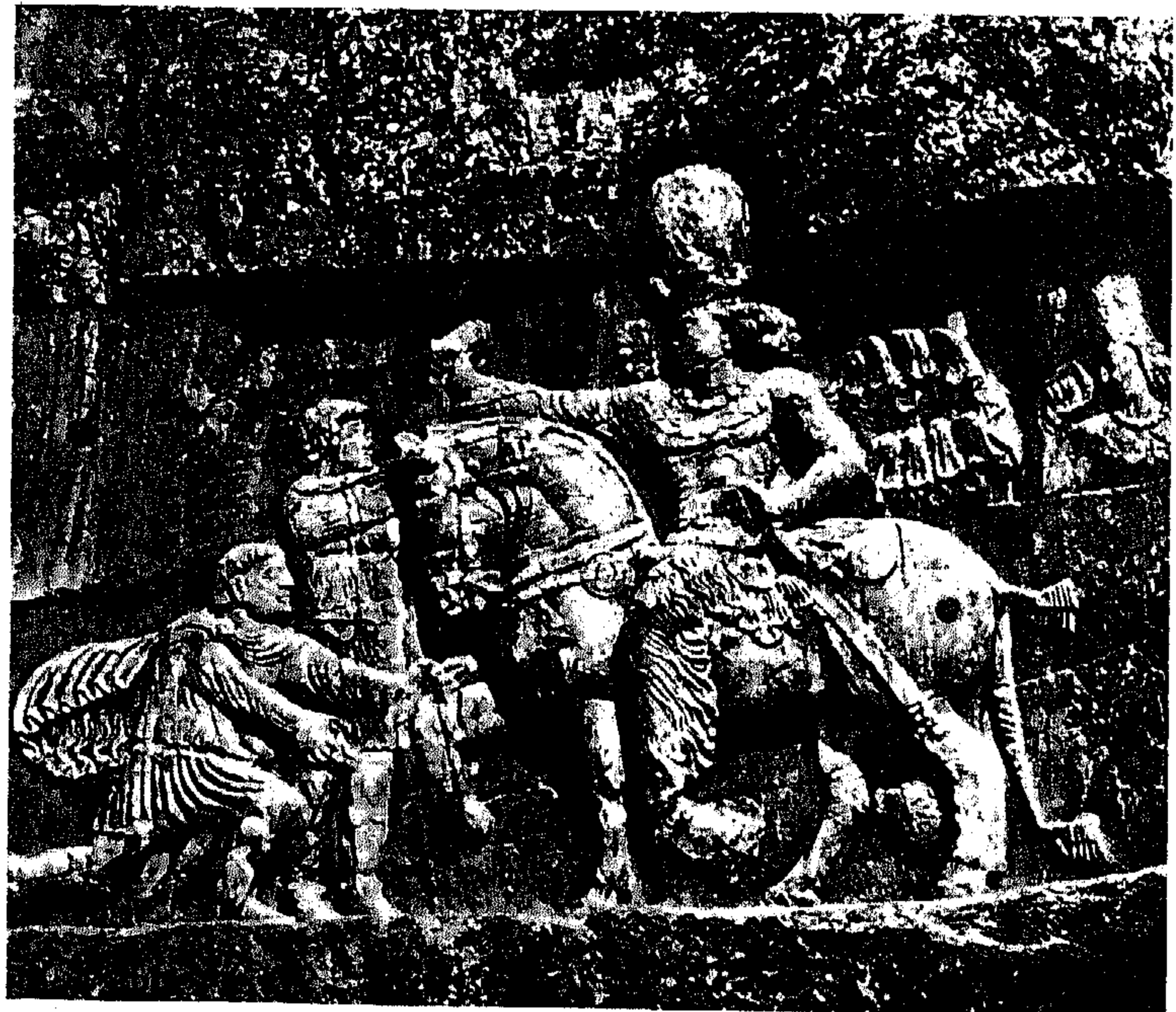
اتخذ ملوك الساسان الصخور العالية الموجودة في بلادهم ليسجلوا عليها أحداثهم التاريخية الهامة . وكانت هذه الأحداث المصورة تشغل مساحات كبيرة على سطح الصخور . وتنحصر المواضيع في مثل الملوك أمام الآلهة أو الانتصارات التي كسبها . ويستمر ظهور مواضيع انتصار الملوك الساسانيين على للصخور حتى نهاية حكمهم . وقد اختار معظمهم الصخور التي نحتت بها مقابر الملوك الأكمينيين في جهة « ناكش رستم » القريبة من برسيبوليس لتسجيل هذه المناظر .

(شكل ١٥١) تمثال أكبر من الحجم الطبيعي يصور الملك
شاپور الأول عثر عليه في بيشابور



(شكل ١٥٢) الملك أردشير يتقلد الحكيم من الآلهة أهورماردا . نقش وجد على صخور
بجبهة ناكشي رستم . إيران ، القرن الثاني الميلادي

(شكل ١٥٣) الملك شاهپور
الأول منتصراً على الإمبراطور
الروماني فاليريان . نقش
وجد على صخور ناكشي
رستم إيران . النصف الثاني
من القرن الثالث الميلادي



ومن المواضيع الدينية التي عثر عليها في جهة « ناكش رستم » ، نقش يصور الملك أردشير ممتطياً جواده يتقلد مقاليد الحكم من الإله أهورمازدا الذي يمنحه البركة ويعده بالانتصار على أعدائه (ش ١٥٢) . وترمز صورة الأشخاص الذين تطوهم أقدام الجياد إلى انتصار إله الخير على إله الشر وانتصار الملك على أعدائه .

ولقد كان لنجاح شاهبور الأول في هزيمة الأمبراطور فاليريان الروماني صدى كبير في إيران ، حيث سجل هذا الانتصار التاريخي العظيم على عدة صخور متفرقة في إيران ويصور أحد هذه النقوش الموجودة في ناكشي رستم الملك ممتطياً جواده وأمامه الإمبراطور الروماني راكمأ (ش ١٥٣) . وتبدو الثياب التي يرتديها الحكام وكأن الريح تدفعها . وهذا أسلوب ساساني اقتبسه الفنان من ثنيات الزي الروماني .

ومن المواضيع النادرة التي وجدت في هذه النقوش موضوع يصور الملك خسرو الثاني يصطاد الحيوانات البرية . ولقد وجد هذا النقش على جدار مغارة في جهة « تاكي بستان » ويرجع تاريخه إلى أواخر عهد الدولة الساسانية . ولقد صور الملك ثلاث مرات في هذه اللوحة ، ففي الجهة اليمنى العلوية يشاهد ممتطياً جواداً ومن خلفه تابع يحمل مظلة تقي الملك من حرارة الشمس ، ويظهر مرة ثانية على اليمين يصطاد الغزلان ، ومرة ثالثة نشاهده في قارب مصوباً سهامه إلى الخنازير البرية (ش ١٥٤) وتصحبه قوارب بها عازقات . ويلاحظ في هذه الصورة أنها نقشت بيروز خفيف خلافاً لما كان متبعاً في المناظر الأخرى .

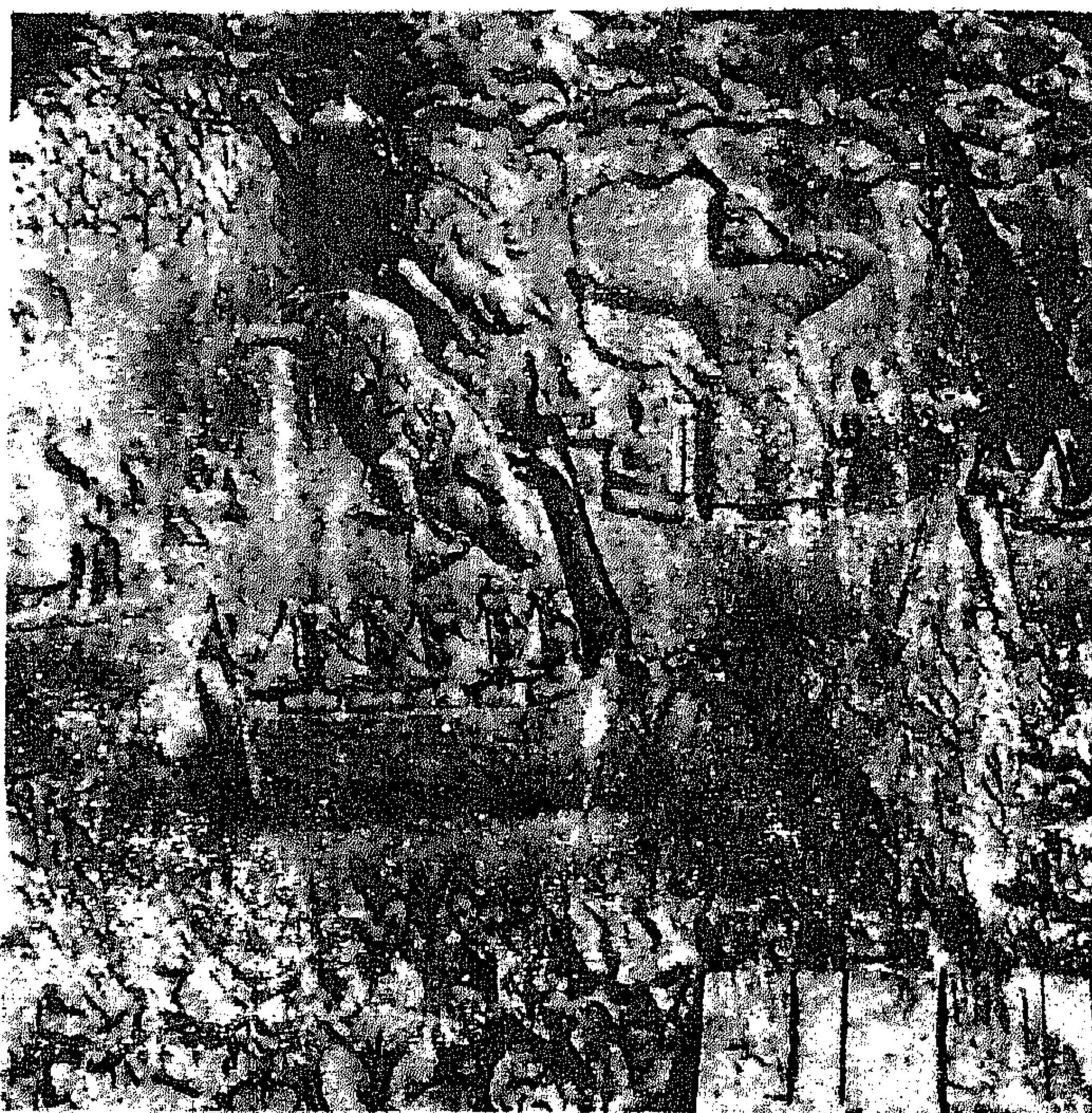
ولقد أمكن التعرف على شخصيات الملوك المختلفة بمقارنتها مع صورتهم المنقوشة على العملات الفضية الخاصة بكل منهم ، كذلك يشكل غطاء الرأس الذين كانوا يظهرون به (ش ١٥٥) حيث اختلف هذا التاج اختلافاً طفيفاً في زي كل ملك من الثمانية والعشرين ملكاً الذين حكموا إيران في العصر الساساني .

الفنون الصغيرة :

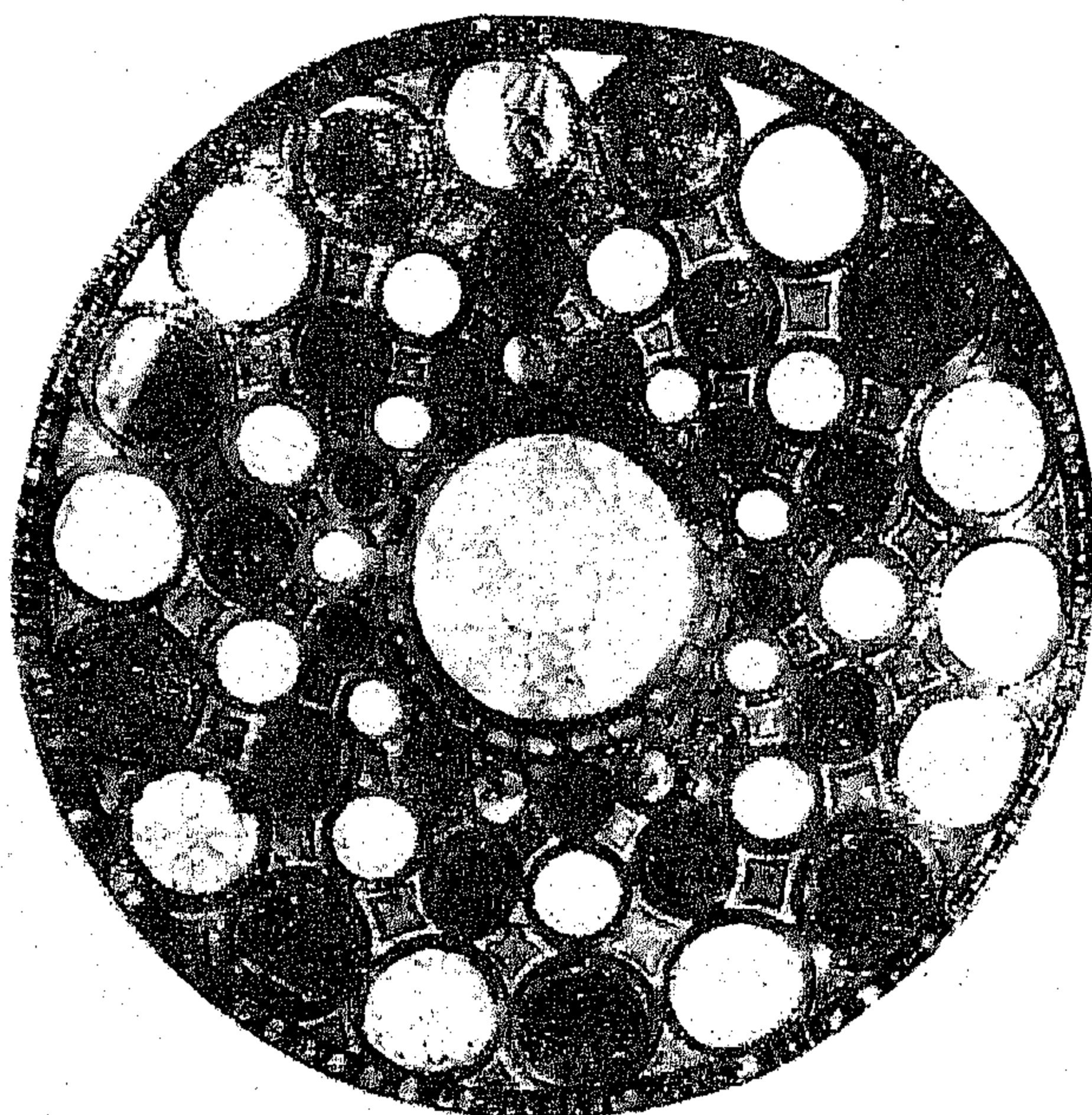
المعادن :

كانت المصنوعات الفضية من أجمل ما أنتجه الساسانيون من الفنون ، وتعكس

(شكل ١٥٤) الملك خسرو الثاني بصطاد
الغزلان البرية والخنازير. نقش وجد على
صخور تاكي بستان إيران القرن الخامس
ميلادي



(شكل ١٥٥) قطعة معدنية تصور ملك ساساني



(شكل ١٥٦) طبق من الفضة به نقش يصور الملك
والملكة جالسين. القرن السادس أو السابع الميلادي.
حالياً بمتحف مدينة بلتيمور. الولايات المتحدة

الأواني والأطباق الفضية المنقوشة بمواضيع من داخل القصر أو خارجه ، الرخاء الذى كان سائداً فى القصور الساسانية ، كما توضح حب الحكام للاستمتاع بالحياة . وقد غطى بعض هذه المصنوعات بطبقة من الذهب كما رصعت بعض الأطباق بالأحجار الملونة (ش ١٥٦) .

وتأخذ مواضيع الحفلات والصيد مكان الصدارة فى الأطباق فيظهر الملك عادة جالساً على العرش الساسانى محاطاً بأتباعه ، وقد تراه مضطجعا على أريكة ومعه الملكة (ش ١٥٧) وإظهاراً لعظمة الملوك الساسان كانوا يظهرن على الأطباق الفضية جالسين على عروش تحملها الأسود أو الجياد المجنحة (ش ١٥٦) ويظهر الملك دائماً فى وضع الواجهة كما تظهر الراقصات أيضاً منقوشة على بعض الأواني يحيط بها تفريعات نباتية (ش ١٥٨) .

ومن الموضوعات التى كثر ظهورها على الأطباق الساسانية ، موضوع صيد الوحوش فيصور الملك تارة ممطياً جواده مطارداً حيوانات الصيد المختلفة . وتارة أخرى يصور وهو يصوب سهامه على الأسود المهاجمة بشجاعة فائقة (ش ١٥٩) وتذكرنا التفاتة الملك إلى الخلف بمنظر صيد الأسود الآشورية . كما أن شكل لفاقة النسيج التى تتطاير من غطاء الرأس تنتشر فى فنون البلاد الأخرى ونراها فى الفن القبطى . لرأس جواد يظهر ويظهر اهتمام ملوك الساسان بزخرفة جيادهم فى قطعة معدنية (ش ١٦٠) .

المنسوجات :

برع الساسانيون فى صناعة المنسوجات الحريرية ، وكانت هذه المنسوجات تصدر إلى العالم البيزنطى وعن طريقها انتقل كثير من الوحدات الزخرفية الساسانية إلى منسوجات هذه البلاد

ولقد تفنن النساج الساسانى فى زخرفة منسوجاته بوحدات ساسانية مبتكرة ، ومن أهم هذه الوحدات وحدة حيوانية ورثها الفنان من الفنون السابقة ، وتبدو هذه الوحدة على هيئة حيوان خرافى نصفه الأمامى حيوان مجنح ، والجزء الخلفى ذيل طائر . ويكثر ظهور هذه الوحدة الزخرفية ، فتراها فى زخارف المنسوجات (ش ١٦١)



(شكل ١٥٨) جزء من إناء فضي مذهب مزخرف
بتقوش نباتية تحيط بعضها براقصات عثر عليه في
مدينة كلاردشت إيران القرن السادس الميلادي .
حالياً بمتحف طهران

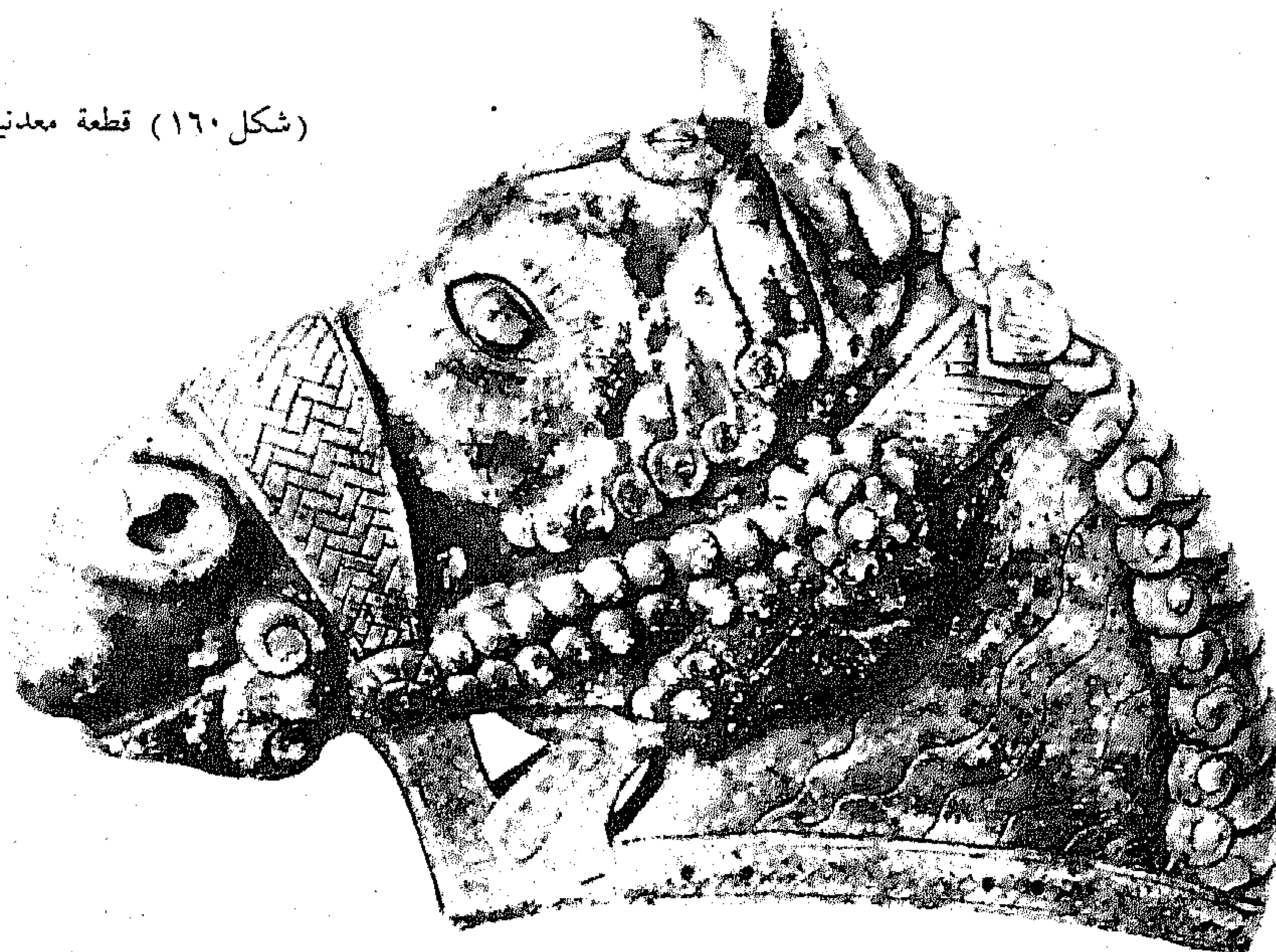


(شكل ١٥٧) طبق من الفضة المزخرف بقطع من
الزجاج الملون تصور الملك جالسا على عرشه



(شكل ١٥٩) طبق من
الفضة منقوش بموضوع
يصور الملك شاهبور الثاني
يصطاد الأسود . القرن
الرابع . حالياً متحف
الإرمتاج . لتتجراد

(شكل ١٦٠) قطعة معدنية مشكّلة على هيئة جراد



(شكل ١٦١) قطعة نسيج حريرية مزخرفة بوحدة حيوان السمرج



(شكل ١٦٢) نقش بارز بوحدة حيوان السمرج الخرافي . وجد بين زخارف زى الملك خسرو فى منظر صيد الغزلان والخنازير بجهة تاكى بستان . إيران



التي تفوقوا صناعتها لدرجة كبيرة ، كما تظهر هذه الوحدة في زخارف زى الملك خسرو وهو يصطاد (ش ١٦٢) . المنقوشة على صخرة في جهة تاكي بستان .

وقد كان الملوك العرب التدمريون يستعينون بمصانع النسيج الساسانية . واستمر ظهور الوحدات الساسانية في زخارف المنسوجات السورية وفي النسيج البيزنطى بعد سقوط الإمبراطورية ، ووصلت هذه المنسوجات إلى الغرب كلفافات للآثار ، ونجدها حالياً موزعة على المتاحف (ش ١٦٣) . ولقد تأثر النساجون في مصر بهذه الوحدات خاصة في الفنين القبطى والإسلامى .

وترجع أهمية الفن الساسانى إلى إمداده الفنين البيزنطى والإسلامى بكثير من عناصره ، حيث اقتبس الفنانون في العهود الإسلامية كثيراً من العناصر الساسانية . ويظهر ذلك بصفة خاصة في الآثار التي عثر عليها في العهدين العباسى والفاطمى .



(شكل ١٦٣) قطعة من الحرير مزخرفة بوحدة طائر في دائرة

متكررة . متحف الفاتيكان بروما

المراجع

- Demus O. Byzantine Mosaic Decoration London 1941.
Grabar A. Byzantine Painting 1953 Skira.
Gruneissen W. Les Caractéristiques de L'art Copte Florene 1922.
Millngen E. Byzantine Churches in Constantinople. 1912.
Fakry A. Bagawat in kherge Oasis.
Manneret de Villard, La sculpturad Ahnas.
Price D. Talbot, Art of the Byzantine Era 1963, Thames and Hudson.
The Art of Byzantium, Abrams New York 1959.
Ressicun icons 1963 Spring books .
Byzantine Art Penguin Books 1968.
Phister Textiles of Palmyra.
Smith, Earl Balduin, the Dome, Princeton University Press 1950.
Swift. E. Hagia Sophia, Columbia University Press 1940.
Volbaeh W.H.M., Early Christian Art Abrams, New York, 1961.
Whitlemore T. The Mosaics of Hagia Sofia at Istanbul 1935—52. Oxford.
Claus W. L'Art Copte, Editions Meddens Bruxelles 1964.

مراجع الباب الثالث

- Pope, Arthur Upham, Masterpieces of Persian Art Dryden Press, New York, 1945 and Ackerman, Phyllis, "A Survey of Persian Art from Prehistoric times to the present, Vols, American Institute for Iranian Art and Archeology, Oxford University Press New York, 1938—39.
Girshman, R. Parthes et Sassanides Iran from the earliest times to the Islamic Conquest 1961 Richhard clay and Comp. Ltd. England.

مراجع الباب الأول

- Baur, P.V.C. & M.I. Rostovtzeff, Excavations at Dura Europos. Pre. Reports, nos 1 (1929), 2 (1931) New Haven Conn.
- Bowen R. Archaeological Discoveries in South Arabia Baltimore, 1958.
- Bieber, Margarete, The Sculpture of the Hellenistic Age, Columbia University Press 1961.
- Kemmerer A. Petra et la Nabatine, Paris 1929.
- Kennedy A.B. Petra its History and Monuments, London 1925.
- Rostovtzeff, M. Dura Europos and its Art. Clarendon Press Oxford 1938 U.P.
- Caravan Cities Oxford 1932.
- Seyvig, H. Ingholt H. Starcky J. Recueil des trésor de Palmyre Paris 1955.
- Shore A.F. Portrait Painting From Roman Egypt. The British Mus. London 1962.
- Huyghe R. Larousse Prehistoric & Anered-Art Wooley L. The Art of the middle East. Crown Publishers, inc. New York.

مراجع الباب الثاني

- Anthony, E., A History of Mosaics, Sargent, Boston, 1935.
- Badaway, A. L'Art Copte, Le Caire 1949.
- Bovini, G. Revence Mosaics 1956, New York, Graphic.
- Beekwith J. The Art of Constantinople 1961 Phaidon, New York.
- Coptic Sculpture.
- Butler H. Coptic Churches.
- Early Churches in Syria 1929 Princeton.
- Crawfoot, J. Early Churches in Palestine 1947 Oxford U.P. For the British Academy.
- Dalton O. Byzantine Art & Archeology, Clarendon Press. Oxford 1911.



كتب أصدرتها دار المعارف للمؤلفة

فنون الشرق الأوسط القديم

فنون الشرق الأوسط والعالم القديم . طبعة أولى وثانية

فنون الشرق الأوسط من الغزو الإغريقي حتى الفتح الإسلامي

فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية . طبعة أولى وثانية

فنون الغرب في العصور : الوسطى . النهضة . الباروك

فنون الغرب في العصور الحديثة

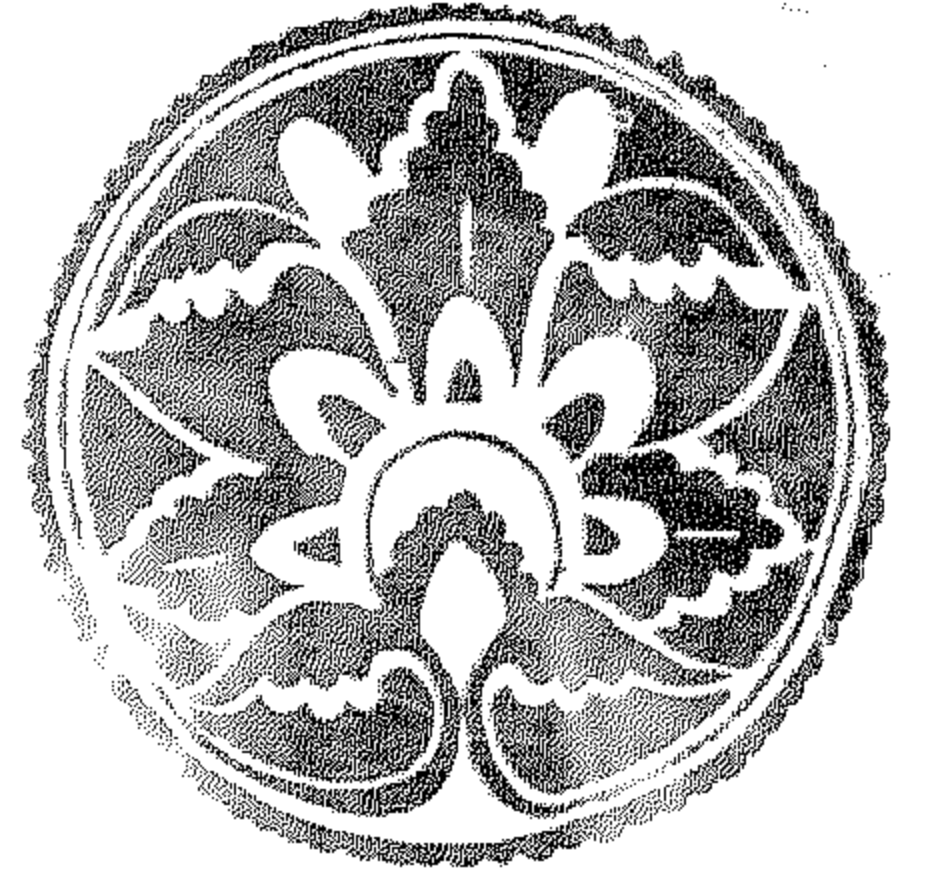
فنون العراق القديم . سلسلة كتابك

رقم الإيداع	١٩٩١ / ٤٥٣٢
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-3340-4

١ / ٩١ / ٧٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

١٩٦٩٨/٠٣



اسم هذا الكتاب ثلاثة
 طرز فنية جديدة
 في منطقة الشرق الأوسط
 التراث الحضاري العظيم
 بعد انتصار العرب على الشرق
 لأول مرة
 فسمي لاسك في بلاد
 الشرق الأوسط القديم
 وممتلكاتها في الشرق
 أثرت بأسلوب السيرة القومية
 المباشرة التي فيها القامح
 الإسكندر المقدوني
 وكان للدين المسيحي الذي
 انتشر في المنطقة
 الرومن أثر واضح في
 ثقافات ودراس شعوبهم
 انعكس أيضا في شوارعها
 كما انضاف العرب
 الساسانيون طورا فنيا جديدا
 انتشر في المنطقة نتيجة
 للحروب التي قامت بينهم وبين
 الرومان حزام المنطقة
 وساعد اللوحات
 والصور التي تصاحب النص
 القاري على تدوين الأعمال
 الفنية التي انتشرت في المنطقة